

تأليف
احمد يوسف احمد

الطبعة الأولى

ابريل ١٩٦٢

الناشر دار النهضة العربية ٣٢ شارع عبد الخالق ثروت ت ٧٦٢٣١

كواكب تغيب . وكواكب تلوح   مواكب تجى . ومواكب تروح

فيا دمع قل لى على مين تسيل   ويا قلب قل لى على مين تنوح

دموعنا اللى مالية حنايا الجفون   عصارة قلوب شضبتّها الجروح

المرحوم

محمود رمزى نظيم



فنان الشعب

« محمود بيرم التونسى »

يدون روائعه

المحتوى


بسم الله الرحمن الرحيم

ليس ما يحويه هذا الكتاب تسجيلا لكل إنتاج فنان الشعب « محمود بيرم التونسي» ، ولكنما هو بعض ألوان مما نظمه أو كتبه ، فى شتى فنون الأدب.

وأعتقد أنه من المتعذر أن تجمع آثاره كلها فى كتاب . بل إنه لمن العسير حقا حصر جميع ما خطه هذا الأديب الفنان مما قرأنا له ومما لم نقرأ . إذ أن ما وقعت عليه أعيننا من إنتاجه يبلغ آلاف القطع ، وما خطه مما شتتت الأحداث بعضه ، وأخفى الحقودون معالم بعضه الآخر ، غير ما أضاعه الإهمال ، يزيد على ذلك بكثير

وأعمال « بيرم » ، فى مدى صلته بالأدب ، وهى مدة نصف قرن كامل ، أشبه بالعين الثرة التى لا يبطل منها نبع الماء .



كالجبرتى كان « بيرم » يطوف الأحياء ليدون الأحداث .

وكالمصور السينمائى أو التشكيلى كان يسجل فى لوحات أدبه حياة الشعب .

محمود بيرم التونسى

عندما نتذكر حياة المرحوم « محمود بيرم التونسى » التى عاشها للأدب ، نتذكر فى بعض معالمها المؤرخ العظيم « عبد الرحمن الجبرتى » الذى كان يطوف بأحياء القاهرة على ظهر بغلته التى أرهقها من طول تجواله ، وهو يدور بها بين الحوارى والأزقة ليلتقط الأخبار والأنباء من هنا ومن هناك ، ثم يدون هـذه الأخبار يوما بيوم فى مذكراته التى أصبحت من بعده أعظم سجل لأحداث العصر الذى عاش فيه . فهكذا كان « بيرم » يتنقل بين مختلف الأوساط ، ينقد حالات المجتمع ومشاكله ، وما يعيش فيه الشعب من مساوىء وعجائب .

ونتخيل فيها أيضاً المصور « الفوتوغرافى » ، أو «السينمائى» ، وهو يحمل «الكاميرا» ، يصوب عدستها نحو المنظر الذى يعجبه ، والموضوع الذى يستهويه. فهكذا كان « بيرم » أيضاً يلقى بنظراته اللماحة على المشاهد التى حوله ، ليعكس علينا صوراً من انطباعاته

ثم نتصور فيها كذلك الفنان الذى يسجل بفرشاته المشاهد التى تثيره ،والتى يروق له التعبير عنها ، بدافع من أحاسيسه .

فهكذا كان « بيرم » يفعل فى لوحاته الجميلة التى أخرجها لنا فى بدائع شعره وزجله .

نلخص كل أولئك فى « بيرم »

فقد كان « بيرم » حقا هو ذلك المؤرخ ، وذلك الفوتوغرافى ، وذلك الفنان التشكيلى

وضل من يحسبه ذلك الزجال الذى كان يصوغ الزجل ليطرب الناس ،

أو ذلك الشاعر والزجال الذى كان ينظم للأغانى، بقدر ما استمعوا إلى ما غناه ولحنه له المطربون والملحنون . أو هوذلك الذى برع فى كتابة الأدب العامى، بما كان ينشره على لغة العامة من موضوعات شعبية .

كان أكثر من ذلك .

كان الجوال فى جميع ميادين الأدب .

فى الشعر ... والزجل ... والنثر ... والقصة ... والنقد ...

كان بمفرده خلاصة لعبقرية جيل بأكمله .

ولقد غذى « بيرم » المكتبة العربية فى جميع أنواع فروع الأدب بأروع ما يمكن أن يخرجه فرد بذاته . وأطرب الشعب بأنغام عذبة من لحاته ، فى كل غرض وغاية ، كما عالج شتى الموضوعات التى تهم الشعب فى المجتمع الذى ينشده له ، ويسعى إلى تحقيقه ، بمحاربته للمساوىء والأخطاء التى تتغلغل فى كيان الشعب وتهدم من قيمه .

فهو الشاعر ، والزجال ، والناقد ، والمصلح الكبير ، الذى يهدف ، جل ما يهدف ، إلى رقى المجتمع الذى يعيش فيه .

مزيج من كل هؤلاء ، تجتمع فى إنتاجه جميع الفنون الرئيسية الكبرى من الأدب .

* * *

كنت تراه هادئاً ، وديعاً ، صافى النفس ، نقى السريرة .

وكنت لا تلحظ للكبرياء أو الغرور أثرا فى نفسه ، فى الوقت الذى كان فيه غيره من النكرات يملأون الجو من حولهم ضجيجاً .

كان لا يجاريه فى صياغة الشعر ، ونظم الزجل ، وإنتاج الأدب الشعبى ، أحد . ولا يبلغ شاعر ، أو زجال، كفايته وبراعته ، فى دقة الوصف ، والتصوير ،

وفى التعبير عن حياة المجتمع ، بمثل ما أوتيه من البلاغة ، واللباقة ، والمقدرة . ومع ذلك كان لا يفتخر بشعره أو زجله . بل إنه لا يحفظ منه شيئا ، ولا يذكر شيئا. بينما يتدفق منه الشعر والزجل تدفقا ، حتى أعجز الجامعين حصر ما قال .

وكان من أدبه ، كذلك ، أن يتوارى عن الناس قدر ما يستطيع . و يبلغ به التواضــع أن يؤثر السكوت والانزواء فـكنت لا تراه متصدراً جماعة ، أو متعالياً فى اجتماع .

وكان خفيف الروح فى الشعر الذى يصوغه ، أو الزجل الذى ينظمه . وتبلغ خفة روحه فى تعبيراته حد الإعجاز

* * *

وقد آتاه الله حسا مرهفا ، وقريحة وقادة ، وذهنا لماحا . فإذا رأى ما يثيره عبر عنه بواقعية لا تخطر على بال .

وكان يطلق لخياله العنان فى تصوير المرئيات أو الأحداث التى تمر به . فيأتى بيانه صوراً رائعة ، وكأنه فنان واقعى من العباقرة .

أليس هو ذلك المصور الفنان الذى يكشف انا عن وسيلته فى التعبير عن المرئيات ، وعن طريقة إخراجه لموضوعاته،حين يدخل المعرض الزراعى الصناعى، فلا يخطو بقدمه إلا ليضع لتوه اللمسات فى الصورة بكل تفاصيلها ؟

« حالى أنا له العجب . واتعجبوا ياناس

تتفرج النــاس على المعرض وأنا ع الناس »

وحين يصور ، مثلا ، ذلك العامل المسكين « عم ابراهيم » وهو عائد حزيناً من عمله ، بحالته المعنوية ، وشكله ، وهمه :

« عم ابراهيم راجع حزين من شغله

ماشى على العكاز ، ورابط رجله »

« شايل رغيفه تحت باطه وفجله

يارب ألطف بالغلابة ، و بيه »

و إذ يعلم عن مطرب فقير ، ترك ولده مريضاً ، وجلس على مقهى انتظاراً لصديق يقرضه ثمن الدواء . فيطول به الانتظار ، ثم ينعى إليه ولده الوحيد ، فى الوقت الذى تسوق فيه الأقدار رجلا يساومه على إحياء ليلة طرب ، وينقده جنيهين . فيأخذهما ، ويذهب إلى بيته ليجهز ولده للقبر ، ثم يعود بعد دفنه ليحيي حفلة الغناء ! ! .

فيلخص « بيرم » تلك المتناقضات بهذا التصوير الرائع ، فى قطعة من الزجل:

آه عا اللى قاعد قدامكم	له نفس ملوك
وشكله ظاهر لعيونكم	أول صعلوك
العصر قاعد عا القهوة	مش لاقى القوت
جاله اللى قال له على سهوة	إبنك بيموت
بين العشا كده والمغرب	راجل جزار
داخل يفتش على مطرب	ولقاه فى البار
طلع على التخت وفمه	باسم فرحان
وكل ما ينوح من همه	يقولوا له كمان
فى سهرته الناس آنهوا	على لحن نواه
وحقهم كانوا يغنوا	وهوه يقول آه

قصة حياة بيرم

في يوم مجهول التاريخ ، من مطلع القرن التاسع عشر ، هاجر رجل من تونس ، يحمل في صدره نقمة وكرها لأبناء عشيرته ، نتيجة لضياع حقه في ميراث والديه ، الذي اغتصبته مطامع الأهل والاخوة .

نزح هذا الرجل إلى ميناء الاسكندرية ، ليستقر فيها ، ويتخذها وطناً .

وكانت أم هذا الرجل جارية من جواري الأتراك .

وفي الاسكندرية تزوج من مصرية أنجب منه ثلاثة أولاد يعنينا منهم واحد هو « محمد مصطفى بيرم » الذي أضيف إلى إسمه لقب « التونسي » تمييزاً لأصل أسرته .

ولد « محمد مصطفى بيرم » في الاسكندرية ، وكان كأبيه المهاجر من تونس يحترف التجارة ، وتجارة الأقمشة المنسوجة بالذات ، التي كانت مهنة شائعة بين المغاربة إذ ذاك .

تزوج هذا الابن من سيدة لم ينجب منها غير فتاة تدعى « لبيبة » .

ثم أدى فريضة الحج فأصبح معروفاً في الحي باسم «الحاج محمد مصطفى» .

وتزوج مرة أخرى من فتاة من الاسكندرية أيضاً ، أنجب منها ولده « محمود » و بنتاً ماتت بعد مولدها بثلاثة أيام .

وفي غفلة من هذه الزوجة الثانية اقترن سراً بفتاة فنانة ، ممن كن يترددن على متجره . وأصبحت زوجاته ثلاثاً . ماتت أولاهن قبل أن يقترن بالثانية ، ومات هو والزوجتان في عصمته .

كان مسرح ذلك حى السيالة بالاسكندرية .

وكان يرى هناك متجر متسع للأقمشة المنسوجة من كل نوع ، فى الجزء الذى يضم التجار المغاربة ، وتتجمع فى هذا المتجر ، بعد عصر كل يوم ، بضعة من تجار السوق ، وفريق من العلماء والأدباء ، من أصدقاء الحاج .

وشب الابن « محمود محمد مصطفى بيرم » حتى إذا بلغ الرابعة ذهب به أبوه إلى كتاب «الشيخ جاد الله» فى «زاوية الشيخ خطاب» بحى السيالة . وكان هذا أول عهد « محمود بيرم » بالتعليم .

كان « الشيخ جاد الله » هذا قاسياً على الأطفال فكره « محمود » الكتاب وصاحبه

وكان والد « محمود » يعزم على أن ينشئه فقيها فى علوم الدين فأخلف « محمود » هذا العزم

وانتهى الأمر بانقطاع « محمود » عن كتاب سيدنا ، إلى أن يعاون أباه ، مع ولدى عمه « حنفى » و « مصطفى » ، فى متجر المنسوجات .

ولكن أباه لا يرضى أن يستمر ابنه بائعاً دون إتمام تعليمه .

فيرسله إلى مسجد « المرسى أبو العباس » بالاسكندرية ، ليتلقى فيه العلم ، حيث كان بعض المساجد ، إلى عهد قريب ، يتخذ معاهد دينية تتبع الجامعة الأزهرية .

وكانت سن « محمود » فى ذلك الوقت قد نضجت بعض الشىء إذ هو الآن يتجاوز الرابعة عشرة من العمر

ومات أبوه ، وتنكر له أولاد عمه . فهجر المتجر أيضاً ، كما انقطع عن معهد العلم .

والتحق بعد ذلك بمحل بقالة عن طريق خاله ، ثم تركه أيضاً .

ثم التحق بعمل فى مصنع لهوادج الجمال ، يملكه زوج أمه ، التى اضطرت لضيقها أن تقترن بأحد أقربائها .

وماتت أم «محمود بيرم» وله من العمر سبعة عشر عاما . فلم يبق له من أحد . وقد فقد كل معين

وحينذاك دفعته الظروف الى أن يفعل شيئاً . فأفتتح محلا خاصا للبقالة ، ببعض ما تركته له أمه من ميراث . ولكنه لم يدم فى هذا النوع من التجارة غير شهور سبعة

ثم احترف التجارة بالجملة فى صفائح السمن . وقد يسر له ذلك مبلغ الميراث الذى آل إليه بعد وفاة أمه إذ كفى تجارته وفاض ، فاشترى بباقيه بيتاً صغيراً فى حى الأنفوشى

كانت هذة فترة من حياة الفتى « محمود بيرم » تناولتها عوامل من القلق والتردد فى اختيار المصير

فهو فتى غير محظوظ . محروم من الحنان والسند . يشق طريقه فى الحياة بقسوة و إصرار .

فتى تتعاقب الأحداث ، وتتكاثر ، وهو بعد لين العود .

وتدور برأسه أفكار وآمال،ولا يجد فى نفسه ما يزكى هذه الأفكاروالآمال .

إنه يشعر بنفسه فناناً بفطرته ، أديباً بطبعه ، يحب الأدب ، و يعشق النظم فى الشعر والزجل . ولكنه إلى الآن ما زال يعمل فى التجارة ، مقلداً بيئة أبيه وجده . فهل قدر له أن يلتزم هذا الجانب من الحياة ... أم أن القدر قد هيأ له منها وجهاً آخر ...

لقد كان الفتى سيلتزم العمل التجارى باطراد مكاسبه من تجارة السمن ، فى عمله التجارى الأخير، لولا أنه ضاق وغضب من كثرة الضرائب التى كان يفرضها المجلس البلدى على تجار الاسكندرية ، وكان أغلب أعضائه من الأجانب، الأمر الذى كان فى واقعه سبباً مباشراً فى تغيير مجرى حياة « محمود » .

فقد بدأ أول محاولة أدبية فى هجاء هذا المجلس البلدى بالشعر

ونشرت له جريدة الأهالى هذا الهجاء وإذ نجح ما نظمه ، واستقبله القراء بالإعجاب والرضا ، هيأ نفسه للأدب ، ونوى أن يهجر العمل التجارى .

وكان قد اضطر ، بعد وفاة أمـــه ، وزواج أخته الكبرى الغير الشقيقة «لبيبة» ، إلى أن يطلب لنفسه زوجة . فخطبت له فتاة من أهل الاسكندرية ، تزوجها ، ولكنها ماتت بعد أن أنجبت له ولدا وبنتا ، هما « محمد »و « نعيمة » .

فافترن ، بعد وفاتها ، بزوجة ثانية أنجبت منه أول ما أنجبت بنتا سميت « عايدة »

ويهم « بيرم » لأن يخوض بحار الأدب فينشىء مجلة باسم « المسلة » ، ويصدر عددها الأول بالاسكندرية . ثم ينقلها ، بعد العدد الثانى ، إلى القاهرة ويصدر منها ثلاثة عشر عددا . ثم تعطلها له السلطات بأمر من حاكم البلاد ، حيث كان قد كشف عن فضائح أسرة الجالس على العرش . فيصدر غيرها باسم « الخازوق»، ويهاجم فيها الأسرة المالكة أيضا ، فيكون مآله أن ينفى إلى خارج البلاد ويكون النفى إلى موطن أجداده تونس فيجد هناك من تنكر الأهل له ، ومن سوء حال المواطنين ما يملأه ضيقا .

ويقضى فى هذا المنفى عامين كاملين . ثم يحتال ليحصل على جواز سفر مزيف ، ويعود إلى وطنه مصر متسللا . ويعاود التحرير . ويظهر إنتاجه فى صحيفة

الشباب التى كان يصدرها المرحوم الأستاذ « عبد العزيز الصدر » . ويعيش فى الوطن المصرى زهاء العامين دون أن يكشف أمره

ثم ينكشف أمره ، فيقبض عليه من جديد ، وينفى ثانية ، ولكن إلى فرنسا هذه المرة . ويلاقى هناك أشد مما لاقى من الضيق فى منفاه الأول بوطن أجداده

يمتهن هناك أشق وأحط الأعمال ، لكى يعيش . ويقابله من المتاعب مالا يحتمله بشر ، وما تنهار دونه العزائم .

فقد كان لا يلتحق بعمل حتى يطرد منه ، عندما يتبين أنه محكوم عليه بعقاب ، أو يهجره كارهاً من صعوبة العمل ومشقته .

ولقد كان يقضى أياماً على الطوى لا يجد لقمة العيش ، فيقبع فى ركن من حجرته الحقيرة صابراً ، أو ينطلق إلى الطريق يبحث عن فتات القوت.

ونتركه يحدثنا عن حالته إذ ذاك فى عبارة من عباراته :

« أنا أعيش هنا حياة التشرد . . أنا أكره البشر صحيح فيه جمال أمامى . لكنى لا أستطيع أن ألمسه . . صحيح فيه موائد زاخرة بالمأكولات أراها فى اليوم ألف مرة ولكنى لا أستطيع أن أقترب منها فأنا أعيش حياة السراديب التى يعيشها أى فقير فى حى مونمارتر أو الحى اللاتينى ...!! »

ويقضى هذه المرة فى المنفى الثانى بفرنسا سبعة أعوام ، من سنة ١٩٢٥ حتى سنة ١٩٣٢ ، حيث رحلته السلطات الفرنسية إلى تونس بسبب أزمة البطالة فى بلادها إذ ذاك .

ويشترك فى تونس فى تحرير جريدة الزمان « التونسية » . ثم يصدر جريدة خاصة باسم « الشباب » ، ويغلقها له الحاكم العسكرى الفرنسى .

ثم يتقرر نفيه إلى السنغال

ثم إلى لبنان . فسوريا .

ومن سوريا تعيده السلطات الفرنسية إلى فرنسا . وتمر السفينة التي أقلته ببور سعيد ، فيهرب منها بمساعدة أحد المبوطية — وهم الفئة التي تنقل السلع بين الميناء والمراكب العابرة — ويختفي عن العيون ، حتى يركب القطار إلى القاهرة . وكان ذلك في الثامن من ابريل سنة ١٩٣٨ .

وفي وطنه مصر يعيش مستخفيا عن العيون تارة ، ومتنقلا من جهة إلى جهة تارة أخرى ، يستجدي الأصدقاء وأصحاب النفوذ لإطلاق حريته .

ويفوز بهذه الحرية بعض الشيء ولكنها حرية مضطربة لا تتم له إلا بعد استكتابه عبارات الاستعطاف الذليلة لحاكم البلاد . وأحاطت به ظروف قاتلة من يوم دخوله أرض الوطن متخفياً إلى أن صدر من وزارة الداخلية أمر بالاغضاء عنه ، لا العفو الشامل .

وعاش « بيرم » في وطنه كما شاءت له الحياة بمرارتها ، حتى أمن على نفسه أن يكتب ، وتنشر له الصحف ، وتذيع له الإذاعة ، ما يتقاضى عنه الأجر ليعيش .

وإذ عاش مشرداً بين بلدان المنفى ، وإذ كان مغضوباً عليه من يوم أن شب فتى إلى أن منحته السلطات المصرية الاغضاء دون العفو ، فقد كان لا يحمل الجنسية المصرية ، من حيث كانت هذه الجنسية — في الفترة الأولى من حياة « بيرم » التي ولد فيها من أصل تونسي — لا يهتم لشأنها ، والامتيازات قائمة إذ ذاك ، وهي متعة وحصانة لمن ينعم بها .

ولكن الثورة ، في عهدها العادل ، اعترفت به مصري النشأة ، وطني الكيان . فمنحته الجنسية المصرية في عام ١٩٥٤ ، ثم شرفته بإنعامها عليه

بوسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى ، وقد سلم هـذا الوسام إليه بنفسه السيد / الرئيس « جمال عبد الناصر » .

وكان « بيرم » ، لما لاقاه فى حياته من اضطهاد وتشريد ، ولما عاناه من شقاء وحرمان ، ولسوء حظه وخذلانه فى كل أمل يأمله أو عمل يطلبه ، ولمـا سارت عليه حياته من ضيق لازمه من منذ نشأته ، بموت والديه ، وتركه وحيداً يعول نفسه ويعتمد على أعصابه وجلده وصبره، كان لـكل هذا مضطرب الكيان ، مهزوز النفس وقد ترك كل هذا على نفسه أثراً من المرارة والضجر ، وعدم الإيمان بالبشر . فهو دائم الانطواء على نفسه ، يبتعد عن المجتمعات ، ويؤثر العزلة والوحدة . وقد فرض على نفسه ذلك كأنه فى محنة ممتدة الزمن ، لا يؤمن بشيء إلا إيمانه بالله و بالقدر المحتوم

وقد كان متديناً يؤدى فروض الدين فى أوقاتها ، حتى أنه عوض فى مصر ما كان فاته من الصلاة وهو فى منفاه ، بأداء الوقت مرتين فى مدى الزمن الذى قضاه بوطنه بعد استقراره الأخير .

وتفصيل خطوات حياة « بيرم » الخاصة أمر يطول استعراضه ، وهو ليس من شأن هذا البحث ، الذى يعنى ، جل ما يعنى، بدراسة انتاجه وعرض أعماله .

وقد ظلت شعلة العبقرية فى « بيرم » متوقدة ، مستمرة الوهج ، رغم إصابته فى السنين الأخيرة بمرض الربو الذى هش صدره ، وأضنى صحته ،وهد من كيانه.

ثم ثقل الداء عليه ، فانتهى عهد الأدب ، فى أوائل عام ١٩٦١ ، بهـذا الصادح الشادى .

وكان مولده فى يوم السبت ٤ مايو ١٨٩٣ ، ووفاته فى يوم الخميس ٥ يناير ١٩٦١ ، وقد بلغ من العمر سبعة وستين عاما وعشرة أشهر

بيرم بين أولاده



بيرم يحدثنا عن نفسه

« ولدت فى عام ١٨٩٣[1] ، ولم أكد أشب عن الطوق حتى أدخلنى أبى مكتبا لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، فى الحى الذى كنا نقيم فيه ، وهو حى (السيالة) بالاسكندرية »

« وقضيت فى ذلك المكتب فترة من الزمن تعلمت فيها وحفظت بعض سور القرآن . ثم نقلت لطلب العلم فى مسجدى المرسى أبى العباس والبوصيرى . وهناك أقبلت ، فى نهم وشغف على ما كان يلقى من دروس . ثم حدث أن رأيت أحد المدرسين يختصنى بعنايته ويخصنى بكثير من رعايته ، ويسأل عنى كثيرا ، ويهتم بى اهتماما عظيما وما لبث أن أسفر هذا الاهتمام عن الغرض الخفى الذى ينتويه ذلك المدرس

«إذ لاحظت أنه ينظر إلى نظرات مريبة. فاشمأزت نفسى منه ، وعولت على الفرار من وجهه وتركت المعهد إلى غير رجعة ، بعد أن كنت معدودا فى طليعة الطلبة النجباء .. وتربت فى نفسى عقدة من جميع الشيوخ الذين يلبسون مسوح التقى والورع . وكرهتهم كراهة الأرض للدماء .

«وودعت المعهد الدينى غير آسف عليه . ثم اشتغلت بقالا فى الحى .

« وما لبثت أن ازددت ثقافة من كثرة ما كنت أقرأ من الكتب القديمة ، التى كنا نجلبها لنبيع فيها للمشترين . وسرعان ما أصبحت هوايتى أن أطلع على ما هو مكتوب فى الورقة قبل أن أطوى فيها البضاعة ، وأعى ما فيها ، ومن العجيب أننى عثرت ذات يوم على كتاب فى تاريخ « محيي الدين بن العربى » وحياته ورأيه فى الدنيا ، فراقنى كثيرا ، وأقبلت عليه فى نهم وشغف .

(١) ٤ مارس ١٨٩٣

« وكان هذا الكتاب نقطة تحول فى حياتى ، إذ رغب إلى حب التصوف ودراسة الإسلام وأحوال المسلمين ، على نمط يتناسب مع العصر ، و يتفق وروح الجماعة التى نعيش فيها. واتسعت مداركى .

« وكنت أقرأ إلى جانب ذلك ما كتبه الذين سبقونا فى الزجل والأدب الشعبى ، أمثال عثمان جلال ، والقوصى ، والنجار ، و إمام العبد ، وعبد الله نديم ، وغيرهم من أبناء الفكاهة الراقية ، والنكتة اللاذعة فأجتمع لى كل هذا ، مضافا إليه استعدادى الفطرى للتمرد على البيئة القذرة التى أعيش بين ظهرانيها ، وأرى عيوبها الإجتماعية والأمراض المتفشية فيها . فأخذت أنظم الزجل فى بعض الحالات ، وأنتقد بعض التصرفات، وفى نفسى حنق شديد على المجتمع الذى يحيا فى جو خانق من الاحتلال الإنجليزى . وفى أعماقى ثورة عارمة على الذين يعملون على أن يظل الجهل والفقر سائدين بيننا إلى أبد الآبدين » .

« فتركت محل البقالة ... وأخذت أجوس خلال الديار ، وأتجول فى الشوارع . أرى وأنقد ، وأكتب وأؤلف وأحمل فى يدى سوطا أضرب به فى كل ميدان » .

ثم يقول بعد ذلك :

« لا أعرف شواطىء لهذا الموج الزاخر الذى يهدر فى نفسى ، وفى قلبى ، وفى رأسى ، من روائع الشعر ، لأضخم الشعراء فى أعظم العصور حفاوة بالشعر والشعراء .

« وقد حفظت القرآن ، ودرست ستة كتب مشهورة فى تجويده وتلاوته، بقراءاته الثابتة عن أئمة الشريعة والدين . ثم استوعبت دراسة الأدب العربى من أمهات مصادره ، وشربته من أصفى ينابيعه ودرست البلاغة ، وعلوم اللغة وفقهها ، وأحطت بشواردها وأوابدها إحاطة السوار بالمعصم.

« وكنت أقدر أنني سأجتر هذه الثقافات العربية الصميمة فى صقل استعدادى وموهبتى الشعرية. إلا أننى شهدت فى مطلع حياتى صرعى الشعر وأشلاء الشعراء تحت أقدام المشعوذين ، وشذاذ الآفاق ، والمتجرين فى سوق الأدب الفارغ ، والكلام الساقط ، واللغة الدارجة ، على أرض خبيثة .

« ثم تعاقبت المحن الثقال مع الليالى الطوال . فأخذت المجاعة بخناق وخناق الأطفال وتلقيت وحشية الاغتراب[1] ، ونكد المرض ، وفقدان الأوطان والإخوان ، وضراوة المجاعة ، فى بيت لا يؤنس بقايا الآدميين فيه إلا الأنين ، والدموع ، والأنفاس اللاهثة . فلم أر أن أضيف إلى هذه المحن القاصمة محنة الشعر . فتركت ثقافتى واستعدادى ، وموهبتى الشاعرة ، أمانة فى ذمة الأيام إلى الزجل ، أنظم به المسرحية والموال والأغنية » .

ويختتم بقـــوله :

«وكم استأجرنى كل دعى ومتسلق ، لقاء منحى القليل من الاثابة والمكافأة التى أجابه بها شظف العيش ، وخشونة الحياة، ودعوة حاقد استجابت لها الأقدار، فبت أرزح تحت وطأة الهم والرزء والجوع الأزلى » ...

* * *

بهذا التصوير الدقيق يقدم لنا « بيرم » نفسه . ولعله فى هذه الترجمة يوفر علينا البحث فى أصل هذه التنشئة التى أخرجت لنا ذلك النضوج الفذ فى شخصيته وكفاءته ، وفى حقيقة هــذه الجذور التى أنتجت تلك العبقرية النادرة فى تكوين « بيرم » ، وإعداده هذا الاعداد العجيب الذى تميز به عن أنداده وأرباب فنه .

* * *

(١) يقصد نفيه خارج وطنه مصر حين شردته السلطات فى عام ١٩٢٠ ، بنفيه إلى تونس ، ثم فى عام ١٩٢٤ بنفيه إلى فرنسا ، إلى أن عاد خلسة إلى وطنه أخيراً فى عام ١٩٣٨

ولقد كانت حقا، تظهر فى الصحف المصرية،حينذاك، مقطوعات من الشعر والزجل فيها روحية « بيرم » ولـكنها تحمل اسماً غير اسمه .

ولقد اضطر بسبب ضيقه فى غربته إلى أن ينظم الشعر أو يصوغ الزجل لغيره. وكان يقدم القطعة التى ينظمها ببضعةمن قروش لتعينه على حياتهالتى كانت قد تأزمت ، وجعلته يتلمس القوت بأشق الوسائل على نفسه .

تماما كما كانت الحال بالمرحوم الشاعر « عبد الحميد الديب » ، الذى كان ينظم القصيدة من الشعر بقرشين ، أوبقرش ، أو بقطعة من السندوتش،« يبل بها رمقه . وكان يكتب بخطه أحيانا فى ذيل القصيدة اسم طالبها منه .

ويسجل « عبد الحميد الديب » ذلك فى بيته العجيب ، وكأنه نظمه عزاء لنفسه ونفس « بيرم » .

« بين النجوم إناس قـــــد رفعتهمو

إلى السماء فســــدوا باب أرزاقى »

من هو بيرم بين الأدباء ؟

اعتادت الجماهير أن تذكر فى مجالسها من يكثر الحديث عن نفسه ، من الشعراء أو الأدباء أو من يثير من حوله ضجة يرمى بها ، من قريب أو من بعيد ، إلى الدعاية لمكانته بين أنداده .

ولكن « بيرم » كان من انطوائه على نفسه ، واعتكافه عن الناس ، وعن المجتمعات العامة . ومن هدوئه وقناعته ، وعدم حبه للزهو ، و بعده عن الغرور ، ما جعل الكثيرين لا يكترثون له :

ولهذه الأسباب قل من شعر ببيرم ، وأحس بجدارته

والذين يعرفون « بيرم » على حقيقته قلة هم المعنيون بالدراسة والمقارنة فى الأدب الرفيع . و إن كان البعض منهم ، أيضا ، منعته الأثرة والغيرة من الاعتراف الكامل بمكانة هذا الأديب .

لقد كان « بيرم » بعيداً عن الزهو ، والتظاهر - كما أشرنا — لذلك لم تمتلىء بذكره فى حياته أعمدة الصحف ، من حيث ألفنا أن نقرأ المظاهرات الصحفية ، والمجادلات من بعض الكتاب والأدباء .

ولكنه ما فارق الحياة حتى نشطت فى الإشادة به أقلام منصفة ، قدرت الرجل حق قدره ، وصححت ، من ناحية أخرى ، ما كان يشيعه عنه الغيورون والحاقدون ، من أنه أديب سليط اللسان ، سوقى الألفاظ وضيع المعانى ، ذلك لكى يحطوا من كيان الرجل ، و يشغلوا أذهان الناس عن قدره وامتيازه .

ومن هؤلاء الغيورين ، أو الحاقدين ، أحد كتاب الفكاهة والشعر والزجل.

وكان يرأس تحرير إحدى المجلات الفكاهية[1] كان « بيرم » وهو فى المنفى خارج الوطن يرسل إليه انتاجا غزيراً مدى عام كامل لينشره له بأجر، فكان يخفى الكثير منه، أو يمزقه حتى لا يثير اهتمام القراء بصاحبه ثم اكتشف « بيرم » مقتبسات من ذلك ظهرت باسم هذا الصديق.

وبلغ الحقد ببعضهم — قبل أن يمنح بيرم الجنسية المصرية (وكان المنح فى عهد الثورة سنة ١٩٥٤) ـ أن يذيعوا نسبته إلى تونس، ذلك من حيث ألصق باسمه لقب التونسى، وأن يجردوه من العلاقة بالجنسية المصرية . مع أنه ولد، ونشأ، وعاش فى مصر وأحب مصر، وتعلق بها، أكثر من وطن أجداده فإن لم يكن الأمر كما قال المرحوم الشاعر « أحمد نسيم » « مصر لمن عاش فى أحضانها وطن »، فلا أقل من أن تنطق جميع أقوال « بيرم » بحبه وتعلقه الشديد بها.

أليس يقول :

واللى أنا متمعشق فيه   وبروحى افديه
ما شفت له فى الدنيا شبيه   ولا فى السموات

من بعد ما أحلف بالله   أحلف بهواه
وعشق له طاهر ترضاه   كل الديانات

والقلب ده يانور العين   ما يساعش اثنين
غيرك مافيش يا ام الهرمين   معشوق بالذات

---

(١) يروى « بيرم أن هذا الشخص هو الشاعر والكاتب الفكاهى المعروف (المرحوم) الأستاذ حسين شفيق المصرى، وكان يرأس تحرير مجلة الإثنين التى أصلها « مجلة كل شيء والدنيا » من مجلات دار الهلال . وقد هجاه بيرم بقصيدة قاسية رأينا أن نهمل نشرها، ولعله نظمها فى مرارة الواقع الذى كان يعيش فيه

إن كل أديب من الأدباء ، نحا ناحية الشعر ، أو الزجل ، اشتهر بفرع أو فرعين ، أو أكثر، من فروع الإنتاج ، أما « بيرم » فقد اشتهر فى فروع شتى لم تجتمع لأى أديب من الأدباء .

كتب بالنثر والشعر والزجل المقامات الشعبية ، والمقطوعات الشعرية والزجلية ، فى صور الحياة الاجتماعية ، وتقليد الشعراء والكتاب ، والفوازير ، وعلى الأرغول، وعلى الربابة،والقصص القصيرة والطويلة باللغة العامية، والمواويل البلدية ، والأغانى، والأوبريت ، والروايات القصيرة للاذاعة ،والروايات الطويلة للمسرح والسينما ، والملاحم ، إلى غير ذلك .

كتب فى كل هذا ، وأجاد فى الجميع ، بل بلغ القمة فى الإجادة

وعرض فى نقده اللاذع للكثير من مشكلات حياتنا ، ومن أحوال الناس فى جميع الأوساط ، كما هاجم نواحى كثيرة من النظم والأوضاع التى تعيبها الأخطاء . ومن ذلك مقارناته بين ما هو متبع عندنا من أساليب التربية والتعليم، وما يماثله فى الخارج ، وفساد الروتين الحكومى،وضياع مصالح الناس فى دواوين العمل ، والاسترخاء فى المقاهى ، والفوضى فى المنازل ، وجهل المرأة ، والرجل ، والشعوذة ، ونظام الوقف ، والمخدرات . والاختلاسات ، والإسراف ، وغرائز الخيانة ، والاجرام ، وانحراف السياسة ، والزعامة ، إلى غير ذلك .

وكان فى تهكماته ، وسخريته ، ونقده لأخطاء المجتمع ومساوئه ، إلى جانب توجيهاته بالعلاج والإصلاح ، ونواحى فلسفته ، ممثلا لجميع رجال النقد وكبار المصلحين الاجتماعيين والثائرين على الأوضاع الخاطئة ، والموجهين من الشعراء والأدباء .

وقد قال عنه الدكتور « مصطفى مشرفة » :

« لو قيس فن « بيرم » بمقياس الفن الأوروبى لوجب أن يكون فى مقدمة

مراء العالم ، كبارهم لا صغارهم . فهو يشبه إلى حد بعيد شعراء الانجليز : سبنسر ، واليوت بل ، وشكسبير

وكتب عنه الأستاذ « أحمد عبد المجيد الغزالى » :

« هكذا عاش « بيرم التونسى » يطالع الناس فى كل يوم بإحدى شخصيته اللتين كانتا تؤلفان فنه ومواهبه ، وظلت شخصيته كرائد ، وإمام ، وموجه ، وأستاذ ، لكل من زجال ، تنأى به عن الشعر ، وتغريه بالزجل ، حتى استوى على عرشه ملكا متوجا ، فكل زجالينا ، صغيرهم وكبيرهم ، روافد لهذا المحيط عميق الأغوار ، مديد الأبعاد ، متلاطم الأمواج »

وكان يشهد له زميله المرحوم الشاعر الزجال «أبو الوفا محمود رمزى نظيم» ، الذى كان معروفا بأمير الزجالين : بأنه سيد الأدباء جميعاً فى فن الزجل والأدب الشعبي . وكان لا ينعته إلا بأستاذنا « بيرم »

والحق إن هذه الأستاذية التى نسبها إليه زميله « نظيم » ، وهذا التفوق الذى بلغه « بيرم » عن جدارة ، لتمثلها براعته الفذة فى صياغة القوافى الخلابة اللطيفة ، التى لا تخطر على بال ، وصياغته للمعانى والعبارات الجديدة كل الجدة ، والقوية كل القوة

والمثال على ذلك ، مثلا ، قوله من قطعة يعالج فيها مشكلة الحب .

الحب ده حاكم ، وحاكم جاهل ،   يقتل ويأسر فى المرأة والراجل
جاب الشريفة تحت رجل السافل   وجمع المسلم على اليهوديه

* * *

داير بكاسه والأمم عطشانه   يستنظر السهران على السهرانه
يسقى اللى فى المسجد وأهل الحانه   ويبور الأديان على الأنبيه

وقوله وهو يصف القطن :

فايت على القطن كان لسه ورق فى العود

واقفة عليه العذارى تحرسه م الدود

فقلت قادر إلهى يجعلك ى صعود

وان كنت مخلوق عفيفى يقلبك فولى جود

وإذ يخاطب زعيم الانقلاب العثمانى الأول « مصطفى كمال » بقوله :

ياهلــترا وقت ماتلضم بالحيـــــــــل ترطم

حكمت بالشلضم بلضم مآتخافش مـــــــــلام

* * *

صبحت حالا ياإمجاهد للدين جـــــــــاحد

والمسلمين واحــد واحد عنـــــــــداك أغنام

وحين يصور الزواج الغير المتــكافىء بين فقر الرجل وتمرد المرأة ، بهذه الحــكمة :

إن كنت يا ابن العرب راجل فقير وعفيف

فوت الجواز للغنى واقعد وحيد وشريف

دى العنة غالية ولــكن تنشرى برغيف

والفقر يرمى العفيف فى أوسخ الأوحال

ثم هذه البراعة فى التهكم على متعاطى المخدرات الذى قتلته سمومها :

حاتبكى عاللى انفقد ماله وزاد غلبه

إبكى على اللى فى حظه انــكتم قلبه

يالى ربطت الكفن ليه الكفن مربوط

حاش الهوى عاللى داخل تربته مبسوط

وإذ تثيره مناظر النساء على شاطئ البحر فيخاطب ربه :

وأقول له يارب تحرقنى وأنا عبـــدك

واللى عشق واتعشق منك ومن عندك

أنا كنت فى الدنيـــا بتفرج على فنك

قال لى هناك صنعتى لكن هنا حكمى

ثم مقدرته الفائقة فى استخدام الكلمات الأجنبية للقافية العربية بهذه العبارة التى يتهكم فيها على لغة التونسيين .

سألته إسمك محمـــــد قال محمد « وى »

وقلت عندك بطاطس قال لى « نوسيه فنى »

وقلت عندك فاصوليا قال لى « توپا كوى »

شوفتوش بقى بعد ده طباخ « تريه جنتى »

من ذا يمكنه أن يبلغ هذه المقدرة ؟

ثم من ذا يحسن مثل هذا الوصف لمدمنى الجلوس على المقاهى (الملاطيع) :

قاعد لى للبصبصة والرجل فوق الرجل

كراسى مترصصة ، والعجل جنب العجل

طالع لى فى الخنشصة ، وامه بتاعة فجل

لكن سبب نفخته عمه ، جوز امه ، غفير

هـــذا هو بيرم التونسى .

أسلوب بيرم

تناول « بيرم » مظاهر الفساد فى المجتمع بأسلوب لاذع من التهكم ، بلغ فيه أحياناً حد الاقذاع . وعالج الصور التى استخلصها من نقده لشتى الأوضاع النابية بنوع فاضح أحياناً من الأدب المكشوف ، قد يؤخذ عليه فى البعض ، وقد يغفر له فى البعض الآخر .

وقد يكون لحياة « بيرم » فى البيئة التى لازمها فى أول عهده ، بعض الأثر فى ذلك ، فضلا عن الملابسات التى تحيط بالموضوع الذى يتناوله .

ونستمع إلى « بيرم » وهو يصور لنا البيئة التى عاش فيها فى أول حياته .

« كان حى رأس التين المجاور للأنفوشى صورة طبق الأصل من عشش الترجمان القاهرية . الرجال يرقصون القردة ، والنساء تسعى فى الأزقة تميز ترعى القمامة ، والأطفال يجمعون السبارس .

« كانت أكثر مبانيهم مؤلفة من عشش الصفيح ، المرقعة بالخيش والأبراش ، يعلوها الدجاج والمعيز . وكان قسم كبير من هذه العشش يمتد فى شارع رأس التين الموصل إلى السراى ، يتفرج عليه السفراء والقناصل فى كل تشريفة .

« وأسوأ ما كان يعرف عن أهل رأس التين هو الشجار الذى يقع بين نسائهم ، بتعابير يهتز لها عرش الرحمن ، و بألفاظ ترقص عليها الشياطين . . »

بما تتخيله من صورة هذه البيئة كان المؤثر الأول على « بيرم » ، وهو ما جعله يردد ، دون حساب ، بعض أنواع تلك التعبيرات التى كان يسمعها ، والتى زودته ألفاظها بحصيلة شعبية لم يشاركه فيها غيره . فإذا أضفنا إلى ذلك حالة الانحدار ، التى كانت بادية فى ذلك الوقت على المجتمع العام ، ندرك السبب

الذى حدا ببيرم إلى أن يستخدم ألواناً من الألفاظ السوقية ، وعبارات الهجاء السافرة ، والصفات الساخرة اللاذعة .

وهو يفسر لنا أمر ذلك فى رده على قارىء اسهجن منه استعماله لأمثال تلك الألفاظ والتعبيرات ، بقوله :

« رويدك أيها الكاتب الملتهب . فقد نقلنا إليك شيئا سمعته بأذنك ، عن شىء رأيناه بأعيننا . إننا قبل أن نحاول تبرير مسلكنا نوافقك على أننا خططنا بهذا القلم تلك الألفاظ البذيئة كما قلت ، المخجلة كما وصفت . وقد كان غرضنا أن تكون بذيئة ومخجلة . ولئن تتلطخ صفحات المسلة[1] بمثل ما رأيت فهو أحب إلينا من أن نرى ماخوراً مفتح الأبواب فى أكبر ميادين العاصمة ، وفيه الآداب تذل ، والمروءة تنتهك ، وأحوال الشبيبة تضيع .

« وما كنا نتوقع أن يكون بين قراء المسلة قارىء تخفى عليه أغراضها فيسىء الظن بنية كاتبها . فإذا فهمت أنت أننا نريد بما كتبناه هدم الأخلاق أو نشر الفساد ، فأنت ضال عن مهجنا ، قصير النظر عما ذهبنا إليه .

« هذا الطبيب يعالج الداء فى بدء الأمر بالعقاقير البسيطة فإذا خبث الداء ، واستعصى فلا سبيل إلا إلى عملية جراحية ، تنزف الدم ، والقيح ، أو البتر ، حيث يكون الشفاء أو الموت . وكلاهما صلاح وإصلاح » .

هذا هو المبرر لبيرم فيما كان يصدر منه أحيانا من ألفاظ نابية ، أو عبارات سوقية وقد يكون فيما أشرنا دفاع عن هذا الكاتب فيما يحويه إنتاجه الأدبى من بعض الفلتات اللفظية . و إن كان لا يغفر له هذا بعض الهفوات النابية التى لا بد أن تحسب عليه ، حيث لا يقوم له عذر فيها .

(١) أول مجلة حررها وهو بالاسكندرية . وصدر أول أعدادها يوم الأحد ٤ مايو سنة ١٩١٩

وقد تعمدت من ناحيتى ، فى هذا الكتاب أن أستغنى عن الفقرات التى جاءت فيها الألفاظ أو العبارات النابية ، مستكفيا بالذخيرة الصافية التى لا تحصى من إنتاج « بيرم » .

ومن له من إنتاجه الآلاف من القطع الرائعة لا يجب أن نؤاخذه على بعض الفلتات . بل أننا لنغتفر له حتما هذا الانطلاق الجارف الذى لم يتمكن من كتمه ، أو كبح جماحه ، وهو فى دافع شديد من فيض دافق من الإنتاج ، لا يتحكم فى غربلته ، أو تصفيته ، الكاتب الفياض ، الذى يريد أن يعبر عن كل شىء ، وأن يلمس الحوادث جميعاً ، وأن يصور كل الأحداث بواقعيتها وطبيعتها .

* * *

وقد تميز « بيرم » بألفاظ بلدية غريبة على أسماع الكثيرين ، لأنها من التعبيرات العامية العميقة .

وبعض هذه الألفاظ من أظرف ماتسمعه الأذن فى دقة التعبير ، وصدق الغرض الموضوعة له ، فضلا عن مقدرة « بيرم » الفذة ، ومطاوعة اللغة له ، وتحكمه فيها ، وسعة قاموسه فى العامية ، وبراعته فى استخدام اللفظ الناجح .

فمثلا يستخدم لفظة « شباط » . فى التعبير عن العراك ، بدل لفظة « شكل » المألوفة .

ولفظة « النشة » . فى التعبير عن السيدة البالغة السمنة . .

وهكذا

ونعرض بعض النماذج من ألفاظ « بيرم » ــ البلدية ــ الفذة

يقول « بيرم » مثلا ، للزوجة المناكفة :

« غلبتى جوزك وعلمتيه على (الزناز) »

ويقول فى وصف الفوضى المتسببة فى نظام البيت من زوجة العامل الجاهلة :

« والأرض (تشفى) من طبيخها كناسة »

« خطى الـكانون و (البرمتين) والطاسة »

وفى وصف « الستات البلدى » فى داخل عربة « السوارس » — وهى عربة ذات شكل خاص كانت إلى عهد قريب تنقل الركاب بأجر زهيد بين بعض الأحياء الوطنية ويجرها الخيل

« أو واحدة فى حضنها قرطاس (يزك) الأنف »

« قرطاس ملان (بالـكلخ) و (العكنة) و (الحلتيت) » .

وفى وصف حالة أحد البـكوات فى أيام الرتب ، وهو تاجر خضروات من أصل وضيع

« ولما فات (الهفق) و (الصرمحة) رافق »

« فى سوق خضار مصر بياعة بلح أمهات »

وفى وصف الفضولى على الفن ، المتعاجب بنفسه :

« يامطول الشعر و (مشلشل) (بدلدولتين) و (مبلم) » .

ويخاطب السيدات :

يابنت بأنى الهرم لمى (هلاهيلك) » .

ويصف مرة ولدا من أولاد البلد فى لعبه مع ابن « صول » من البوليس

« لعب أمين بن نظلة مرة (طب الميس) »

و« طب الميس » تعبير سوقى عن لعبة « الكرة الشراب »

ثم وصفه للأصوات التى سمعها ، وهو فى تونس ، من الإذاعة فى أول عهدها أيام إدارة شركة ماركونى لها :

« صوتهم (يطشطش) فى ودنى ولا (طشيش المقالى) »

وهذا تصوير غريب ليس أنجح منه فى مثل التعبير عما يحسه الانسان من الصوت المضطرب لعدم ضبط الموجة .

ثم يقول فى هذا الزجل أيضاً عارضاً صورة مهائية لقبح الإذاعة حينذاك :

(تحود) و (تلود) و (تربع)

زى الحمـــار الحصـــاوى

وكل هذه التعبيرات اللفظية ، بالعامية العميقة ، تصوير عجيب لا يخرج إلا عن خيال بارع ، ومن ناقد مصور ، متمكن من فنون الأدب الشعبى .

هذا فى اختياره للألفاظ ، عامية كانت أو عربية فصيحة أما فى فن النثر المرسل فإن « بيرم » ، بلا شك ، قد أجاد فيه إلى حد بعيد .

والذى نعجب له هو هذه العبقرية التى اتسم بها ، وهو لم يتخرج فى معهد رسمى ، أو جامعة من الجامعات ، بل كون نضجه تكوينآً من جهده الشخصى ودراسته الخاصة .

إنها عبقرية لن تجارى ، ولا نحسب أن الزمن سيجود بمثلها مرة أخرى إلا نادراً

* * *

نقد البعض « بيرم » وهاجموه من غير حق ، فى إيثاره للعامية .

قالوا إن عاميته لا ترقى إلى درجة الأدب الرفيع ، ونكروا على العامية قيمتها كلغة أصيلة ، لها مكانتها وقدرتها فى الأداء .

و بعض الناقدين من الجاهلين ، والبعض من الحاقدين .

« ولبيرم ، كما قلنا ، حساد كثيرون ، حرضتهم الغيرة على أن يبخسوه حقه من التقدير ، ومنهم من كان يشنع عليه بشتى الطرق ، ومن كان يخونه الأمانة .

وكان « بيرم » نفسه يشعر بذلك ، ولا يوليه اكتراثا ، حين كان يؤمن برسالته كناقد مصلح ، كرس جهده لخدمة المجتمع . وهو يلمح إلى هذه الحقيقة بقوله ، فى مطلع قطعة بعنوان « الشرق » :

من قبل ما أكتب أنا عارف   القول ضايـــــــع
والأجر بالتأكيد ذاهب   حسب الشايـــــع
والشتم حايجينى مسوجر   من واد صايـــــع
مهما انكويت بالنار والزيت   يرضـــــك فنان

بيرم و اللغة العامية

آثر « بيرم أن يتخذ من اللغة العامية ميدانا ليتجاوب فيه مع الشعب فى صميم حياته الواقعية ، فمارس الكتابة بالعامية ، من حيث هى لغة الحياة ، حتى هز المشاعر بمقدرته فى ميدانها الذى تعذر ولوجه على الكثيرين .

و بيرم الذى كتب فى كل فنون الأدب ، من شعر رصين بليغ ، وزجل لطيف أخاذ ، ونثر سليم ممتاز ، بالعربية الفصحى ، و بصور مختلفه فى الأدب البحت ، وفى السياسة والاجتماع ، وفى القصة على اختلاف ألوانها ، وفى نوع المقامات الشعبية التى تمتزج فيها الفصحى بالأدب الشعبى ، ويتطعم فيها الجد بالفكاهة . وفى تقليده المقتبس من القرآن الكريم ، وفى محاكاته لأساليب المشاهير من الكتاب لم يكن إيثاره اللغة العامية على الفصحى عن ضعف

وقد تبدو اللغة العامية سهلة فى الظاهر ولكنها تستعصى على قلم الكاتب ، حينما يحاول أن يوطنها إلى فن الأدب ، ويتخذ منها وسيلة للتعبير عما يريد عرضه كقطعة أدبية يجلو بها روائع إنتاجه

اتخذ « بيرم » اللغة العامية ميداناً لإجلاء روائعه فى فنون الأدب فكتب بها أزجاله ، ومواويله ، وأغانيه، وملحماته،ومسرحياته . وكتب بها قصصاً قصيرة وطويلة ، و برع فى كل ذلك براعته فى نظم الشعر العربى الفصيح .

ونسجل هنا كلمة قيمة للأستاذ الجليل أمين الخولى ، فى حديث له عن « بيرم »[1] متناولا الكشف عن طاقة اللغة العامية فى كيان الأدب العام :

« إن حياة « بيرم » الحافلة شاهد على الحاجة الماسة الدافعة إلى استعمال لغة الحياة فى مختلف الفنون ، من مسرحية ، وصحافية ، وعملية .. إذ كان الرجل

(١) مجلة الأدب ، العدد العاشر ، مارس ١٩٦١ السنة الخامسة

مع الطاقة الفصيحة التى أثبتها أقوى الاثبات وأبرعه ، يعمد إلى استعمال لغة الحياة ويؤثرها ، ويبلغ بها من التأثير على الدنيا ذلك المبلغ الكبير .. وتلك فيما يستبين — شهادة — للغة الحياة لا يطعن فيها ولا تجحد .. وأحسب أنه لا موضع للمماراة فى جدوى استعمال لغة الحياة ، بعد هذه التجربة الطويلة ، بل إن هذه التجربة لتشهد أنه لا حياة للغة الرسمية إلا بقدر ما تستطيع أن تكون لغة الحياة

« وحياة «بيرم» تجربة فى هذا شاهدة ، ينبغى أن تقدر دلالتها على أن اللغة العامة لا تقدر الكفاية للتعبير عن كرائم المعانى وكبار الأهداف وجلائل الأغراض.. بل إنها، باستطاعة التأثير على النفوس والوصول إلى القلوب، تستطيع مالا تستطيعه اللغة الأخرى من ذلك وتبلغ فيه مبلغاً لا تبلغه الأخرى .. وتنطلق إلى آفاق فسيحة ، كريمة ، تؤثر أن تعبر عنها بتلك اللغة الحيوية فيسعفك تأثيرها على الإقناع بها .

« وليس مما يصح كثيراً القول بأن لغة الحياة هى ، دائماً وأولا ، لغة الأغمار الجهال الذين لا يعرفون من الحياة إلا ما يقوم به بناؤهم الجسمى وكيانهم الحيوانى، ولا بد لهم بشتى من المعانى العالية ، ولا تستطيع لغتهم التعبير عن أغراض سامية .

« وليس المعرفة ، ولا الخبرة، بل ليست الحكمة نفسها موقوفة على القارئين الكاتبين ، بل إن الذين يمارسون الحياة ممارسة عامة، والذين لم يقرءوا ويكتبوا، قد يتهيأ لهم من المعرفة والثقافة مالا يتهيأ شىء منه للذين وقفت معرفتهم بالدنيا عند فك الخط وقراءة الورقة .

« وحسبنا استطرادا فى الحديث عن طاقة العامية ، فإنما كان القصد الأول إلى بيان ما لبيرم من قدرة على الانتفاع بطاقة العامية والحكمة الاجتماعية ،

والنقد السياسي والأدبي ، وغير ذلك مما ترك فيه آثاراً شاهده بطاقة لغة الحياة ، التي آثر استعمالها ، وأجاد .

« ومما نحن فيه من وقوف عند تجارب الأديب الشعبي الوقوف عند بلاغة لغة الحياة ، في آثار الرجل ، ومدار تلك البلاغه وأساسها ... وما يخفى من معرفة مواطن تلك البلاغة فيها ، على من يحاولون استعمالها الفني اليوم . فلا يتهيأ لهم ذلك القول البليغ بها إلا لقلة محدودة فيهم .

«و بلاغة العامية لا تكتسب بالمدارسة والتلقي المتعلم . لأنها لا تجد فرصة من التعليم والتلقين ، في مدرسة ، أو في معهد . بل هي محرومة من ذلك تماماً . . . فلم يبق سبيل إلى معرفتها واكتسابها إلا الممارسه المجربة المزاولة ، يسعفها الذوق الموهوب ، والملاحظة الحساسة ، والوجدان الشفاف .. حتى يتهيأ من كل أولئك مجتمعة ما يرجى من الشعور بوقع التعبير ، وتمثله بالحواس كافة فتحسه ، وتظفر منه بالادراك الحسي ، كما يقول النفسيون،ويصل الأمر بصاحب الموهبة الذوقية الممارس إلى أن يرى الكلمات شاهدة و يسمعها معبرة ، ويذوقها ذات طعم . ولا يبعد عليه أن يتبين للكلمة ملامح وقسمات محببة ، خفيفة الدم أو ثقيلة الظل ، كأبناء آدم الذين يراهم في أوضاع من ذلك متفاوتة . و يسمعها كذلك نغما رناناً صافيــاً ، أو أجش كابياً كأنغام الموسيقى في التوقيع والتلحين ويذوق الألفاظ طعما حلوا ، أو مراً ، كالطعوم والأشربة ، وهو يشمها كذلك عطراً وطيباً ، أو خبثاً ونتنا .

* * *

«وإذا كان الأمر في كسب بلاغة العامية ودقة الحس بها ، على نحو ما تهيأ لأديب الشعب « بيرم » فإنا لا نلفت الراغبين في شيء من القول البليغ بهــذه اللغة العامة إلا إلى تلك الممارسة المجربة ، يهتدون بها

وفي فن بيرم الشعبي ، وتجربته الحيوية في استعمال اللغــة العامية ما يفسر

كل الذى نريد أن نقوله هنا عن بلاغة العامية ، وطريق إدراكها وكيفية إحساسها وتذوقها . فقد كان أديب الشعب من أكثر الناس توفيقاً ، فى التذوق اللغوى وعن هذا التذوق النفاذ كان يتخير عباراته ويواتيه من التخير تدفق منطلق ، حتى لا يحوجه الوزن إلى تغيير الكلمات ، وتأليف الجمل فى اللغة العامة، فتحمل كل ما لها من تأثير ووقع ، وهى فى نظمه من زجل أو موال ، أو أغنية ، كأنها تجرى فى الحديث العادى المرسل . . . وكذلك تقدم تجربة « بيرم » الفنية المثل والشاهد ،ووسيلة الإيضاح ، التى نلتمسها فى بيان بلاغة العامية» .

وفى هذه الكلمة البارعة من الأستاذ الكبير « أمين الخولى » ما فيه الكفاية فى الدفاع عن مكانة اللغة العامية ، و بلاغتها فى التعبير والأداء ، ومقدرة « بيرم » الفذة فى استخدامها بنجاح منقطع النظير .

بيرم المصلح الاجتماعى

الذى يدقق البحث فى إنتاج المرحوم « محمود بيرم التونسى » لا شك أنه سيحس أن « بيرم » كان يجمع فى نفسه خلاصـــة كثير من مذاهب رجال الإصلاح ، الذين ظهروا على مسرح الإنسانية .

منهم « دانتى اليارى » شاعر إيطاليا الـكبير (١٢٦٥ — ١٣٢١) صاحب « الـكوميديا الإلهية »، وهى المسرحية الرائعة التى صور بها الجحيم الذى يتوعد به الله عباده . وقد عانى « دانتى » آلام النفى والتشريد ، وهو أول من كتب باللغة الإيطالية التى كانت تعد فى وقته اللغة العامية للغة اللاتينية .

ومنهم المصلح الدينى « مارتن لوثر » ، زعيم الإصلاح الألمانى (١٤٨٣ — ١٥٤٦) الذى ثار على الـكنيسة معترضاً على سلطة البابا المطلقة ، التى جرت إلى المساوىء التى عهدتها القرون الوسطى فى منح صكوك الغفران، والنذور الرهبانية، وإكرام القديسين ، والإغراق فى التبتل ، حيث قال : « إنى أحتج » . فكان مؤسساً للمذهب البروتستنتى ، مذهب المحتجين .

ومنهم « وليم شكسبير » ، الشاعر الانجليزى الـكبير (١٥٦٤ — ١٦١٦) الذى ألف المسرحيات الخـالدة فى نقد المجتمع الأرستقراطى ، وأسرار القصور الملـكية فى بريطانيا ، والذى حلل عواطف الحب والبغض ، والأمانة والجريمة ، فى رواياته المسرحية الـكثيرة ، التى منها « عطيل » و « هملت » و « ماكبث » و « العاصفة » و « يوليوس قيصر » و « روميو وجولييت » ، وغيرها .

ومنهم « جان موليير » ، شاعر فرنسا الحر الجرىء (١٦٢٢ — ١٦٧٣) الذى عالج موضوعات الحياة فى المجتمع الفرنسى ، وفضح المساوىء ، وعلى

الأخص البخل والاحتيال ، هادفا إلى تهذيب الخلق برواياته التمثيلية الهزلية ، التى منها « البخيل » و « العامى النبيل » و « مريض الوهم » و « الطبيب رغما عنه » ، وغيرها . وهى بأسلوبه التهكمي النافذ .

ومنهم « جان جاك روسو » ، أحد كبار دعاة الثورة الاجتماعية فى تاريخ فرنسا . (١٧١٢ — ١٧٧٨) ، وكان لمؤلفاته ، وكلماته القوية ، الأثر البالغ فى قيام الثورة الفرنسية . ومنها « أميل » و « العقد الاجتماعى » ، وغيرهما

ومنهم « جان جيته » ، الشاعر والكاتب المسرحى الألمانى ، (١٧٤٩ — ١٨٣٢) ، صاحب مسرحية «فاوست» التى عالج فيها الصراع بين الخير والشر ، وصاحب « آلام فيرتر » التى تصـــور النواحى الإنسانية العميقة من الألم والحرمان والصبر .

ومنهم « آرثر شوبنهور » الفيلسوف الألمانى (١٧٨٨ — ١٨٦٠) الذى نقد المرأة أشد النقد ، وهو صاحب مذهب التشاؤم

ومنهم « ليوتولستوى » فيلسوف الإنسانية الروسى، (١٨٢٨ — ١٩١٠)، الذى ثار على الزعماء من الحكام والأكليروس ، فمهد للثورة ، وناصر الطبقة الفقيرة من الفلاحين والعمال ، ودافع عنهم فى قصصه البـديع ، وكلماته الرائعة ، وفى مقالاته ومؤلفاته

ومنهم « رابندرانات طاغور » شاعر الهند العظيم، (١٨٦١—١٩٤١)، الذى حلل مختلف الشخصيات ، وبالأخص المرأة التى نظم عنها فى الحب والحياة أروع القطع الشعرية ، وكتب أبدع وأرق القصص فى الوطنية والسلام .

ومنهم « برنارد شو » ، الفيلسوف والكاتب المسرحى الإنجليزى الساخر (١٨٥٦ — ١٩٥٦)[١]، الذى نقد جميع الأوضاع الشاذه بجرأة لم تتوفر فى

---

(١) راعينا فى ترتيب السنين تاريخ وفاة المؤرخ له .

أحد غيره . وهو صاحب المسرحيات الناجحة التى منها : « بيوت الأرامل » و « رجل الأقدار » و « كانديدا » و « بيجماليون » .

لقد جمع « بيرم » فى نفسه خلاصة من مذاهب كل هؤلاء .

يزيد على ذلك خلاصة من آراء شعراء الحكمة ، والفلسفة ، والوعظ ، والنقد ، والوصف ، فى التاريخ الإسلامى بأجمعه . أمثال «البحترى» وأبى العتاهية و « أبى تمام » و « ابن الرومى » و « أبى العلاء » ، وغيرهم

* * *

ها هو كمصلح اجتماعى يعرض الفارق بين الحال فى وطنه والحال فى البلاد الأخرى التى أتمت مدنيتها ، ليقدم بذلك درسا فى الإصلاح .

حا اتجن !

حا اتجن ، ياريت يا اخوانا مارحتش لندن والا باريز
دى بلاد تمدين ونضافة ، وذوق ولطافة ، وحاجة تغيظ

ما لا قيشى جدع متعافى ، وحافى . وماشى يقشر خص
ولاشحط مشمرخ ، أفندى ، معاه عود خافه ، ونازل مص
ولالب أسمر ، وسودانى ، وحمص ، وانزل ياتقزقيز
حا اتجن ، ياريت يا اخوانا ما رحتش لندن والا باريز

ولا عركة فى نص الليل ، دايرة بالحيل ، وساحبها بوليس
قدامها جدع متجرجر ، وشه معور ، قال ده عريس
الخلق مـا هى بتجوز ، واشمعنى احنا مافيش تمييز
حا اتجن . . . .

ولا واحدة فى وش الفجر تبرطع ، مالية الدنياصوات
قال إيه جوز خالتى أم احمد سلفة أخوها السيد مات
سبحانك ، ما اعظم شانك،والله الموت دا مفيد ولذيذ
حا اتجن . . . .

ولا واحد طالع يجرى ، وواحد تانى بيجرى وراه
ويقول هاهم ، حصانتك ، يا ابن اللى ابصر إيه عاملاه
لا الشارع غيط يااخوانا،ولا احنا بداره،ولا احنامعيز
حا اتجن

ولا واحد بيبيع حاجة يقول بريال ، وتاخدها بصاغ
يا اخوانا دى حتى الابرة تاخدها بدوشة وقلب دماغ
حلفان،وعراك،ومناهدة،ويمكن ضرب كفوف ياحفيظ
حا اتجن . . . .

ولافيش ميت ألف صعيدى بتوع يانصيب ، ولافيش
ميت ألف معوض داعس، جاى معاه صندوق ورنيش
والله كرهت القهوة ، وحرمت أقعـــد عا الأفاريز
حا اتجن ، ياريت يا اخوانا مارحتش لندن ولا باريز

وها هو ينقد حال الأفراد التى كانت توفدهم البلاد فى بعثات للخارج مهيبا ياالجميع أن يدركوا أن البلاد تريدهم رجالا لمستقبلها .

بعثـــــــات

يافنـــــدى ياللى أبوك باعتك	تتعــــــلم طب
وفايـــــت العــــلم ودايرِ	تعشـــــق وتحب
سبع سنين فاتت وانت	تنظـــــــس ما تقب
خليت أبوك من مصروفك	يكفـــــــر ويسب
سيبك بقى من دى الغربة	وارجع بيـــــع لب
وان شفت فى مصر بطالة	أقعــــــد بطال
دى مصر عايزة رجـــــالة	مش عايزة عيــــال
وحضرتك ياللى بتــــدرس	فى أوربا حقـــــوق
بتعط من قهـــوة لقهوة	سكران ماتفــــــوق
إن كان قانونك يسكت لك	أنا أقـــــول محروق
والله اللى جابك من ضهره	ماخــــد الاخازوق
رجعت له بفرق وقصــــة	وشنب محلـــــوق
وتنجعص له فى الصــــالة	تقرا الجرنـــــال
دى مصر عايزة	. . . .
وحضرتك ياللى بتــــدرس	فــــن الدوبيــــا
وتحت باطـــــك لرفايقك	دفــــتر كوبيـــا

تاكل فراخ وأبوك قاعد | ياكل لوبيــــا
وتشرب البـــيرة وهوه | يشرب سوبيـــــا
حــتى السيجارة مانشربهـــا | الا زنوبيـــــــا
واخرتهـــا تخدم فى وكالة | بثمانيــــة ريـــال
دى مصر عايزة . . . . | . . .

أما اسمه إيـــه اللى فالقنى | وعامل لى عظـــــيم
قال فى الزراعة بيتعــــلم | عـــــلم التطعيم
يقول لى طعم التين يشبـه | طعم البرســـيم
والفلح لمـــــا بتربى | بتربـــــى بهـــيم
يطلع يبرطع فى العزبـــــة | من غير تعلــــيم
والساقية مـا دام شغالة | الطور شغـــــال
دى مصر عايزة . . . . | .

فلوس بتورد م الـكايرو | تحاويل عا البنــــك
كتير ومين عارف يمكـــن | ميت ألف فرنـــك
مــع الولد بيبعترهـــــا | بين هنك ورنـــك
يحط للمشروب عشـــــرة | والجرسون سنك[1]
ويعيش هنـــا زايط هايص | وقرايبه فى ضنك
تقول إذا شفت الحالـــة | ياخسارة المـــال

---

(١) سنك عدد فرنسى معناه بالعربية خمسة .

دى مصر عايزة رجالـــــــة   مش عايزه عيــــال

وينقد الروتين الحكومى ، والتراخى المتفشى فى دواوين الحكومة ، حتى تتعطل منه أعمال الجماهير :

دوسيهات الدواوين

فى دى الدوسيهات أشغالك وأشغالـــــــى
بقى لها خمسين سنة فى وضعها الحـــــالى
فيها معاش أرمـــلة قالت يـــــابو عيالى
وعرضحال شاب بائس م العمـــــل خالى
ومشكلة وقف فاتهـــــا خورشيد الوالى
حاططهـــــــا صاحبك وبيقول لك وانا مالى
دا حسى بيه المدير العـــــام باعتها لى
ولسه عايزا لها إمضة مستشار عـــــالى
والا حاتنزل على الأرشيف طـــــوالى
آدى النظـــــام اللى خارب كل بيت مالى
ومركب الفقر أمثـــــالك وأمثـــــالى

ثم ها هو يصور رذيلة الاختلاس التى تنتشر فى مصالح الحكومة وفى طبيعة بعض الأفراد ، ويدعو لذلك بالاصلاح .

الاختـــــلاس

ياواد يافندى الديوان معفن   من كترما بتحشى فيه وتدفن
حايظبطوك عن قريب مكفن   بسرقتك والحنوط عليه

اتوسطت عمتك حنيفـــة وخالتك أم ابراهيم ظريفة
لحد ما البيه عطاك وظيفـــة يادوب عشان تقبض الماهية

جيت انت يادولة الموظـــف بدل ما تهتم أو تنضف
بديت لنا تختلس وتخطف من مال جناب أمك المالية

إلهف وشيل ، الفلوس ، ياشاطر وشغل اللمس فى الدفاتر
دا كل راجل شجاع ، مخاطر والجبن للطفـــل ، والولية

إسرق يامجدع ، وخد عنينا يامضحك الانجليز علينا
ما دام دا عاجب أمك أمينة إعمل خلاصك يانور عنية

فى مصر أربـع تلاف محامى أشوف عددهم أقول ياحامى
أتارى فيـــه مليونين حرامى وكل واحد عليه قضية

ياواد يافندى العقاب قريب فى ذمتى إنك عملت طيب
لا بد من يوم يجيك يشيب سعيد[1] يزيحك من التكية

إن كنت تسرق دى حسبة واهية إسرق وخليك تروح فى داهية
تصبح بيوت الحكومة زاهية من خلقة المجرم الردية

إن كان يحب الوزير يوفر يقوم يراجع فى كل دفتر
يلاقى نص العدد وأكتر يستاهل الرفت والأذية

(١) يقصد سعيد باشا الذى كثرت فى عهده التكايا

لو نزبط الخيص . والرشاوى نرتاح من الصرف والبلاوى
ولمـا قال يرفعوا الدعاوى يبقى اللى يحـكم تجيه رذية
دا جيش ياعالم بألف فرقة بتنصرف له الفلوس بحرقة
لله فى لله ، كان وسرقـــة الله يخيب دى فنطزيـــة

ثم يتناول مشاكل الرشاوى فى القائمين على خدمة الجمهور من موظفى الحـكومة ، بهذا التصور الرائع لحالة من الحالات التى يتـكرر حدوثها دائما :

شغل الحـكومة

عيلة بناتها ثمانية ، وأربعه صبيـــــــان
ميت أبوهم ، وأرشدهم جدع غلبـــــــان
باع نص بيت ملك واتوكل على الرحمـــن
يفتح له دكان بقــــــالة زى بعضيشان
دفع إيجار السنة ، وخلو رجـــــــل كمان
جينـا بقى للمساعى من ديوان لديوان
قال فهمى افندى : الرفوف تبعد عن الجدران
وحسنى افندى يقول : الحيطة ناقصة دهان
وبكرى افندى ، حكم بالغلق عا الدكان
وقال حسن بيه حسين : الفتح فى الامكان
عيال ما فاتت سنة فى المنح والحـــــــرمان
ضاع رأس ماله ، وباع الصنجة والمـــيزان

ثم هو الآن يتناول فى موضوع «الـكوبونات» ، ويقصد نظام البطاقات.

التموينية ، ما يبدو من جفوة النظم الحكومية فى المشرفين على خدمة الجمهور من رجال الحفظ ، والعناء الشديد الذى يصادفه الناس فى التفاهم مع المتغطرسين من بعضهم : بينما الرؤساء الكبار يمتازون بإنسانيتهم .

الكوبونات

دخلت قسم الخليفة أطلب الكوبونات   لقيت شاويش منتفخ بيبرم الشنبات
قريت عليه السلام بالقول والاشارات   قال لى ارتكن لما ييجى الباتشاويش بركات

وقفنا شلة إلى أن يحضر المذكور   ولما فات المعاون وقفونا طابور
ولما شرف سعادة عزت المأمور   خلانا نذكر آله الأرض والسموات

قلت التذلل إلى الحاكم مهش عيبة   والدولة يلزم لها التفخيم والهيبة
لا يصبح الشر بالقنطار و بالويبة   ولا السجون والحديد ينفع ولا اللومانات

ولما جيت ياجماعة مجلس الوزرا   حسبت روحى راح ادخل فى بلاط كسرى
حجاب ورا كل باب واقفين بالعشرة   وكل حاجب و باشحاجب عليه زغرة
تغير الدم من حمرة إلى صفرة   لكن أخينا العزيز لما دخلت عليه
غير يقينى وأخلف ظنى بالمرة

ثم يتناول موضوع نظار الوقف ، وشرهم ، وعدم أمانتهم فى المحافظة على حقوق المستحقين :

ياناظر الوقف من رب العباد ماتخاف   ولا الحاكم بتملك منك الانصاف
وان كنت اجازف واقول إن البعيد خطاف   أطلع أنا المعتدى وانت من الأشراف

الوقف لك مملكة ، والعدل عنها غاب | لا برلمان يخضعك فيها ولا نواب
عشر سنين وانت تبلع لم حسبت حساب | والمستحقين وراك مايلتقوا عيش حاف

أول سنة رحت لك قلت أما أوفى الدين | تانى سنة قلت لى جارى صلاح العين
تالت سنة رحت انا حجيت وزرت الزين | رابع سنة رحت لك كنت انت فى الأرياف
خامس سنة خمست عالحكمة خشيت | لحد قاضى الشريعة عالبساط و بكيت
طول لتاسع سنة حبل القضية ياريت | سلمت أمرى لربى خافى الألطاف
ياناظر الوقف خليت العبارة خل | وانت اللى صبحت وقف المسلمين ينحل
بكره الأيادى الجديدة بالفلوس تتبل | و يسرسبوها على أروام و بنسيونات

و يتناول أحوال عبيد الله فى علاقاتهم بالتعبد والصلاح ، بينما تحجب مظاهرهم الكثير من الأغراض والغايات ثم ينتهى برأى قاصم فى جنس العجائز من النساء

يارب سلطان جمالك يتعبد بالذات | خالص لوجهك لا للنيران ولا الجنات
لكن عبيدك وخلقك يعبدوك لغايات | صبحوا ، وانا عبد منهم كلهم ترسات

التاجر أما افتقر صلى وصام الفرض | والعمدة لما اترفد جالك وقع فى العرض
والقطن لما انحرق صاحبه سجد على الأرض | وكلهم عالعبادة يطلبوا حسنات

ولما قلت اعملوا بالشرع والسنة | أضمن لكم ياعبيدى الخلد فى الجنة
جات بها المتقين بالحور تتهنى | قام المريض والمكسح بالسبع ركعات

وانا اللى ناوى إذا حققت أحلامى لاحج فى كل عام ماشى على اقدامى
واضبط ميعاد الصلا وامسك على صيامى وانفق جميع ما املكه فى البر والصدقات
تقصف لى أعمر المرة لو حصلت خمسين و بالخصوص لو تكون وحشة من الناشفين
تروق لنا الدنيا ، و يروق لك كمان الدين والخلق تستغنى عن ماشطات وعن دايات

تبلى العجائز بحمى حامية تمحيهم واذا اقتضت قدرتك إنك تخليهم
الأمر لك بس تطرشهم وتعميهم إنت اللى عالم بهم ياخالق الحيات

ويدخل ضريح السيدة زينب فيصور لنا هذه الصورة العجيبة للحقائق التى تختفى وراء أشباح الناس ، فى داخل الضريح الشريف :

ضـــــريح حفيدة محمد سيـــــد الأكوان
زواره تنسى الهمـــــوم وتفارق الأحــــزان
فيــــه جوهرة مفخرة متصورة انسان
أخت الحسن والحســــين • السيدة زينب
وأقرب الناس بعهــــد الوحى والقــــرآن

وفى المقــــام الـكريم محتــــال ومحتالة
عا الزائرين يلعبــــوا نسوان ورجــــالة
تعرفهم المسلمين فيــــكى يابغــــالة
ويدور عليهم نقيب يبحث عن الحــــلوان

وكل يوم تتنشـــل كام محفظة فـــلاح
وكل يـــوم تغنم الشباحـــة والشباح
واحــــــدة الحلق من ودانها باللطافة راح
والثانية ضاع من سكات من صدرها الـكردان

والنصابين . واللصوص قاعدين بشكل مريب
فى القبة « ليلا نهاراً » واسمـــــهم محاسيب
مترصـــــدين بالمقالب ضـــــد كل غريب
والغرب تحضـــــر ألوف من كافة البلدان

وفى المقام الـكريم يدخـــل هاموش وهاموش
يحبوا أهـــــل النبي لـكن ما بيصــــلوش
ويحبوا أهل النبي لـكن ما بيزكـــــــوش
غير قرش . والقرش يا ريته لفقـــــــير غلبان

ثم هو هنا يعطى درساً لجماعة الأمهات فى سوء رعايتهن للأطفال ، منددأ بالإهمال الذى ينهى إلى الموت .

فى التربة حطت ثمانية
لو شفتى يانظلة نهانم خلتك أم رءوف
والموت بيجرف عيالها بالجاروف ويزوف
فى التربة حطت ثمانية ، جنب بعض صفوف
وادى اللى فاضل على اديها ولد مقصوف

جابت فى أول ولادة البكرى فى شعبان

فى النص باين ، وقام كمل يا دوب رمضان

تعالى قال دغدغى له الكعك دى الغابان

ما بات بعيد عنك إلا فى الكفن ملفوف

والثانى كان كل لحظة تعطيه البزة

ولما يصرخ تهـزه ستميت هزة

راح من إديهـا على التربة وله حزة

عالبطن والركبتين من دى القماط الصوف

والتالت اللى حبى لما بلسغ سنتين

فايتاه موسخ وقال خايفة عليه م العين

يقوم على اديه ، ويتدءور ، صلاة الزين

شاف لك وابور الطبيخ والع وراح محدوف

وعاش لهـا الرابع اتناشر سنة بالزور

باعت عليه الأساور فى علب و بخور

طلع عدا كى ، بليد ، ألدغ ، عبيط ، مطيور

يوقع القرش ، ويقول عا الحامة خروف

استنظره الموت ، وفى العيد الكبير جاله

فى اللحم ، لما حشر من كل ما طاله

أ كل فى بيتهم ، و بيت عمه ، و بيت خاله
ويعيد غداه ، كل ما يدخل لأهله ضيوف

والخامس اللى طلع لك من أخوه أعبط
فسد ، وخاب ، ماتشوفيه فى البحر يتلعبط
يا عا الــترمواى بيتقنزح ويتشعبط
وصل الخبر للمرة إن ابنها منسوف

أما رءوف اللى كانت كل يوم توصيه
إذ ان أبوه يسأله عن أى شيء يخفيه
كبر ، وكان ان طلب حاجة ، ولم تعطيه
يدغها العلقة ، والسيم القديم معروف

ولما كان الولد فى نشأته كــداب
والــكدب دا يخلى صاحبه فى الــكبر نصاب
رءوف فى كل الصنايع والوظائف خاب
طفش على الــكمبو مات[1] .ويا اللى ماتوا ألوف

قلت لها يا دلعدى العيل إذا كـــتر
من اللبن يتجعم و يش حال إذا اتفطر

(١) المعسكرات التى كانت منتشرة للسلطات الانجليزية فى ذلك العهد

قالت : ياشيخ كل شيء مكتوب ومقــدر

قلت لها : طب والحجاب ؟ قالت : داشيء موصوف

يانظـــلة هانم ، فى نسواننا أنا كليت
حتى الشتيمة بعيـــد عن ستى ما خليت
قصـــدى صلاح النسا ، والعائلة والبيت
لأن نسوان بلـــدنا رجالتها قحوف

ثم يتناول ما يدور بين الحريم فى البيوت من حوار سخيف ، يسىء إلى الكرامة ، ويضر برقى المجتمع الذى نتوخاه فى أدبهن ، وتربيتهن ، وثقافتهن .

الحـــريم

أنا حا افتح شباك يازكية دى طراوة وساعة عصرية
شوفى ياختى إلناس رايحة وجاية والعربيـــات المليـانة

حلاوة بيتكم ياختى يا فايقة عا الشارع وله شكل وهيأة
يا ما با ابقى ف بيتنا متضايقة كدا وحدى وقاعدة طهقانة

الشيخ ده أبو جبه طرابيشى وحزام متدلدل مناويشى
جه خطبنى وبابا مارضيشى قال مارضيش يسكن ويانا

شوفى شوفى الراجل بيميل عا الشبة اللى معاها العيـل
واهو بيكلمها المتنيـــل واهى ردت زغرة التلفانة

وكان بتجـــاوب بملاطفة　　واهى داخلة معاه جوه العطفة
يخفى النسوان جاتهم قصـــفة　　نسوان اليــــوم الندمانة

والافندى اللى فايده عصاية　　بيعا كس الشــبة ام ملاية
جاك نيلة دى زى الحرباية　　شوف لك وحدة تــكون مليانة

والافندى اللى ببدلة رمادى　　دا يومآتى يفوت م النحيادى
مســتقتل وف حاله وهادى　　كدا زى المعزة السهتانة

وادى جوز بنت حسين أفندى　　أهو ده اللى هناك اللى معدى
وفى صدره المنديل الوردى　　يا خسارته فى أسما الصدمانة

بيقولوا الناس دا مغلبهـا　　ومجوعهـــــا ومعذبهـــا
وابصر مين كان قال سيبها　　ومرافق واحــــــده خيبانة

ياخى جاتها مصيبة فى خلقتها　　دا جدع يستاهل رقبتها
هيه اللى بغســل بسلامتهـا　　تنظر لفــــــلانة وعلانة

خشى أحسن بابا حايشوفنا　　من راس الشارع يكشفنا
يطلع يشـــــتمنا ويكسفنا　　وأبات أنا وانتى زعــــــلانة

وها هو يعالج مشكلة الحب الجنونى ، الذى يندفع فيه الأفراد بطيش وخيبة :

الحــــــب

يا للى تقول الحب نعيــــــم　　بس انت بهيــــــم
ما يعلمك غير التلطيـــــــم　　بين الجمــــــــالات

حسدت عاشق على معشوق   لو كنت تـــــدوق.
تعـــــلم بان الحب خازوق   مش بلح امهـــــات.

ما حد منــــــه بلغ أمله   وركب جـــــــله
ياما عمـــــل و بلغ عمله   بدع الســـــتات

آه لما تاخـــــد مرة ميعاد   وتقف منـــــكاد.
تقول ما جاتش البنت يا واد   ليلتك حـــــومات

تقف من اثنين تحت الـكن   لحـــــة ترن.
لا ست ولا ســـتوتة تحن   على الشـــــحات

ولا أما تتمحك عالباب   وييجى البـــــواب
ويسألك إيه الأســـباب   لك ست ســـــاعات

يا يقول عليك سافل ملعون   يا يقول مجنـــــون
يبقى إن ما كان دايكون دايكون   ضرب مقشـــــات

الحب له تخابيل وأمور   وتاريخ مســـــطور
ودعس كبس من المأمور   عالعربيـــــات

الحب خلا ناسات سهرت   وناسات كفـــــرت
وياما ناس فيـــه انتحرت   ف الدهبـــــيات

ومش مصيبة أما الإنسان   شرفه ينهـــــان.
لما يكلم دى النســـوان   بالعرضحـــــالات.

واللى أنا متمعشق فيه | وبروحى افديه
ما شفت له فى الدنيا شبيه | ولا فى السموات
من بعد ما أحلف بالله | أحلف بهواه
وعشقى له طاهر ترضاه | كل الديانات
والقلب دا يا نور العين | ما يساعش اتنين
غيرك مافيش يام الهرمين | معشوق بالذات

وفى هذه القطعة المؤلمة يصور مأساة فى ملجأ للأيتام بمدينة طنطا، كان جميع الأطفال فيه قد أصيبوا بالانكلستوما، لتناولهم طعاما ملوثاً، ثم حقنوا بحقن غير نظيفة فماتوا جميعاً:

من خوفى لا يجينى | عيل يتيم
ويلوص من بعدى | والناس فيه تشتم
وان رحموه يدخل | فى الملجأ يخدم
سعادتلو الناظر | من غير شهرية

على بيته يجره | يقضى طلباته
ويوماتى على الله | يمسح له بلاطه
وابنه اللى بيرضع | يغسل له قماطه
لا مليم ياخد | ولا شربة ميه

أيتام انصابت | بالانكليسوما
ووراهم ناظر | سايق بالشومه

اتحقنوا ونامـــــوا كات آخر نومة
وانشالوا وراحــــــوا فى الأمة ضحية

حالف ما اتجـــــوز ولا اجيب لى أذية
قولوا ويايـــــــه تحيـا العزوبيــة

وهو هنا يعطى درساً ناجحاً فى قيمة العمل الحر ، اختار له عنوان « الصمايدة » ليكون دليـلا صادقاً للمقارنة بين صاحب العمل أو التجارة ، وحامل الشهادة العيى

الصعـــــايدة

حلال عليكم يا صعايدة تـكسبوا الملايين
بعزمــكم نلتو الفايدة والجيــع نايمــين
فلوس على المصرى عايدة مش على التانيين
خضار ،وسمك، كله مزايدة واشتغل يا زيدان(١)

من غير كتابة ولا قراية تملكوا العمارات
وانا والذوات اللى معايا قال بتوع شهادات
مقعدانا فى تكايا نشحت العــلاوات
فى كل كام عام وكفاية نفختك يا ديوان
شلة كوامل وصوامعه(٢) شقلبوا الأوصاء

---

(١) تاجر جلة صعيدى معروف .
(٢) الكوامل والصوامعة عشائر صعيدية .

كسب الوزير سنوى فى جمعة يكسبه البيـــــاع
اتشطرى لنا انتى يا جامعة واخلقى الصياع
يترصصوا رؤيا وسمعة يلعبوا كونـكان

وها هو يعالج موضوعاً خطيراً ، وهو موضوع أدعياء الأدب والفضوليين على مائدته . و يصور هؤلاء « الهلافيت » وسط بيئتهم . بل إنه ليصور الحالة المعنوية لضيق حال الأدب ، و بؤس حال الأديب .

المـــــــؤلف

عبد السلام أحمـــــدين صالح زناتى جاد
أفندى حاجج ، ولـكن من بنى « شداد »
ما يفوتشى نوبة الصلا ، بعد الصلا أوراد
وكل أسبوع فى بيته الذكر والانشاد

له مكتبة تلقى فيها بهجة العشـــــاق
وللجلال السيوطى لهفـــة المشتاق
ونسخة فى الطب والحـكمة لسبعين داء
وكتاب بخارى كان من ريحة الأجـداد

طلعت فى راس أحمدين يعمل كتاب تأليف
حيث إنه عصرى وجده شيخ طريق وشريف
وصار يصنف ويجمع فى الحـكم تصنيف
شىء عن عطا الله وشىء عن ظافر الحداد

نهار وليل والكتاب يتعاد ويتراجع
وكل صفحة انكتب فى طرفها تابع
سبع شهور والمؤلف ناوى فى السابع
يطبع وصول اشـتراك ويحصل الايراد

قالت مرأة أحمدين لما وحشها البيه
ما اعرفش ليه بس يتعب كل ليلة عنيه
ماشفت مثله يفتش عا التعب بايديه
بشوف عمايله دى وحياة النبي بانكاد

لو كان دا شيء منه فايدة كنت أقول ياطباه
السعى عالرزق واجب ، لم أحد يأباه
لكن حيا الله ؛ كتاب عمرى ما انا شارياه
بقرش تعريفة ، والا قرش صاغ ان زاد

قال ياعبيطة ، بلاش دوشة وقلب دماغ
دا كتاب ثمين فى «العلوم» حقه حداشر صاغ
واهو النهاردة على وش انتها وفراغ
وبعد ما ينطبع ويجيب فلوس يتماد

عبد السلام بالدفاتر دار على الاخوان
من له عشم فيه يناوله الدفتر المليان

عشرين جنيه لهم بالقربة والفنجـــان

والوصل فيه الحساب لـكن ما فيهش ميعاد

قالت له هات لى بقى بدلعدى ملاية

وغويشة واحـــــدة ، ولو مفرد بدلاية

وان كان نقص شىء أكمل مللى وياية

كان الـكتاب اتجمع فى المطبعة يا اولاد

يبعت له صبيانه صاحب المطبعة سلامون

يقول لهم من سريره عندكو الـكركون

لا بالمراسلة أخـــذ حقه ولا بتليفون

آخرتها باع الـكتاب بيعة ورق فى مزاد

واللى اشترك فى الـكتاب وصله الـكتاب ثانى

اللى اشترى فيه بلح واللى اشترى سودانى

واللى اشترى فيه عنب ، واللى طحال ضانى

القصد إن الـكتاب برضك لأهله عاد

ثم يذهب « بيرم » إلى بعيد ، فيصور لنا ، وهو فى باريس ، مرقصا من مراقص الزنوج وكأنك ، وأنت تتلو عبارات « بيرم » فيه ، تتبع الإيقاع الموسيقى فى « جازباند » الزنوج خطوة خطوة .

مراقـــــص الزنوج

تحت فى الظـلام دانسينج
يجمع البــدور والزنج

مخبوطين بحقنة بـــنج
أحلى من حقن مورفين

بنج من جمال أشـــكال
بنج من نغم شغـــال

من جعب قصار وطوال
مندغم نغم شياطين

ترجف القـلوب وتطب
والقدود تميل للحب

هب شدوا حيلـكم هب
ياللى فى الميدان نازلين

طبـــلة العبيد السود
دايرة والنفير ممـــدود

خلت ام أجمـــل عود
تنتقل شمال ويمـــين

تسمع الـــودع بيشن
يقلب الملايـــكة بجن

لمـــا كل عرق يحن
فى المدموازيل جوزفين

ترفـع اليمـــين وتشيل
أختهـــا الشمال وتميل

عالجـدع بشكل جميل
ياختى والعيون · ناعسين

واللى حطوا لون على لون
«وكتوريس» من السربون

والجدع من الـكاميرون
عن عصب أمم غافلين

يشغل الغرام ويقيـــد
فى المهج بفحم عبيد

بدع من أوربا جـديد
بعده بطلوا الـكوانين

واللـــين إديه بتلف خصر يترعش ويرف
جسمه يبتـعد ويخف ضوغرى والجميع شايفين
لابسة روب حرير مكشوف من حروف تشد حروف
اللى ما اتصلش يشوف يعنى كلهم فايزين
يجعل الـكلام ده خفيف عاللى عقله لسه ضعيف
واللى قلبـه لسه عفيف يفهم الشرف والدين

« إن بيرم كان يمكن أن يكون رساماً كبيراً فالـكلمات تخرج من فمــه ، وكأنها عذارى جميلات ، تلبس أفخر الثياب .

والصورة الشعرية تغـــادر خيـاله ، وكأنها مواكب أفراح وأحزان ، تسير إلى دنيا الحواس » .

رشدى صالح

فلســـفة بيرم

هل نقتصر على أن تعرف « بيرم » شاعراً وزجالا ،ومؤلفاً للأغانى ،فحسب ، كما تقف فى معرفته عند هذا الحد ، للأسف ، أذهان فريق كبير من القراء أم الأجدر أن نكلف أنفسنا دراسة أعماله ، وأن نتناول بالتحليل الدقيق أفكاره ومعانيه ؟

ليس من شك فى أننا سنؤمن بعد هذه الدراسة ، وهذا التحليل ، بأنه كان فيلسوفاً .

لم يكن شاعراً ينظم ما لا هدف له.

ولم يكن زجالا يصوغ من العبارات ما يرمى فقط إلى النكتة والمتعة العارضة.

بل كان أعمق من كل ذلك بكثير ، فيما نظم أو زجل .

كان فيلسوفاً بحق .

كانت عباراته السهلة الرقيقة نابضة بالفلسفة العميقة المعنى .

كانت نقداً لاذعاً .

كانت كالسياط التى تدمى الجسد ، وتمزق الجلد .

أليست القوة كلها تنبض مع الفلسفة فى مثل هذه الكلمات ، التى يصور بها « بيرم » قومه ؟

يا مدغدغين بعضكم يامنفعين الناس
يامكسرين جنسكم ياجبرين « بابولاس »
من كان على شكلكم أجسام بدون احساس
حمض الفينيك والسليمانى لهم موصوف

وأليست الفلسفة فى أعمق معانيها فى مثل هذا الوصف ؟

فى مصر أربع تلاف محامى   أشوف عددهم أقول ياحامى
أتارى فيه مليونين حرامى   وكل واحـــد عليه قضية

وفى مثل هذه الحكمة الصادقة :

ياما غنى يشتريها، والفقير مدعوق   والرب يخلق ، ويمنع نعمته المخلوق

بل يكفى دليلا صادقاً على نجاح « بيرم » فى تعبيراته الفلسفية قوله فى تصويره للمرأة مخاطبا الخالق .

ولك قوالب فى الأجسام   غلب الرســـام
يقـــلدك بحجر ورخـام   يـــلقاك أشـطر

وإذا ما قارنا « بيرم » بشعراء الفلسفة والحكمة ، أمثال « أبى العتاهية » و « عمر الخيام » ، مثلا ، فى العبارات القصيرة النابضة ، الصارخة بمعانى الحياة ، وجدناه لا يقل عنهما بل قد جاراهما أحياناً على قدم المساواة والفارق الوحيد بينه وبينهما ، وبينه وبين الكثيرين غيرهما ، أنه قد يصوغ عباراته بلغة العامة، التى تتجاوب مع مفاهيم الشعب ، ليس إلا ذلك ، وهو لعمرى اختصاص لم يتأت لغير « بيرم » .

* * *

ونحن معه الآن فى معرض أقواله :

فلنستمع إليه فى هذه القطعة ذات العبارات المختزلة، والألفاظ الدقيقة المعبرة، التى يحاكى بها فلسفة « أبى العتاهية » فى مقطوعاته الصغيرة فى الحكم والمواعظ ، وهى قطعة رائعة ، بل معجزة حقا :

قال لى مش الدنيا فانية قلت له حقة
قال إيه مراد ابن آدم قلت له طقة
قال إيه يكفى منابه قلت له شقة
قال إيه يعجل بموته قلت له زقة
قال حد خالد عليها قلت لـه لأه
قال لى ما دام ابن آدم بالصفات دى نويت
أحفظ صفات ابن آدم كل ما اترق

وهذه القطعة الجميلة عن الورد ، وهى نوع مبتكر من فلسفة النظم :

يا ورد استنظرك قبل الربيع بربيع
وأوهب لك العمر
واجعل لأهل الملامة فى هواى شفيع
أوراقك الحمر
دى رقتك علمتنى أبقى عبد مطيع
للبيض والسمر
واوهب لك العمر يا اللى عمرك انت قصير
ويقصر الهم
أوراقك الحمر تشرب دم قلبى عصير
يا اغلى من الدم
للبيض والسمر تهدى وانت حر أسير
تنباس وتنضم

ويقصر الهم زولك وانت لسه جاى
في عـــــالم الغيب
يا أغلى من الدم لونك في عروق الحى
حتى مـــع الشيب
تنباس وتنضم قـــدام الرقيب فى الضـــــى
مافيـــكش من عيب

وفى الحديث عن الفن

الفـــن

الفن ياهل الطبيعـة روح تخـاطب روح بلغـــــاها
والفن ياهل المحبـــة عين تـكلم عين بنباهـــــة
والفن ياهل القلوب صوت من سكوت الموت أحيـــاهـا
ياطالب الفن ، إفتح لك كتب فى الفن تقـــراهـــا

يامطول الشعر ، ومشلشل بدلدولتـــين ومبلـــــم
شوف النجوم فى السما ، متوجهين على فين واتعـــــلم
وشوف بكا العين ، وضحك الفن فى الاثنين واتـــكلم
ورد الخـــدود فن فيـــه الفن يتغـــير
طول القـــدود فن فيـــه العين تتحـــير
وكل شـــىء فى الحياة بالفـــن مفـــــير
ياطالب الفـــن

وفى قطعة عميقة بعنوان « بين القبور » ، وكأنها « تابلوه » ناطق بحقيقة الحياة ، وواقعيتها ، فى المفارقات بين طبيعة الفنان فى نفسه ودقائق حياته، و بين محيطه الذى يذيب فيه نفسه :

بين القبـــــور

ياريس الفـــن ، ياسارح بأرغولك   طالب مـــــن الله
إن شفت بين القبور أطرش ينادى لك   أجرك عـــــنى الله
زمر على بلوتك ، واجمع هلاهيلك   وتـــــوب إلى الله

طالب من الله وليه طالبة العبيد منك   ياليـــــل و ياعـــين
أجرك على الله ، لا أجرك على فنك   الفــــن دا زين
زمر على بلوتك، الله يزيح عنـــــك   يوم الحســاب دين

ياليل و ياعين . سهرتى بين تجار النوم   أعـــــدا وأحبـــاب
الفن ده زين بس يرضى القـــوم   وتقول ما يتعـــــاب
يوم الحساب دين . يوفيه الجحود فى يوم   فيــــه الشفيع غاب

أعدا ، وأحباب عليهم تنزل الشيـاطين   محـــــكم جبـــار
وتقول ما تتعاب . جهنم تحشر الظالمين   فى سجن من نــار
فيه الشفيع غاب . وأهله فى العذاب خالدين   لا ليــل ولا نهــــار

وقطعة بعنوان « بنات بحرى » يختمها بفلسفة عميقة رائعة

بنـــــات بحرى

أبواب جهنم فى يونيـــــه تنفتح رسمى
للى على الشط قالت يا جمـــــال جسمى
أفواج بتدخل جهنم بعـــــدها أفواج
وفى كل فوج الزبانيـــــة تلتقى اسمى
لادخـــــل جهنم مع اللى جسمها م العاج
وسطها لما تمشى ينثنى رجـــــراج
تمثال من الحسن فوق الشط والأمواج
قلوب تســـــلم على التمثال وتسمى

وادخـــل جهنم مع اللى خصرها مزنوق
وجسمها فى المـــايوه المخنزر مخنوق
الكورة ترميها فى وشى وأنا مفـــــلوق
تيجى تقول لى ناولنى الكورة ياعمى

وادخل جهنم مع اللى مشعبطة ع البـــار
وتنثـــــنى وتنفرد لى فى أدب ووقار
خلتنى أروح للشيطان اللى قاعد فى الدار
واقول لهـــا إمتى تبقى طالقة زى امى

وأقول يارب تحرقنى وانا عبـــدك
واللى عشق واتعشق منك ومن عنـــدك
أنا كنت فى الدنيا بتفرج على فنــك
قال لى هناك صنعتى لـكن هنا حـكمى

ثم يرسم صورة عجيبة لعزرائيل، يضع اللمسات فيها من جميع الأمم الأجنبية، المتطاحنة فى شرور الحروب والغطرسة :

عزرائيـــــل

فى النوم رأيت عزرائيـــل — مركـيز أو روبـــاوى
ضوفره انجليزى طويـــل — معووج وسبعـــاوى
و ناب يشيـل ألف فيـــل — أزرق فرنســـاوى
والفم يبلـــع قبيـــل — فى مجرى نمســـاوى
عليه قميص من ســـــواد — فاشيست طليـــانى
وجنبه منجل حصـــــاد — من صلب جرمـــانى
وف خرجـــه زواد وزاد — من بمب بريطـــانى
ومعاه خناجر بـــــولاد — من دقـــة يونـــانى
واقف فى نص الطريــــق — والوقفـــة مـكسيكى
ماسك تليسكوب دقيـــق — من طرز أمريـــكى
ينظر فى منجم عميـــق — فيه فحم بلجيـكى
يستنى إيمتى الحريــــق — يشعل ميـــكانيـكى

قريت عليه السـلام قام رد بلغـارى
طلبت منه الكـلام كلمنى بافـارى
شاورت باليد قـام شاور لى هنغـارى
صحيت أنـا م المنـام أقرص فى أظفـارى

ثم يتناول كثيراً من أحوال المجتمع الذى يحيط به فى قطع متناثرة فى ديوانيه ، « الأول والثانى » ، ومنها هذا النموذج بعنوان « الفواكه » .

الفـواكه

حاطين فى مدخـل جاركنا خبير حندوق
يقول على كل وارد للبـلد مو بـوء
خايفين من الخوخ ، والكمثرى ، والبرقوق
فيهم جراثيم حتعدى الخندويـل فى دسوق
واحنا هنا م (البصارة) قلبنـا محروق
وريقنا يجرى على حتـة جزر مسلوق
أصل الحكاية الذوات ، ولهم علينـا حقوق
زارعين بساتين ، وخايفين من نزول السوق
ياما غنى يشتريهـا ، والفقير مدعوق
والرب يخلق ، ويمنـع نعمته المخلوق

وهذا النموذج بعنوان الزحام

الزحـام

شوف الجاموس لما يشرب من شطوط النيل

الواحـــدة جنب اختها واقفين فى صف جميل

شوف الغنم لما تطلـــــع للمراعى رعيل

لا الـكبش يطغى ولا ينطح بقرنه فصيل

شوف الطيور لمـــــــا بتروح فى كل أصيل

أسراب متنظمة ، راجعة الحى بدليـــــــل

وانظر وشوف البنى آدم ، بتوع الجيـــــل

كل الأمور عندهم بالزغد والتشضيـــــــل

قالوا اللى ما يـكونش فى الأول دا يبقى عويل

ومن كده بالقليل فى كل زحمة قتيـــــــل

والله البهايم ولا أولاد قابيل وهابيـــــل

وهذا النموذج أيضاً فى استهلاله لقطعة تهكمية عن طبيعة البشر :

الفرق بين ابن آدم والخروف معروف

ان ابن آدم بعقله فى الخطر محفوف

أمـــــا الغنم فاللى فى وسطها فايز

لبن ، وزبدة ، وبسطرمة ، وجلد ،وصوف

وفى البلد مية والقاريين على الـكاتبين

سبعة ومعنا الحمير أكثر من التسعين

إن خش فى دول ودول الفجر والتمدين

نشوف مسخ شبراخيتية — ويامانشوف

أما وصفه لمختلف الألوان التى تخفيها عيون النساء فقد بلغ به غاية الإجادة فى تصوير الواقعية

العيـــون

من العيون ياسلام سلم — شوف واتعــــلم
تحت البراقع تتكلــــم — والدنيـــا نهار

عيون تقول لك قصدك إيه — بتبحلق ليــــه
ما لكش شغل تعس عليه — ياراجـــل ياحمار

وعيون تقول لك أنا عارفاك — والنبى ما انســاك
من يوم ما شفتك م الشباك — ياجدع ياصفـــار

وعيون تقول لك روح يارذيل — يا بو دم تقيـــل
يا باى كبة فى الخاليـل — ياما همــه كتار

وعيون تقول لك بالمحسوس — أنا عاوره فلـــوس
وان شالله حتى تحوس وتدوس — أنا عاملاه كـــار

وعيون تقول لك إمشى ياواد — أنا أم اولاد
وعيون تقول لك عندى ميعاد — ويـــا السمسار

وعيون تسبل فوق الخد — دى جـــد فى جـد
وعرهـا ما تـكلم حـد — دى عيـون أحرار

وعيون ما تعرف زعلانة   أو فرحانة
صباح مسا أهى سهتانة   وصاحبة أفكار

وعيون لها ضحكة فى وشك   بس تغشك
وتبص من تحت اليشمك   تلقى المنقار

وعيون كده يبقم ساهتين   صفر و باهتين
بالشكل ده عيون الخاينين   تضرب بصفار



صورة بيرم التونسى أيام صباه
حين كان يهاجم أسرة محمد على

بيرم وأسرة محمد على

كان « بيرم التونسى » فى وقته ، أجرأ من تصدى لأسرة « محمد على » فأعلن عليها الحرب

كان ذلك حين كان كل مواطن يخشى أن يتحدث عن مساوئها، ولو همساً.

بدأ عليها هجومه الجرىء فى عهد السلطان «أحمد فؤاد» ـ الملك فؤاد فيما بعد ـ بل كان هجومه على « أحمد فؤاد » نفسه . مرات بأزجال مكتوبة ، ومرة بزجل لم ينشر ولكنه دوى فى البلاد حتى صار محفوظاً على الألسنة ، يتصايح الأفراد به فى الطرقات .

كان الديوان ، أو سراى السلطان ، هو المسرح الذى ظهرت عليه الواقعة التى استغلها « بيرم » أساساً لهجومه .

فقد شاعت أخبار عن غرام سافر لابنة السلطان « الأميرة فوقية » من زوجه الأولى« شويكار » التى طلقها واقترن «بنازلى عبد الرحيم صبرى» الزوجة التى لازمته حتى مماته .

وكان هذا الغرام مثاراً لأقاويل علمت الناس منها أن محافظ القاهرة الباشا[1] إذ ذاك ، على علاقة غير شريفة بالفتاة .

فحين تسرب الخبر إلى خارج السراى طلب « فؤاد » من المحافظ أن يتزوجها ، فرفض . فعرض الأمر على أخيه مغرياً له بالجزاء ، فقبل . وبذلك ستر الأمر

---

(١) حسين باشا فخرى

وكان حظ هذا الزوج الترقية المطردة إلى أعلى الرتب، وقضى أكبر قسط من حياته بفرنسا فى وظيفة دبلوماسية بعيداً عن ذاكرة الجمهور[1]

أسرع «بيرم» وكتب فى مجلة المسلة، التى كان يحررها إذ ذاك، هذا الزجل:

البامية السلطانى

على وزن الأغنية الشعبية المشهورة

مرمر زمانى يازمانى مرمر

البنت ماشية من زمان تتمخطر   والغفلة زارعة فى الديوان قرع اخضر
تشوف حبيبها فى الجاكيتة الـكاكى   والستة خيل والقمشجى الـملاكى
تسمع قولتها   والعافية هبـلة والجـدع متشطر
الوزة من قبل الفرح مدبوحة   والعطفة من قبل النظام مفتوحة
والديك بيدن والهانم مسطوحة   تقرا الحوادث فى جريدة كتر
ياراكب الفيتون وقلبك حامى   إسبق على القبة وروح قدامى
تلقى العروسة شبه محمل شامى   وابوها يشبه فى الشوارب عنتر
وحط زهر الفل فوقها وفوقك   وجيب لهاشبشب يـكون على ذوقك
ونزل النونو القديم من طوقك   يبرل فى طوعك لا الولد يتـكبر
دا ياما مزع كل بدلة وبـــــدلة   ويا ما شمــع بالقطار والفتلة
ولمــا جه الأمر الـكريم بالدخلة   قلنا اسـكتوا! خلوا البنات تتستر

---

(١) محمود فخرى (باشا) سفير (المملكة المصرية) بفرنسا

وكان لهذا الزجل رجة فى جميع الأوساط

وما أن بلغ الأمر السراى حتى أعقب « بيرم » بزجل آخر . أشد إيلاماً فى مغزى عباراته للسلطان فؤاد .

فقد كانت ولادة ولى عهده « فاروق » فى ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ ، ولم يكن قد مضى على إعلان زواج السلطان بنازلى ، التى تزوجها بعد شويكار ، إلا قرابة السبعة شهور . وكانت الوقائع تلمح إذ ذاك أيضاً إلى أن شيئاً غير طبيعى وراء عدم الاحتفال بمراسم الزواج ، التى كان قد تعودها الشعب من الأسرة الحاكمة ، حيث اكتفى بالإعلان عنه[1]

فنظم بيرم لذلك زجلا طويلا شنيعا ـ هو الذى أشرنا إليه بأنه لم ينشر ـ كان الناس يتصايحون به فى الطرقات. ثم نشر فى المسلة، فى العدد الأخير الثالث عشر ، زجلا آخر بعنوان : «البامية السلطانى والقرع الملوكى» . وجاء فى هذا الزجل .

البامية فى البستان تهز القرون وجنبها القرع الملوكى اللطيف

والديدبان داير يسلم الزبون صهين وقدم وامتثل ياخفيف

نزل يــــلعلط تحت برج القمر

ربك يبارك لك فى عمر الغـــلام

ياخسارة بس الشهر كان مش تمــام

أما الزجل الذى لم ينشر ، والذى حفظه الناس ، فمن عباراته :

إسمع حكاية وبعدها هأهأ زهر الملوك فى الولد أهو طأطأ

مالتاش قرون كنا نقول مأمأ ونا كل البرسيم بالقفــة

(١) كان يظهر دائماً فى تدوينات التقويم السنوى أن زواج نازلى تم فى سنة ١٩١٩ دون ذكر اليوم أو الشهر

سلطان بلدنا حرمته جابت ولد وقـــال سموه بفاروق

. . . . .

فاروق فارقنا أمال بـلا نيلة دى مصر مش عايزة لها رذيلة

دى عيشة بالقوة وبالتيلـة ومين بقى يلحس دى التفة

يادادية ليـه ما انتش حداية خـــدتيه ورحتى على الجبلاية

جبتى لنـا خـبره وتنك جاية وندق لك فى البيت الزفـــة

ياعزرائيل اخلص بقى تاوى ناقص سوا وديه عا النـــار

وخد كان جوليـــا قطاوى ياما الزمن كشف الأسرار

. الخ

وجن جنون السلطان فطلب القبض على « بيرم » وإيداعه فى السجن . ولـكن تنفيذ ذلك لم يكن ممـكناً ، إذ كانت أسرة « بيرم » مازالت تحتفظ بالحماية الفرنسية ، لتبعيتها الأولى لتونس التى كانت محتلة من فرنسا . وكان قانون الامتيازات الأجنبية يحول دون ذلك . فاكتفى بتعطيل المسلة وجمع أعدادها التى طبعت .

وأصدر « بيرم » بدلها صحيفة أخرى باسم « الخازوق » ، ولم يسكت ، بل ضمن صحيفته الجديدة فى عددها الثانى كلمة بعنوان « لعنة الله على المحافظ ».. جـــاء فيها

بينما كنت سائراً فى طريقى (لا ليه ولا عليه) إذ حدثتنى النفس الأمارة بالسوء ، وقادتنى رجلاى اللعينتان إلى العتبة الخضراء ، حيث يكثر النشالون على الطريقة الأمريكانية . فتقدم منى نشال فى خفة ورشاقة وسرعة . وانتشل

محفظتی ، فصحت بأعلى صوتى: «لعنة الله على المحافظ »· فعطلت له هذه المجلة أيضاً.

وكان « فؤاد » فى أشد حالات الغضب ، ولكن لم يكن من الميسور حبس « بيرم » فاتصل السلطان بالسلطات الإنجليزية التى ما أدركت خطورة هذا الأديب حتى انتهزتها فرصة لتتخلص من شروره ، واستقر الرأى بمعاونة الإنجليز ، على ضرورة ترحيل « بيرم » إلى تونس، أى نفيه إلى خارج البلاد . واتخذت الإجراءات لذلك مع القنصلية الفرنسية .

ونفذ البوليس المصرى مع أولئك الأجانب أمر القبض على « بيرم » .

كان « بيرم » يسكن إذ ذاك فى بانسيون بحارة الطواشى ، المتفرعة من شارع عبد العزيز خلف محلات عمر أفندى . فدخل عليه البوليس المصرى مع مندوب انجليزى وآخر فرنسى ، واعتقلوه . ومضوا به تحت الحراسة فى قطار السكة الحديدية إلى الاسكندرية . ومنها على باخرة إلى وطن أجداده تونس .

وكان ذلك فى يوم عيد الأضحى ١٠ ذو الحجة عام ١٣٣٨ هجرية ، الموافق ٢٥ أغسطس عام ١٩٢٠ ميلادية . وكان يوم أربعاء

وما استقر هناك حتى أرسل زجلا فيه التجريح الخفى للسرأى وجاء فى مطلعه

ما قلتليش ياراعى الرعيـــان بقى لك أزمـــان
إزاى أحـــوال الخرفان بتـــوع الجـــزر

ثم أعقب بزجل أرسله من تونس فى ١٩٢٢ ، بعد إذ أصبح السلطان أحمد فؤاد ملكا ، عقب التصريح البريطانى المعروف بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وفيه اعترفت انجلترا بالاستقلال الذاتى لمصر .

وهو زجل فاضح ، أقرب إلى « الردح البلدى » . وفيه يقول :

ولما عدمنـــــا بمصر الملوك جابوك الأنجليز يافؤاد قعدوك
تمثل على العرش دور المـــلوك وفين يلقوا مجرم نظيرك ودون

وخلوك تخالط بنات البـــلاد على شرط تقطيع رقاب العباد
وتنسى زمان وقفتـــك يافؤاد على البنك تشحت شوية زيتون[1]

بذلنا ولسه بنبـــــذل نفوس وقلنا عسى الله يزول الكابوس
مانابنا الا عرشك ياتيس التيوس لا مصر استقلت ولا يحزنون

* * *

واستمر عداء « بيرم » للأسرة المالكة — أسرة محمد على — حتى أنه كان لا يفوته التلميح بما يكنه فى نفسه وإنك لتشعر بذلك حتى فى الوقت الذى عاشه فى مصر بعد استقراره الأخير .

---

(١) كان أحمد فؤاد فقيراً قبل أن يدعوه الانجليز لتولى السلطنة .



يوم يعتقله البوليس المصرى والأجنبى

بيرم فى المنفى

وقعت أوامر النفى على « محمود بيرم التونسى » مرتين : الأولى حين نفى إلى تونس بعد قذفه المقذع لأسرة محمد على ، وكان ذلك — كما ذكرنا — فى ٢٥ أغسطس ١٩٢٠ . والثانية فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٢٤ ، إذ نفى إلى فرنسا .

وقد ظل فى تونس فى المرة الأولى زهاء العامين ، لاقى فى أثنائهما الضيق والضنك ، حيث كانت تلك البلاد ،فى ذلك الوقت ، تعانى أشد البلاء من الحكم الفرنسى ، وكان أهلها المقيمون لا يجدون لأنفسهم وفرة القوت .

وهو يشير إلى ذلك فى قول له « على الأرغول » ، نظمه بعد نفيه الثانى . جاء فيه :

الأولة ، مصر ، قالوا تونس ، ونفونى ، جزاة الخير ، و إحسانى

والثانية ، تونس ، وفيها الأهل جحدونى ، وحتى الغير ، ما صافانى

والثالثة ، باريس ، وفى باريس جهلونى ، وأنا موليير ، فى زمانى

وكان قد عزم على الهرب من تونس حين ضاقت الحياة فى وجهه ، فاندس عاملا فى سفينة وصلت به إلى الاسكندرية ، وانتهز الفرصة وحاول النزول خلسة ، فاكتشف أمره ، وأعيد من حيث أتى .

ولكنه نجح فى مرة ثانية ، حين تمكن من استخراج جواز سفر مزيف خول له المرور من الميناء ، والدخول إلى أرض الوطن . ومن الإسكندرية قصد إلى القاهرة فى غفلة من عيون البوليس ، إذ كان أمر الأمن فى تلك الأوقات (أواخر عام ١٩٢٢) فى غير الدقة المعهودة اليوم .

واتجه إلى المكان الذى يعرفه ، والذى كان صديقه (المرحوم) « الأستاذ عبد العزيز الصدر » يصدر منه صحيفة الشباب ، التى كانت فى شهرتها ، إذ ذاك ، كصحيفة تهتم بشئون الأدب . وهو رقم ٣٠، بشارع محمد على (القلعة) فى البناء المعروف بدار المؤيد ، والذى كانت تصدر فيه أيضاً مجلة النيل لصاحبها(المرحوم) « الأستاذ فرج سليمان داود » ، وتحتله الآن مطبعة الرغائب .

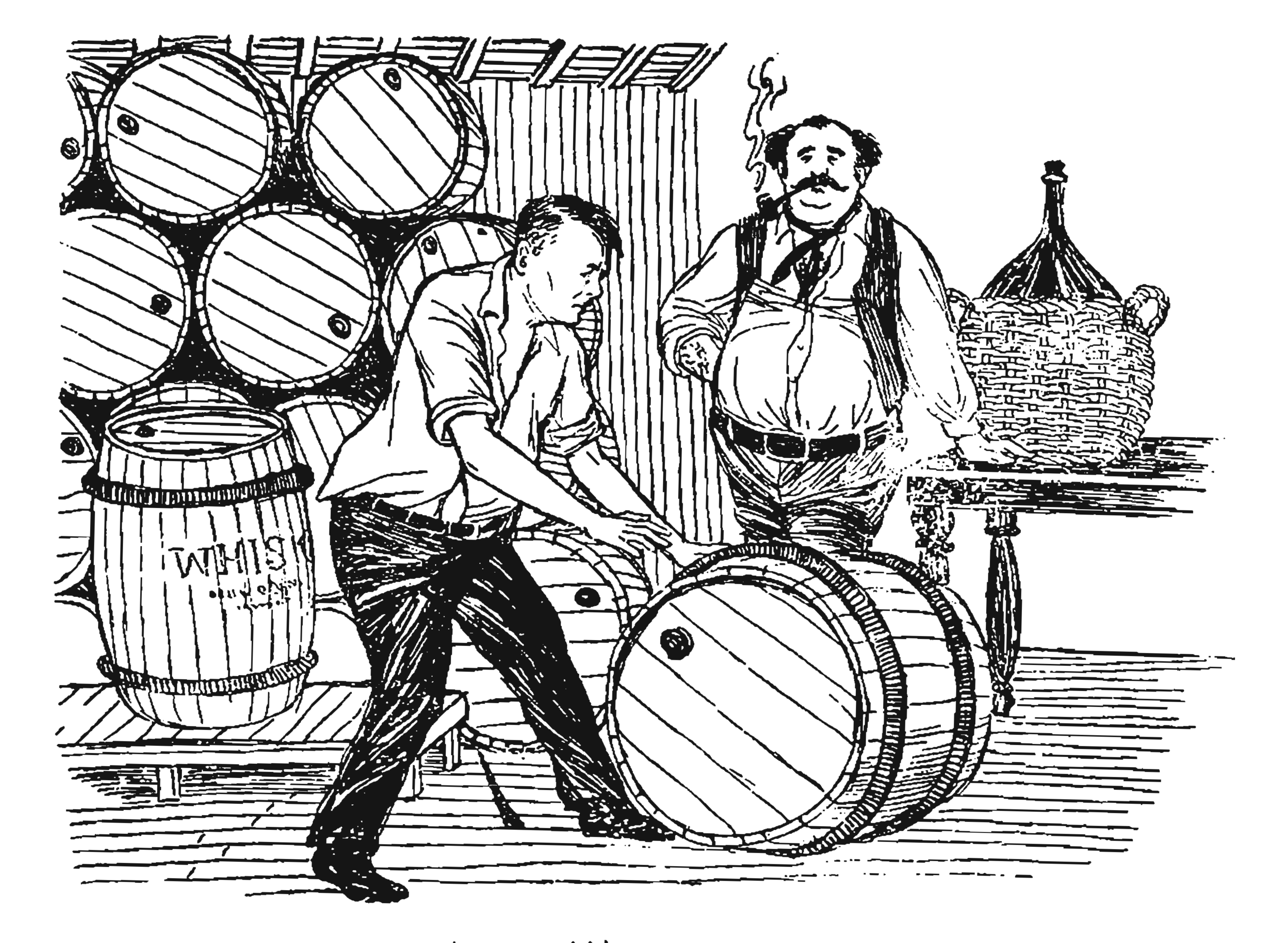
انضم « بيرم » إلى صحيفة الشباب ، و بدأ يحررها كلها من أواخر عام١٩٢٢ إلى أواخر عام ١٩٢٤ ، وابتكر فيها طابعه الجديد فى الأدب الشعبى . وكان هذا التاريخ فترة من الفترات الذهبية فى حياة صحيفة الشباب . حيث كان الشعب يتخطفها حين ظهورها

وظل الكاتب الشاعر يخرج روائعه دون أن يتيقظ له أولو الأمر ، حتى اكتشف أمره فعاد البوليس إلى ترحيله إلى خارج البلاد . وكان النفى هذه المرة إلى فرنسا .

وعاش فى باريس منفياً من سنة ١٩٢٥، إلى سنة ١٩٣٢ . ولكنه لم يهدأ فى منفاه .

وتسلمته السلطات الفرنسية على ميناء مرسيليا ، ثم رحلته الى مدينة ليون ليعيش فيها بعد أن سلمته بطاقة باسمه ذكر فيها أنه غير مصرح له بالعمل . وعلم بيرم من السلطات أنه مطلق الحرية فى ربوع فرنسا ، يتنقل كيف يشاء بين مدنها وريفها ، دون أن يغادر البلاد .

وقضى « بيرم » فى ليون أياما سوداء ، يقضيها كل غريب لا حول له ولا طول،فكيف بمضطهد محكوم عليه بالنفى،وتحوم حوله شبهة الثائر المشاكس، وفى البطاقة الرسمية التى يحملها تحذير منه .



بيرم فى مدينة ليون يشتغل عتالا فى مصنع للخمور

عاش فى ليون بائساً سنتين كاملتين . كان فى بعض أيامها يبيت على الطوى حتى أنه أمضى ثلاثة أيام دون أن يجد قوتا .

وكان يطرق كثيراً من الأماكن لعله يجد لنفسه عملا . فلا يبقى فى عمل إلا وقتاً محدوداً يهجره بعده ، إما لانكشاف أمره حين يعلم صاحب العمل أنه محكوم عليه بعقاب ، وإما لصعوبة العمل حيث لا يعهد للأجنبي عن البلاد بغير العمل المرهق الشاق ، هذا إذا أغفل أمر العقوبة بحرمانه من أى عمل .

ومن جملة الأعمال التى زاولها فى ليون اشتغاله عتالا فى مصنع للخمور . وكان عليه أن يدحرج البراميل ، أو يحمل القنينات الثقيلة .

ثم رحل إلى مرسيليا ، لعله يستبدل فيها شقاءه بهناء . فعمل أول ما عمل فى هذه المدينة حمالا فى الميناء . ثم عاملا فى مصنع المنتجات الكيميائية

ثم قصد إلى باريس راكباً سيارة لورى قطع بها مسافة كبيرة من الكيلو مترات

وفى باريس لاقى الضيق والضنك مرة أخرى وكان له بين الوافدين عليها من يشابهه فى غربته من التونسيين والجزائريين والمراكشيين . فتلمس فيهم ما تلمس من المعونة ، ولكنهم لم يكونوا أسعد منه حالا . بل كانوا يعانون مثله شظف العيش .

ولكنه عاش ...... عاش متأسياً بالذل الذى كانوا فيه

وهو يذكر ذلك فى قوله :

باريس خلاص صبحت خربة   اللقمة فيها بمضاربة
وانا اترميت وسط مغاربة   الغلب والكرب قاتلها
مغاربة يا الزر فاشوكة   يا الزر تربط به فلوكة
باكل معاشى شكشوكة   تشمط وتشوى اللى يا كلها



بيرم يشتغل حمالاً على رصيف الميناء بمرسيليا
بفرنسا ، لكى يحصـــل على لقمة العيش

وكانت عزيمته هى التى تصونه من الانهيار لقد كان يعتز بنفسه ، و يؤمن بانتصاره على الأقدار.

عاش فقيراً ولكن قوى العزم ، طموح النفس ، صابراً مكافحاً

إنه الذى ناضل وناطح أكبر رأس فى وطنه . لقد عادى السراى والسلطات والحماية الإنجليزية . فهو إذن لا يهزم ولا تخور قواه .

كانت تمر عليه أيام عصيبة جداً من الفقر ، و يقضى أوقاتا طويلة بلا قوت، ولكن هذه الحال لم تدم كثيراً ، فلقد وجد هناك مصريين عرفوه .

وجد من ينصفه ومن يقدم إليه يد المعونة .

كان أمير الشعراء « أحمد شوقى » يخصه بعطفه كلما زار باريس . وكان يبعث إليه بما يعينه على متاعبه .

وكان أمير الكمان الأستاذ « سامى الشوا » من أحبابه هناك . وقد قام بواجبه أيضاً فى إكرامه .

وكان كثير من رجالات مصر الذين يعرفون قدره ، و يدركون حقيقة الأمور ، يلازمونه بخدماتهم وعطفهم كلما زاروا باريس .

وكان كثير منهم يرسلون إليه المعونة بطرق خاصة .

وكان أصدقاؤه الفنانون يلازمونه كلما زاروا باريس ، و يعاونونه بقدر طاقتهم . ومنهم الأستاذان المرحومان ، عزيز عيد الممثل ، وزكريا أحمد الملحن.

ومن غير الفنانين جماعات من الذين تعرفوا عليه هناك .

وكان هو قد شق لنفسه الطريق فى أن يعيش ، وأن يهدىء من باله بعض الشيء .

قام بإعطاء دروس فى اللغة العربية لأبناء المغتربين من الجاليات العربية .

وكان يجيد اللغة الفرنسية فدرسها أيضاً لبعض التلاميذ الصغار .

وكتب الفكاهات الطلية ، وبعض القطع الأدبية الساخرة لبضعة من الصحف الفرنسية .

واتخذ من كل ذلك ، إلى جانب المساعدات الأخوية التى يحوز عليها ، وسيلة للتغلب على المعيشة .

ثم بدأ يراسل الصحف المصرية من هناك ، فظهرت له الروائع فى صحف : « الشباب » و « الفنون » و « الامام » « وابولو » « والنبيل » .

وكان ما يصله على إسهامه بإنتاجه فى هذه الصحف من الضآلة بحيث يخجلنا أن نسجله .

لقد كسب أصحابها أموالا كثيرة من رواجها ، نتيجة لمشاركته فيها بآيات إبداعه ، ولكنهم كانوا لا يكافئون صاحب تلك البدائع بما يستحق .

وقد ذكر صديقه الأستاذ « محمد كامل البنا » تلميحات قاسية عن ذلك فى كتابه الذى أخرجه عن « بيرم » باسم (بيرم التونسى كما عرفته). حيث كان يقوم بنفسه بالوساطة بين « بيرم » وبين أصحاب تلك الصحف .

والذى كان يهم من كل هذا هو أن « بيرم » عاش. . عاش رغم الأحداث المضنية التى أحاطت به فى منفاه .

* * *

لم يهدأ « بيرم » فى المنفى . فقد أنتج للأدب وأنتج ذخائر سجلها له التاريخ .

لم ينس من نفاه ، فشتمه وهو هناك فى منفاه .

ولم ينس الانجليز وطغيانهم ، فشنع بهم وبأساليب استعمارهم ، ما شاء له التشنيع

ولم ينس وطنه . وطنه مصر التى أحبها كل الحب ، وعبر عن تعلقه بها فى كثير من كتاباته ، وكرس حياته لخدمة شعبها ناقداً ومصلحاً وموجهاً وقد أطرب الشعوب العربية عامة بروائع إنتاجه إلى جانب ما أفاد الناس فى لفتاته المرة ونقده اللاذع .

كان يكتب من فرنسا وكأنه قائم بين أهل وطنه ، يراهم بعينيه ويحس بأوجاعهم وآلامهم .

كان يصور الأحداث التى كانت تعتور البلاد بقلم أبرع من آلة السينما التى تسجل المرئيات كما هى فى حقيقتها . حتى كان كثير من القراء لا يدركون أن كاتب هذه الأحداث بعيد عنها مغترب فى وطن آخر . وكان العالمون بأمره فى دهشة من هذه المقدرة الفائقة على التصوير ، وتذهلهم هذه الواقعية الفذة التى كان يخرج بها « بيرم » تلك الصور

وحدثت بفرنسا أزمة للبطالة فاضطرت السلطات إلى أن تبعد الغرباء العاطلين ، فكان نصيب « بيرم » أن يرحل فى عام ١٩٣٢ الى موطن أجداده تونس .

وبقى بتونس أربعة أعوام ، حرر فى أثنائها فى جريدة ، ثم أصدر لنفسه جريدة أسماها «الشباب» وشحنها بالهجمات الصاخبة على أعداء الوطن العربى ، إلى جانب أسلوبه الفكه الشعبى . فثارت عليه ثائرة الحاكم الفرنسى هناك ، وهو قائد القوات الفرنسية الجنرال « جاملان » ، فقرر نفيه إلى السنغال.

وفى السنغال لم يستقر به المقام ، فقد وجدوه هناك خطراً على الأذهان ، حيث ينبهها مجرد وجوده بين ذلك الشعب المستعبد إلى اليقظة والثورة التى يخشى الفرنسيون قيامها فى أى مكان فأخرجوه من السنغال . فقصد إلى بيروت على باخرة إيطالية ونزل إلى أرضها خلسة وكان يعلم أن بقاءه فى لبنان وهو تحت الانتداب الفرنسى لن يكون مرغوبا فيه .

ومالبث أن تنبهت إليه السلطات الفرنسية ببيروت فآثر أن يسلم بنفسه

وكان قد التقى فى بيروت بصديق لبنانى عزيز عليه هو الأستاذ الكاتب « نجيب كرم » الذى ساعده على الهرب من بيروت إلى دمشق متخفياً فى لباس راهب ذى لحية مرخاة .

ومكث فى دمشق فى رعاية الأحرار من أهلها أربعة أشهر ، كان يكتب فى أثنائها فى بعض الصحف والمجلات باسم مستعار . وقد درت عليه هذه الكتابة بما أعانه على حاجاته .

بدأت هذه الرحلة الشاقة من فرنسا فى عام ١٩٣٢ . بين تونس، والسنغال ولبنان وسوريا .

ثم انتهى الأمر بأن علم بأمره المعتمد الفرنسى فى دمشق . فأنذره بأن يكف عن نشاطه الأدبى ، ولكن « بيرم » لم يذعن لهذا الأمر ، فأركبته السلطات الفرنسية سفينة لتعيده إلى فرنسا مقر نفيه الأصلى ، ووضعته تحت الحراسة .

وكان على السفينة أن تصل فى رحلتها إلى بور سعيد . وهناك غافل « بيرم » حراسه وفر من السفينة إلى الميناء ، مجازفا كل المجازفة ، إذ كان يعلم ، فوق الحراسة المضروبة عليه فى الباخرة ، بالرقابة المفروضة عليه فى أرض الوطن ، إذا هو حاول دخول هذه الأرض .

ولنستعرض بعض ألوان مما نظمه « بيرم » فى المنفى فها هو يدون مشاهداته وتعليقاته بفرنسا بهذا التصوير البارع :

فرنســـــا

قضيت حياتى غريب فى أرض فرنسا ياويحه من يدخل فرنسا غريب
لقيت كلام القوم شهـد مكرر لـكن عيونهم تشتعل لهاليب
مليون أوتيل مفتوح ، يتاووا جتتنا وخدامينها كل واحـد ديب
يرجع كلامنـــا ، والصلاة على النبى للرستوران ، والرقص،والتخشيب
عشر غيلان واقفين عليهم سموكن حول الفيلان قاعدين بنات مكاليب
ياما انجليزى انشـال بدفـتر شيكاته و ياما هنـدى رجعوه سنديب
دفع الفتى على خان[1] ملايين ربابى لبنت قرعـــة ماعليها ربيب
واللى جرى لفهمى[2] من مرات فهمى خلت رصاصها فى ضلوعه يغيب
أتعس عبـاد الله هنـــاك الأجانب أقولهـــا ، والمولى على حسيب
اللى دخـــل بفلوس ، ياضيعة فلوسه واللى دخل يكسب جزاه توضيب
يدخل يشوف مالبين قزان المسابك فولاذ مسيح فوق دماغه قريب
عليـه رئيس واقف ، وراه الجرادل شايلينها من كل الأمم منا كيب
ميــــــل قزانه بالدولاب عالجرادل كأنه فى الجردل يعبى حليب
خمس تلاف درجـــة يفط شرارها ويطب يخرق أجـد المراكيب

(١) على خان ابن الزعيم الاسماعيلى أغاخان .
(٢) على بك فهمى (المرحوم) وكان من كبار الثراة . وقد اغتالته فى باريس إحدى الغانيـات .

ولو تشوف ياخال مصانــــع غازاتهم   تخنق عدو من غير حروب وحيب
من كل بــير يطبخ « كلور » المانيــا   أغوط من البركان ، وأقوى لهيب
واقفـــين عليه أشبــاح عليهم كايم   متحضرين للغرف والتقليب
ومن بعيد جاعلين عجوز وعجوزة   فاتحين لو كاندة زيهم تخاشيب
مين راح لهم غدوه بنص اليوميـــة   بشوربة سايطة والفروطة زيب
ومن أكل يسقوه عصـــير البتاتى   ومن سكر يرموه فى جرف قضيب
كام مغربى مسلم نطق بالشهــــادة   وياما جرمن صلبوا تصليب

وها هو يتحدث عن نفسه وسط الغربة متهكماً على الحالة التى ترك فيها وطنه، وممهداً لنفسه لحياة جديدة فى بلد جديد ، بهذا الزجل الذى نظمه على وزن الفولكلور الصعيدى المشهور

عطشان ياصبـــايا   دلونى على السبيــــــل

عطشـــــان ياصبايا

عطشـــــــــان ياصبايا   عطشـــان يامصريين
عطشان والنيـــل فى بلادكم   متعـكر مليان طين
ولا نهر الروب يروينى   ولا ميـة نهر السين
ودموع العـــين مابتروى   نـــار القلب الحزين
شــــدة وتزول يامعوض   سبحانه رب معــين
دى تلات حكومات يا اخوانا   ظلمونى واشكى لمين
يابنت باريس اسقيــــنى   كاسـاتك مليـانين

فاضـــــل عا العتبه الخضرا   عشرين عام عـا الهجين .
زغروته يام سـد احمـــــــد   زغروته يا أم ياسين
راجـــــع أتوضى واصلى   وأزور سيـدنا الحسين
وأبوس ايـــد الشيخ بلبع   وايد الباشا التخـــين
وأقول سلامات لخليفـــة   ولشعبـــــان طيبين
وأتوب على سيـــدى لاظوغلى   عن كــــار الجرانين
واعمـــــل حانوتى ومغسل   وأشيل الميتـــــين
وأتجوز بنت الماشـــــطة   والـكودية أم اسماعين
إياك يتـــــعدل بختى   واخدم فى الدواوين
والبس لى سموكن مقصـــب   وابقى البيـــه التخين
ياما ناس ف نعيم وف نعمة   و بتمشى عا العجـــين
غير شى جعـــلوا التخشيبة   للغلبان الفطـــين
يخرج مهـــا و يسوح   من مرسيليا للصين
دا جزاة الخايب اللـــى   يعشق بنت التسعين
شايف من تحـــــت البرقع   أهدابهـــا مرعرعين
ما احبش حنكها مطبـــق   وسنانها مهرتمـــين
والفـم المحموديـــــة   والراس دى راس التـين
وتحب كان وترافـــق   أهل الدنيـــا والدين
ولا تطرد بياع رنجـــــة   ولا بياع الفلين

واولادهـــــــا اسم الله عليهم يتعدوا بالملايـــــين
رجالة وصنـــــايعية بياعين شرايـــــين
واحد تـــاجر طعميـــــة والثانى بتاع مصارين
والى بيبيـــــع جوافـــــة واللى بيبيع سردين
وواحـــــد سمكرى أفرنجى قاعد فى وابور طحين
واثنين سارحين بكلونيا وفنـــــلات معتبرين
والحـــاج محمـــــد برعى له فابريكة كوانـــــين
وأخوه له معمل طرشى مشهور فى الـكمكيين
والـكل يزيد ويبارك قاعـدين متصـــــنعين
ما ينوب الواحـــــد منهم غير قفـــل الدكاكين
يارازق جيش الأزهر إيـــــاك نستعين
يا باريز يا ام بـــلاده نره يامربيـــــة لامرتين
بعتت لك أم الدنيـــــا شاعر فى الشعر متين
يعمل أشعـــــار لبرازرة وصعـــايدة وفلاحـــين
وتـــــلامذة وأزهرية وخواجـــات ومفتشين
إياك ما يموتش عنـــــدك فى أزيل المسـاكين

ثم يندمج فى حياته الجديدة ويسجل ما يشاهده ، عن يمينه وعن يساره، ومايقع تحت عينه من المشاهد الغريبة عليه والمثيرة له،وكأنه يلتقط بآلة فوتوغرافية صوراً من مختلف الزوايا فى أنحاء باريس .

بـــــاريـــس

الفجر نايم وأهلك يا باريس صـــــاحيين
معمرين الطريق داخلين على خارجين
ومنورين الظلام راكبين على ماشيين
بنــــات بتجرى ويامـا للبنات أشغال
وعيال تروح المدارس فى الحقيقة رجال
ورجال ولـكن على كل الرجال أبطال
ولسه حامد وعيشة واسماعين نايمين

راحت على الشمس نومة والبلد فى ظلام
وقبل دى الشمس فاق ابن المدينة وقام
الـكون ينور بايده لما شمسه تنام
فاينها للشرق تتاطع على الأطـــــلال
ينشف عليها الغسيل والطبلة والغربال
ويقوم على لدعها النايم سنة بطــــــال
صبحت باريس فى غنى عنك ياشمس الدين

العلم والرقص دول فى معهد السربون
أعجب عجيبة أشوفها لو ألف الـــكون

معهد حكومى ، وحقه يشبه الكرا كون

لكن فرنسا لها دون الأمم أحوال

ليبران[1] فى الاحتفال بيصافح الشيال

وبنت سوق الخضار ساكنة مع الماريشال

والبوسته صندوقها واقف داخل الدكاكين

جارتى سوزان الجميلة اللى تبيع الموز

نازل عليها المطر من فم متراليوز

ابتسمت للمطر ، أحسبها فازت فوز

لكن سوزان اللى واقفة وقفة التمثال

مجلس بلدها جعل رجليها سوزان سخنين

شفت العيون والشفايف فى باريس بتقول

إحنا ملوك البرايا حكمنا مقبول

البدع والفن كله عننا منقول

سادات بنا فى السيادة تنضرب أمثال

أحرار محرم علينا السجن والأغلال

الفقر والذل ماهم فى بلادنا مجال

ويوم سباق النجايب كلنا سابقين

إن دقت اثنين صباحا خش مونبار ناس

حيى العذارى السكارى تحت كعب الكاس

(١) رئيس الوزراء

وجوه عزلها جمالها عن وجوه الناس

من كل نجمة عانقها فى سماها هلال

تجذب بنورها أمم فى الهند والشلال

هى فينوس عبادها من ملوك المال

وتبقى صالة بديعة واللى فيها مين

وينظم قطعة أخرى يصور بها ما رآه من أنواع النساء الباريسيات اللآتى يتمخطرن على طريق « جران بولفار » .

جران بولفار

شوف الخفة أم الشعور اللفة فوق اللفة
غير ام شعر طويل

والمقصوعة ورجلها فوق اختها مرفوعة
تستنظر الطوموبيل

والحرانة من المعاصم للكتاف عريانة
زى اللى غاسلة غسيل

والملفوفة باين عصبها والنهود مكشوفة
ما خلت إلا قليل

والحتارة بالشنطة والشمسية والنضارة
رايحة على التمثيل

والغندورة تحسبها لولا مشيها صنيورة
والا ام خصر نحيل

طالع نازل لولا ماهى ماسكة دراع الراجل
من لمسة واحدة يميل

وينظر « بيرم » الى أعضاء البعثات التى كانت توفد من مصر إذ ذاك ، وأغلبها كان بالوساطة والمحسوبية ، من أولاد الذوات أو أقرباء وأصدقاء أولى الشأن ، فيتحسر على الانحلال الذى كان فاشياً بينهم ، ويصوغ هذه القطعة اللاذعة بعنوان « مونبلييه »:

مونبلييـــــــه

زريبة متطرفة فيهـا المعيز سايبين
ترعى حشيش المحبـة والرعاة غايبين
سبع مراكب بتشحن عد بالطرازين
دكتور ، مهندس ، محامى والجميع خايبين

دكتور وراجع بلاده ينجـد العيان
وهو فيه العيـا أربع خمـس ألوان
تشليل ، وتشويش ، وقولهربس ، وقول سيلان
يعدى السليم قبل ما يشفى المريض ياشاهين[1]

وفى البلد واد مهندس بس فى البوكر
ضاع نص عمره ياريت كان ضاع فى طوكر
له كل أسبوع جواب من والدته مسوكر
تسأل على الهندسة اللى اتـكلفت ملايين

(١) محمد شاهين باشا وكان كبير الأطباء المصريين

ووراد بيدرس تجارة ، انما نصاب
يقبض ما يدفع ولا يحسب لحد حساب
ان جاه مطالب بدينه يلطعه عا لباب
ويقول له خليك مؤدب داحنا مصريين

سألت شيخ الأساتذة فى البلد دى سؤال
عن الشهادات اللى بنشوفها مع الجهـال
قام شد عقب السيجارة ، والتفت قال لى
« حار الطبيب والأديب فيكم يا شرقيين »

بيطار مواشينا ينفع عنـــدكم دكتور
والبنا ينفع مهنـــدس يبنى ستين دور
وان شا الله يبقى اللى داخل فى بلادكم طور
برضك تجوز له العبادة فى بنى القفاطين

فالحمـد لله بقى عا الجـــتر والبوبجور
وعا المونوكل اللى زان العور ولاد العور
والفالس،والهاس، والطونجور ، والكونكور
لا علم نابهم ، ولا أخلاق بقت ولا دين

إباء بيرم

دخل « بيرم » أرض الوطن ، دخل متخفياً ، ولـكنه ما لبث أن كشف أمره ، إذ التقى بإخوان له. وكانت فرحة الأوساط الصديقة ببيرم لا تعادلها فرحة.

ولـكن الرياسة العليا ما زالت هي المارد المخيف الذي يخشاه .

ظل مختفياً ، لا يستقر به مكان

وكان يرأس الوزارة في ذلك الوقت المرحوم « محمد محمود » ، وكان وزير الداخلية «محمود فهمي النقراشي» ، وكلاهما من المقدرين لبيرم ، المعجبين بأدبه .

وكان من رجال السراي حينذاك المرحوم « أحمد حسنين » وكان هو الآخر من الذين يعطفون على « بيرم » ، ويعشقون أدبه .

ولـكن الإنجليز كانوا ما يزالون في تحكمهم في شئون البلاد .

ومن جهة أخرى كان « فاروق » نفسه لا ينسى ما لحق أسرته ، ولحقه هو نفسه ، من تجريح شنيع من شخص هذا الأديب .

فـكان الموقف من أجل ذلك كله في غاية من الدقة والتوريط .

وقيل لبيرم إن في يده الحل وطلب منه أن يستعطف .

وهنا بدأ الاضطراب يبدو على الرجل .

كيف يفعل هذا ، وهو المناضل الذي لم تـكسر له شوكة ؟

كيف يطأطيء رأسه بعد كل هذا الصراع ؟

ولـكنه أرغم على ذلك .

ووضع المسئولون أمر استعطافه لفاروق كفاء لحريته والاغضاء عنه .

طلب إليه أن يكتب ما يرضى فاروقا. فكتب ، مرغماً، ما لم يحسبه الوسطاء كافياً فنبهوا بإعادة الكرة . فكتب أيضاً .. وظل ، فى كل مناسبة ،يكتب بغير رضى من ضميره.

وكان الوسيط بينه و بين فاروق هو « أحمد حسنين » . أما « محمود فهمى النقراشى » ، فقد أصدر أوامره إلى البوليس بأن لا يتعرضوا لبيرم .

وكان فى تلك الوساطة ما أذل كبرياء الرجل ، ولعل أكبر وصمة فى تاريخ هذا الشاعر أن تذل كبرياؤه .

و إن كانت روح التملق التى فرضتها فى ذلك الوقت دكتاتورية الحاكم قد تبرر كل ما كان يقوله الأفراد من عبارات الزلفى والتهليل والتكبير للجالس على عرش البلاد ، إلا أن « بيرم » لم يكن ليصوغ من تلقاء نفسه ما كان يستجدى به غيره من أصحاب الغايات .

فإن الأمر كان يدفع به إلى أن يصور بزجل حال عودته من المنفى فى السفينة التى أقلته . ثم هروبه من السفينة وتسلله إلى داخل الوطن . ففعل . ولكنه أمر أن يضيف إلى ذيل عبارته شيئاً مقصوداً

ولذلك رأينا الصحف تنشر له ذلك الزجل ، حتى جريدة الأهرام التى لم تعودنا أن تنشر زجلا . وكأن أمراً صدر باعلان الزجل ، ليس لجمال الزجل فى ذاته ، ولكن إطاعة لأمر الحاكم ، الذى نجح وسطاؤه فى أن يذلوا كبرياء الرجل .

وقد بكى « بيرم » وهو يضيف العبارة الذليلة إلى ختام زجله ، تحت الضغط من الوسطاء .

وهذه هى بداية الزجل :

غلبت أقطع تذاكر وشبعت يارب غربة
بين الشطوط والبواخر ومن بلادنا لأوربا
وقلت عا الشام أسافر إياك ألاقى لى تربة
فيها أجاور معاوية واصبح حماية أمية

جاورت قاسيون[1] وجيرته توحش ولا فيهش حاجة
وعزرائيل انتظرته ما جاش وجانى الخواجة
نافخ وسايق أمارته وقال لى : شوف السماجة
البر تحت انتدابنا[2] أخرج دى ماهش وسية

رجعت للبحر تانى مخفور ورايح فرنسا
ولسه طعم البودانى[3] فاكرهوانا عمرى ما انسى
وان رحت تونس كفانى عذاب أنا والتوانسة
«جاملان»[4] محضر مدافن للأمة والأمة حية

فى بور سعيد السفينة رسيت تفرغ وتملا
والبياعين حوطونا بكارت بوستال وعملة
لكن بوليس المدينة ماتزوغش من جنبه نملة
يا بور سعيد والله حسرة ولسه يا اسكندرية

(١) جبل يشرف على دمشق .
(٢) كانت سوريا تحت الانتداب الفرنسى ، إذ ذاك .
(٣) حلوى فرنسية .
(٤) اسم الحاكم العسكرى لتونس فى ذلك الوقت .

هتف بى هـــاتف وقال لى إنزل ومن غير عزومة
إنزل دى ســاعة تجـــلى فيها الشياطين فى نومة
إنزل ده ربـــك تمـــلى فوقك وفوق الحـكومة
خطيت فى ســتر المهيمـــن للـــبر ياحـكمدارية
وأقول لـــكم بـــالصراحة اللى ف زماننا قليلة
عشرين سنة فى السياحـــة واشوف مناظر جميلة
ما شفت ياقلبى راحـــة فى دى السنين الطويلة
إلا اما شفت البراقـــع واللبدة والجـــلابية

هذا هو أصل الزجل ، ويلحظ منه انتهاء الموضوع عند هذا الحد .

أما ما أضيف إليه ، فهو هذا الختام :

يا مصر نور الوسامـــة ساطع وبان شروقك
لحن السلام والســـلامة الدنيا سامعاه فى بوقك
والجو فوقـــه ابتسامـــة زى ابتسامة فاروقك
تحوم عليهـــا الملايكة وتنطق الإنسانيـــة
يـــا فرحتى ياهنايـــا حضرت فى عيد جلوسه
وكل قصدى ومنايـــا أفرش له خدى يدوسه
واخـــد تراب السرايـــة من تحت رجله أبوسه
بس الحكـــدار وجيشـــه داير يفتش عليـــه

وإنه حقاً لأمر يبـكى الرجل الحر أسى وإشفاقاً ، ليس فقط حينما يعلم

الحقائق التى أرغم من أجلها « بيرم » على أن يكتب تلك العبارة الذليلة ، ولكن للحالة المعنوية التى أرجفت روح الكاتب ، ورجت فؤاده ، وجرحت وجدانه

نقد كتبها ، وسجلها التاريخ ، نكسة لم يكن ينساها « بيرم » ، بل كانت تدمع عيناه كلما تذكرها ولكنه كان يتلمس من حبه للوطن الذى كرس حياته لخدمته عزاء له .

* * *

ومع ذلك لم يصدر «فاروق» عفواً عنه ، بل سكتت السلطات عن اضطهاده . وكان هذا كل ما حدث .

* * *

وكان من قبل ، قد توسط فريق من الكبراء لدى الملك « فؤاد » ليعفو عن « بيرم » . ومنهم « سعد زغلول » ، و « عبد الخالق ثروت » ، و« مصطفى النحاس » ، وطلب كل واحد من هؤلاء بدوره أن يعود « بيرم » إلى وطنه ولكن الملك « فؤاد » كان يثور فى وجههم كلما سمع اسمه .

وكتب إلى « بيرم » ، وهو فى باريس ، أن يبعث بزجل ينشر له ، وفيه استعطاف ليصفح عنه « فؤاد » . فنظم « بيرم » هذا الزجل الذى لمح فى بعضه بشيء ، واحتفظ لكرامته فى سائره .

ويلاحظ من عنوانه الذى وضعه له ، وهو « باريس خلاص » أنه كان مطمئناً أن يكون الزجل عربونا للعفو الذى ينشده فيستبدل بباريس مصر .

يابو الفاروق لمـــا اسكندر حـــكم على الدنيـــا ودبر
شاف المداين واتخـــير اسكندرية وسمـــاها

يونانى ويحب الفــارة ورخرة زيه أم منــاره
جبــار وعاشق جبــارة طلــع هواه وفق هواها

اسكنــدر اللى بجنوده الشرق والغرب فى ايــده
والإنس والجن عبيــده باسكندرية يتبــاهى

وافقت عظمته وجــبروته لايفوتهــا لحظة ولا تفوته
الإمبراطور جــوه تابوته نايم هنــا تحت ثراها

يابو الفــاروق يسعد عصرك دى اسكندرية هلال مصرك
النجمة رأس التــين قصرك وإنت فى النجمة ضياهــا

أما احنــا ياأسكندرانية طالعين جيمــا شضليه
طبيعة فى الطــين والمية متركبة تحت سمــاها

الاسكندرانى إذا صافــح يغاظ ساعات ويروح ناطــح
وارثها عن جــده الفاتح فحل الملوك اللى حمــاها

الاسكندرانى إذا اتحذلــق جلنف لـكن له مبــدأ
يغــواه لحــد ما يتزحلق فى نايبة عمره ماينســاها

الاسكندرانى إذا اتحمــس يفقد صوابه ويطلمــس
لحــد مايروح متكربــس فى نقرة إبليس يخشــاها

لـكن يقــوم يغسل وشــه ويروح يجيب اللى غشــه

فى خلقتــــه ويروح نانشه راسين يعيش مسخة بعاهه

وانا اللى جيب مــــن سياله فيها العيـــال والرجاله
شجعـــان ولــكن بهباله يانتصر يا أكلناهـــــا

والحق نقطـــــــع له روسنا نقطمها إحنـــا بأنفسنـــا
مادام مليكنـــا وريسنـــا عا الدفة ماســـك مجراها

ومين ياريسنـــا يفوقك دم الملوك مالى عروقك
وصل جدودك بفاروقـــك ورعرع الشجرة اياهـــا

من أصلها الأصل الغـــالى لفرعها الفرع العـــالى
مظللة النـــاس عقبـــالى ما اعيش واموت تحت نداها

ويلاحظ فى هذه القطعة الفتور الذى يضفى على عباراتها . بل إن الذى يقرأ هذا الزجل يرى أن « بيرم » مازال ذلك المناضل الناطح ، كما يلمح عن عشيرته أهل الاسكندرية ، وليس ذلك المتوسل الذى أرغموه أخيراً على الخضوع

الحنين إلى الوطن

كان « بيرم » فى منفاه كثير التحنان إلى وطنه مصر ، لا يفضل عليه كل الأجواء التى أحاطت به . فلا جمال باريس ، ولا بهجتها ، ولا أرض أجداده الأصليين « تونس » التى نزح منها جده واستوطن ديار مصر ، فكانت وطنه ووطن ذريته ، ولا البلاد التى رست فيها السفن التى كان يستقلها مرحلا بأمر السلطات ، أو مترقباً للفرص التى يتمكن أن ينتهزها ليغافل الحراس ويهرب إلى أرض مصر . كل ذلك لم يكن يوازى عنده نعيم وطنه .

وإنك لتلحظ منه هذا الحنين فى أغلب أقواله فى منفاه . سواء أكان فى الفترة التى قضاها فى تونس ، أو فى تلك التى قضاها فى فرنسا وهى أطول مدى. أو فى أقواله وهو يحاول أن يدخل مصر خلسة .

ولنسمع إليه وهو يخاطب الوطن فى ذكرى ذلك اليوم الذى أبعد فيه من البلاد (وكان يوم عيد الأضحى) بهذه القطعة الباكية :

يوم الدبايح كان	آخر مواعيدك
وقفت له فرحان	أنصب رايات عيدك
وافرش لك الريحان	واسمع زغاريدك
زعق غراب البين	فصلت أكفانى
خيبة أمل ومرام	واعر ومتعسر
ياريته كان فى منام	يصبح ويتفسر

أو حكم بالإعدام ع الناس ومتسطر
ما كان تشوف العين حالى اللى بكانى

عا السين يامصر مشيت إياك يسلينى
عليه عبد جوليت تركى على صينى
ياما التقيت ورأيت جمال ينسينى
واتفكر الهرمين تجرى الدموع تانى

ثم يذكر الاسكندرية ، بلده الذى ولد فيه :

يا اسكندرية يااللى زاينة البحر الأبيض
يانور عنيه عاالشباب وعايكى يعوض

كتمت نارى من سهار البين فى ضلوعى
وفضلت ادارى عن عيون الخلق دموعى

رأيت موانى غن يمين ملكك وشمالك
ماشفت تانى فيه أثر من بعض جمالك

واللى طويته كان علم يخفق فى هواكى
فراق ياريته كان فراق الموت وعزاكى

ثم يكتب أيضاً الزجل الذى سبق أن أوردناه تحت عنوان « بيرم فى المنفى » والذى مطلعه :

عطشان ياصبايا عطشان يامصرين

عطشان والنيل فى بلادكم ... متعكر مليان طين

الخ ،

وكتب كثيراً من القطع التى لمح فيها بالحنين إلى وطنه .

وهاهو يذكره عندما اشترى « راديو » وهو فى غربته، أول ما أنشئت فى مصر دار للاذاعة ، وكانت قد قامت بذلك شركة « ماركونى » اللاسلكية ، ومقر إدارتها كان رقم ٥ شارع علوى .

وصور فى زجله الصورة البشعة التى كانت تصل بها أصوات الإذاعة فى الخارج عن طريق تلك الشركة :

أرض الحبايب بعيدة ... يالهفتى عا الحبايب
قالوا المحطة الجديدة ... حرر عليها العقارب
تحظى بمصر السعيدة ... عندك فى أرض المغارب
جبت الجهاز أمريكانى ... بالدين ومبلغ يساوى

يامصر فالك مبارك ... ياقايمة من بعد نومه
خلينى صيتك يشارك ... لندن وباريس وروما
أنا الرذيل المعارك ... لاجلك عشقت الحكومه
اللى بنت لك محطة ... فى المحجر الزعبلاوى

حطيت على القلب إيدى ... لما سمعت المنادى
ولهان وناكر وجودى ... فى وادى والنيل فى وادى

أقول له شنف ياسيدى ‏ ‏ ‏ ‏ ياما انتظرنا الساعة دى
أحنا اللى لا يدين عطاشة ‏ ‏ ‏ ‏ هات اللى عندك ياراوى

صوته الحنون قربه لى ‏ ‏ ‏ ‏ مخنوق وفى الحلق شارق
حسبته فى الوجد مثلى ‏ ‏ ‏ ‏ يبكى وفى الدمع غارق
ولا احسبوش حس طفلى ‏ ‏ ‏ ‏ يبكى فى أربع منارق
فيها الترامواى يبرطع ‏ ‏ ‏ ‏ والرعد من تحته داوى

« رفعت[1] » بدا فى القراية ‏ ‏ ‏ ‏ وانا اللى « رفعت » سبانى
دارت عليه الرحاية ‏ ‏ ‏ ‏ أحسبها فى بيت جيرانى
أحلف ما فسرت آية ‏ ‏ ‏ ‏ ولا فهمت المعانى
درسنى صوتك « يارفعت » ‏ ‏ ‏ ‏ وانت اللى صوتك رهاوى

وبعده قام المغنى ‏ ‏ ‏ ‏ فتحت له الراديو عالى
واسمع معاه ألف جنى ‏ ‏ ‏ ‏ فى الأودة واقفين قبالى
صوتهم يطشطش فى ودنى ‏ ‏ ‏ ‏ ولا طشيش المقالى
فضلت أفتح وأقفل ‏ ‏ ‏ ‏ لما بريت المـلاوى

يامصر مغرز وجالك ‏ ‏ ‏ ‏ ماتلتقيش فيه مجامل
أحلف بشهرة جمالك ‏ ‏ ‏ ‏ ماركونى[2] بالعند عامل

---

(١) المرحوم المقرىء الشهير الشيخ محمد رفعت .
(٢) شركة ماركونى التى أدارت الاذاعة فى أول عهد انشائها .

شمر دراعـه وبنـالك   محطة من غير فرامل
تحود وتلود وتربع   زى الحمار الحصاوى

ياللى بنيم محططة   للدنيا تسمع وتحكم
مالكم بنيتم بغلطة   جابت على العكس ريحكم
وضاع أدانكم فى مالطة   إكمنه من فوق سطوحكم
والله الفوتوغراف بدالها   ينفع ويمنع بلاوى

ثم هو يتألم لفراقه عن مصر ، ويستعرض الأحداث التى مرت . ويحن إلى وطنه . ويعاتب فى هذا الزجل القوى :

أنا اتاهيت وخدل زندى   ما نيش نبى الله غاندى
إن كانت الغلطات من دى   يكون فى عون اللى عاملها.

إن كان على السجن دخلنا   وإن كان على الملح أكلنا
والصوم نحلناه ونحلنا   خلى اللى فاضل لرجالها

ياما نطح شاعر قلبى   واللوح كتب له اللى كتب لى
واشمعى شعرك يا غرابلى [٢]   خلاك تفوت من غربالها
أنا اللى ضليت فى جهادى   وغشنى حسن الوادى
وهبت للنيل أولادى   من بعد ما عمرو دخلها

---

(١) المرحوم محمد نجيب الغرابلى كان محامياً أديباً ، وأصبح وزيراً .

يا ام السكرانك والدلتـا حاتعملى طرشـة لامتى
ما تغيرت كلة رفـــــتى والدنيـا راقت أحوالهـا

قالوا اللى يشرب من نيلك لابد يرحـل ويجى لك
وانا اللى عطشـان فى سبيلك الدنيا إيه اللى جرالهـا

ياريس خلاص صبحت خربة اللقمة فيهـا بمضـاربة
وانا آترميت وسط مغـاربة القلب والـكرب قاتلهـا

مغاربة يازر فاشــــوكة يازر تربط به فلوكــــة
يا كل معاهم شكشوكـة[1] تشمط وتشوى اللى يا كلها

لا سطل خروب يسعفنى ولا ابن نـكتة يـكيفنى
ما يقصف العمر ويفــى غـــير الخلايق بعبلهـا

يامصر هجرك يكفانــــى ياعاملة قمع وناســـيانى
دا يوم مـا أرجع لك تـانى حاتبقى رجـــعة برسالهـا

خراب مـاتحتـاج لمعاينـة وفن باير واهى باينـــة
أميرى جوز أم بثينـــة[2] وأنـا الرعية مع عيالهـا ؟

---

(١) طعام مغربى يخلط به الفلفل والشطة وجميع التوابل
(٢) الأستاذ محمد عبد المنعم (المعروف باسم أبو بثينة) وكان المرحوم الأستاذ حسين شفيق المصرى قد لقبه بأمير الزجالين.

وها هو يمجد وطنه العزيز على نفسه بهذه القطعة الجميلة ، التى لا ينسى فيها أيضاً التعبير عن حرمانه من نعمة العودة إلى هذا الوطن :

يا مصـــــــــر

يا مصر تتحـــدث الأمـــلاك بجمـــالك
فى وحى جبريل
من قبـل فرعون وموسى الشمس ضاحكا لك
فى صفحة النيل
حســنك لوحـــدك لا نســـوانك ولا رجالك
من جيل ورا جيل
فى وحى جـــبريل قصايد واسمــها سينا
منقوشـــة بالنور
فى صـفحة النـــور مرايا للحيـــاة زينـة
قدامهـا جمهـور
من جيل ورا جيل ومن خوفو ورا مينا
وكل طرطـــور
منقوشـة بالنـــور قراها سـيد الإســلام
بأمر مـــولاه
قدامها جمهور على ذكـر الجلالة ينـــام
والأمـــر للــه

وكل طرطور بقبة أو بنى أهرام

والكل سايعاه

بأمر مولاه محمد عا الجمال وصى

حاكم ومحكوم

والأمر لله وجدتى فى الخلف غصه

تتمد وتدوم

والكل سايعاه وله من رأفتك حصه

آه عاللى محروم



بيرم أيام حياته فى المنفى

بيرم والاحتلال البريطانى

كان « بيرم » فى الحادية والعشرين من عمره عندما قامت الحرب العالمية الأولى . ولقد عاصر عهد الاحتلال البغيض وهو فتى . كما عهد الحماية البريطانية التى أعلنت على وطنه ، مصر ، الذى ولد فيه وشب ونما على أرضه ، وشرب من مائه ، وتغذى من خيره ، واشتنشق أول ماخرج إلى الدنيا هواءه . فلم يكن لربيب هذا الوطن ومحبه إلا أن يألم لألمه ، ويذود عن حياضه .

كان يسمع من أبيه مالحق ببلاد أجداده من أذى على يد الاستعمار الفرنسى .

وكان يرى بعينيه ما لحق بوطنه من ضغط الاستعمار واستعباده .

فأشبعت نفسه بالكراهية والبغضاء لأولئك الدخلاء الذين اغتصبوا حرية وطنه.

وكان العداء للاحتلال البريطانى .

وما أن قامت ثورة سنة ١٩١٩ حتى كان « بيرم » من أبواقها .

إنه لابد أن يثور مع الثائرين. فكتب ماشاءت له الظروف أن يكتب . ونظم من الشعر والزجل مادونه ومالم يدونه ، وإن كانت قد تناقلته الألسن وأنشده الشباب الثائر .

ونقدم للقراء مثلا مما نظم ضد الأنجليز بعنوان : «يامتعتع الحجر» ، نشره فى العدد الأول من مجلة المسلة قبل انبثاق ثورة سنة ١٩١٩ بخمسة أيام :

أحمدك يامن فتحت الباب علينا   بعد أزمان لما دبنا واستوينا

بالله تصلى على طه نبينــا   وأتحفه بالفل والوردة الزكيــة

جالنا ضيف بارد وصاقع وابن جزمة   نام ومزع فى القمـاش والوقت أزمة
والضيافة بالـكثير ما تكونش لازمة   غير تـــلات أيام ودى بالتلتمية

طقة الضيف فى الفطور ميت ألف بيضة   غير ميتين طور كل طور غندور وموضة

بعت عفشى وبعت ملـكى وبعت بابى   والطــاحونة والحمـــار والبطانية
إسأل البنك العقـارى و بنك رومه   تعرف المبـالغ وشيكات العـزومة
والتلم مش طالع إلا بالحـكومة   إن كانت تنفع وبالقدرة القوية

ثم نقرأ له هذه القطعة بعنوان « الحماس »، وفيها وصف دقيق لحالة البلاد فى عهد الاحتلال :

الحمـــاس

الحمـــاس ما اتبط من أيام عرابى   واتــلهينـا
لانجليز شــالوا المــدافع والطوابى   وانتـهينــا

الخازوق ماسك متين والفرقة نينتى   بالمـــدافع
والحقوق تطلبها بالروب والجوانتى   وابقى رافع

للبلد جايبين حكمدار من جلاكسو   واســتلمـها
متحمق لوكان فى مدريد والاموسكو   كان هدمها

فى الفوتيل قاعد أمير والشغل داير   حمرى جرى
و إن زغر لاعظم وزير، يردون ياماهر   بطنه تجرى

مشروعات اتنفذت ، وسيادنا تنهب   فى الفوايد
من سكات وان كنت تزعل ياللاهبهب   فى الجرايد

المعسكر ينبنى يوم المفاوضة | وانت مالك
دى الأوامر ، والمرافعات ، والمعارضة | خلوها لك

وقت مايهف الغرام قول ياللا بينا | عا المراتب
ستميت كبتن يجولك عا المدينة | م المراكب

نتفق أو نختلف برضه انت تطلع | بالبشاشة
والنشان الحلو فى صدرك بيلمع | وانت باشا

ياللى قصر الزعفران مقفول عليكم | كلمونا
سلمتكم مصر روحها بين إيديكم | طمنونا

وإذ جاءت إلى البلاد لجنة ملنر ، وهى اللجنة التى أراد الانجليز بها تخدير الأعصاب فى عرضها المفاوضة فى مطالب الحرية والاستقلال مع « سعد زغلول » ، وفشلت هذه اللجنة فى مهمتها ، وتجددت الحركة الثورية ، وتشدد الانجليز فى قمعها بضربهم الشعب الأعزل برصاص البنادق ، كتب « بيرم » هذا الزجل تحت عنوان «على الأرغول» :

الثورة المصرية

الأولة آه . .
والثانية آه . .
والثالثة آه . .

الأولة ، بالبنادق سكنوا الثوار
والثانية ، جااللورد ملنر يربط الأحرار
والثالثة ، تصريح فى فبراير وأصله هزار

الأولة ، بالبنادق سكتوا الثوار ومـــدافع .
والثانية ، جا اللورد ملنر يربط الأحرار . ويترافع .
والثالثة ،تصريح فى فبراير وأصله هزار .ومش نافع .

الأولة ، بالبنادق سكتوا الثوار ومــدافع . أهم فاضــلين .
والثانية ، جا اللورد ملنر يربط الأحرار . ويترافع . عن الغايبين .
والثالثة ، تصريح فى فبراير وأصله هزار . ومش نافع. وقولوا آمين.

الأولة ، مين يمزق حجة الطالب . فى دين مطلوب .
والثانية ، مين بس يمنع حجة الغالب . عن المغلوب .
والثالثة ، تسلب ولـكن قال لنا السالب. أنا المسلوب .

الأولة ، بالسهولة ضيعوا الأرواح .
والثانية، غول بن غولة جار علينا وراح.
والثالثة ، هيه المهولة تلتقيها مزاح .

الأولة آه . . والثانية آه . . والثالثة آه . .

بيرم والسياسة الداخلية

و بقدر ما كان « بيرم » يهاجم الاستعمار والمستعمرين ، بقدر ما كان ينقد رجال السياسة من مواطنيه في أعمالهم ، ومبادئهم التي قلما كانوا في نظره يحرصون عليها ، وفي نواياهم إزاء الشعب الطيب المسالم ، الذي سلمهم زمام أمره .

وقد عاصر « بيرم » ثورة سنة ١٩١٩ مدة عامين ، ثم نفي عامين ، وعاد فعاش مع هذه الثورة عامين آخرين . ثم عاصرها وهو في خارج البلاد ، فكان لا يفتأ يبعث برسائله الوطنية كلما دعاه داع

وها هو يخاطب بلاده بهذه المحاورة السياسية ، ملمحاً إلى القيود التي تحيط بها من الاحتلال إبان ثورة ١٩١٩

الثورة المصرية ١٩١٩

مالك شهقتي على العـــالى ياللى مالك زنـــــد ؟
مالك ياواقعة طـــــوالى فى طـــريق الهنـــد ؟
ياراضية بالمسيو المــــالى يفقـــرك بالعنـــــد
والقطن ينضـاف عا الغلة جـوا بيت المـــال
والفحل يضرب بالقـــلة يطلب استقـــلال

وتبص فى النـاحية التانيـــة تلتقـى القـــاضى
فارش وقاعــــد بالعنية للشـــكل فاضـى
يعـــــد عمرك بالثانية ويعيـــد المـــاضى

ويقوم ويحجز عا الحـــــاة ويجيب الـــــدلال.
والفحـــل يضرب ....

وإن قلتى ياخـــواتى يانا ينضرب تليفـــون
م القنطرة للشفخـــانة يحضـر الـكركون
بالبسكويت والجبخـــانة والحاجات البـــون
والخرق ينسـد بفـلة والزعـــل ينشـال
والفحـــل يضرب ....

وان قلتى صـــبرى وجهادى دا اللى عـــدى وراح
وان قلتى ماتت أولادى فاللى مات ارتـــاح
والحى ساكت والحـــادى له بـكا ونـــواح
ويشوف خيـــال الفرقـلة ينـكتم فى الحـال
والفحـل يضرب ....

تفضـل معاكى الشرطيـة وان طلبـتى حقـوق
تظهـر سواريخ رسميـة تـتربط بخـــروق
والحجـة تصبح مهريـة ممتليـة شقـــوق
وان كان ما تنفع دنتـلة تتعمـــل غربـال
والفحـل يضرب بالقـلة يطلـب استقـلال

ثم يلخ ، فى مناسبه أخرى ، بعبارات تهكمية ساخرة إلى أبعد الحدود ، عميقة المعانى ، إلى الحالة الواقعية التى لازمت البلاد فترة طويلة ، بين فورة الغضب من الاحتلال ، و بين عوامل التخدير بعرض المفاوضات ، ثم تبلبل الأفكار بين الضجة والسكون :

دخـــل وشـــاف الغنم   متجمعـــين كلهـــم
وشاف منـــولى ابتسم   سلم عليــه قبلهم

استغرب البيـــه عمر   وقال له يا للعجب
وشك دا والا القمر   قال كل شيء له سبب

بيقــول لى جارنا على   فيه ثورة قال فى البلد
قلبى عـــــدوك غلى   نزلت أشوف الولد

قال الفقى قول لنـــا   الـكرشه أصل الزعل
شيء نعرفه كلنــــــــا   فضلك بقى م الزعل

البيـــه نـــده وقتـــدى   عـــلى منـــولى حضر
قال مـــين بقى المعتدى   فيـــكم هنـــا يا غجر

عبد الله قال من زمان   راح الزعل وانطوى
وقال منـــــولى كان   عملنـــــا غدوة سوا

ثم يثير المصرى للتحفز واليقظة ضد الأحداث التى تحيط به ، وضد الاستعمار بوجه خاص :

يامصـــــرى

يامصرى ليه ترخى دراعـــك   والـــكون ســـــاعك
ونيل جميــــــــل حلو بتاعك   يشفى اللهـــــــاليب

خلق الهـــك مقدونيـــــــــا   على سردينيـــــــــا

والـــكل زايطـــين فى الدنيـا ليـــــه انت كئيب

ماتحط نفسك فى العـــالى وتنبـــــاء غالى

وتتف لى عـــــــاللى فى بالى مـن غـير ما تعيب

وتقول له كرماء لصيوفنــا لــــــكن صوفنــا

مــايتنتفش الا بكيفنــا وبيـــد حبيب

ثم يهاجم الامتيـازات الأجنبية التى جعلت من الأجانب على البلاد أسياداً لها :

المولى ناظر لعبيـــــده فوق شطوط الســين

جاب الجمـال بدره بايده والا نالا تنـــين

المسكرى الزنجى يريـــده بالقليـــل اتنـــين

الــكل دولة فى توحيـده جـات بلادنا البين

المبتليـــــــة بكوتاريللى عرة الخواجـــات

المبتليـــــــة ببلقـــانى نجس البلـــقان

وكل بـــــــلوة سيسيليانى خاف من الـــبركان

ساكنين لى فى الدور الثانى واحنا فى الأكفان

اشرب ودوق ذلك ياللى تـــــكرم القفوات

اللطـــخ فيهم بهبـــالته يكسب الملايـــين

والندل فيهم بسفالتـــــه باع لنـــا الــكوكايين

واللى فرش لأمـــه وخالته فرش فى الدكاكين
الله لا يحمى ولا يخـــــلى يفمة امتيـــــــازات

يابو الشهادة المختومـــــــة دكتوراه فى حقـــوق
.مادمت بتقول ياحكومة شغــلى المزنـــوق
لا أعزى أمــك فطومـــة دى اللى والدة خازوق
وانزل عليك أنــا بالشومــة وابعتـــك للسوق
تشيـــــــل مواهى المتولى صاحب الـكرامات

داخــل لنـــا بتقل وضجة زى مـا تقول هون
وفى المحافـــل تتهجى كلة السربوب
وفى الحـــكومة تترجى شغــلة فى الـكركون
أو يعملوك ياابن الحاجـــة عمـــدة البجامون
تضبط جنـــاية وتعمـــل لى شامبيون نشانات

ويتناول موضوع المحاكم المختلطة ، التى كانت فى خطورة تشريعاتها وغرابتها جزءاً خطيراً من أنواع الامتيازات الأجنبية وهو يخاطب فى كلمته المرحوم « عبد العزيز باشا فهمى » ، الذى كان قد طالب بإلغاء تلك المحاكم، وتسبب عن ذلك امتعاض السفير الفرنسى.

المختلـــــــط

أخطب ياعبـد العزيز واشرح وانا أكتب
بدم يسيـــــــل

عتب علينـــا السفير ، خلى السفير يعتب

دا بـــاله طـويل

هوه السعيد العظيم فى كادر مترتب

وغيره ذليـــــل

هوه اللى ينشال ويكره كل شىء متعب

وغـــيره يشـــيل

أخطب ياعبـد العزيز عن شعب متدرج

وعـــزمه شـــديـد

مرت عليـه العـــبر والغلب واتخرج

بعـلم جـــــديد

ويخترع ملح فى عــــين اللى يتفرج

على البيراميـــــد

أو يحسد المنكو بـين عا النور ويحرج

على المواليـــــد

ويتهكم على أنواع المفاوضات التى كان تجرى مع الزعماء بين الحين والحين. بهذه القطعة ، بعنوان المفاوضات ، على الأرغول :

الأولة آه . . . والثانية آه . . . والثالثة آه . . .

الأولة . عالسودان كرزون . خلق تفانين — على كيفهم—ومالناش كيف

والثانية . بوظها هندرسون . سنة تلاتين — وشرفهم — نسوه فى جنيف .

والثالثة . فى الزعفران بالحرملة داخلين—وسيوفهم — مفاوضة بسيف .

الأولة . عبست . والبرلمان حلوه — بمقالب .

والتانية . لما اتنست . خزان كبير و بنوه — بلوالب

والثالثة . أهى اتكربست . والهلب فيها رموه — بمخالب .

الأولة . ياخلف للأفريكان تأديب

والثانية . يا اهل البلد أرزاقنا فى دواليب

والثالثة . أسطول يوفق بين حبيب وحبيب

الأولة آه .

والثانية آه . . .

والثالثة آه . . .

ثم ينقد حكومة « أحمد زيور » فى تهاونها فى حقوق الوطن ، بتسليم إيطاليا — التى كانت مشرفه على بلاد ليبيا إذ ذاك واحة جغبوت ، التى كانت داخلة فى حدود مصر ، وموافقته على التعويضات المالية للموظفين الانجليز ، التى فرضتها دار المندوب السامى البريطانى ، وكانت تقدر بملايين الجنيهات :

يا اللى الأوامر فى ايديكم سلام عليكم

مشتاق يسألنى عليكم راجل محسوب

محسوبكم اللى صبح نيلة ولا لوش حيلة

وغير لا حد ولا جميلة هو المسبوب

فالحق عا اللى عملكم ناس   وهجم واندس
ولا شاف يا أمة جوزة نحاس   بيته المخروب

زاخر الهى سبحانه   معظم شانه
يخلى مثلا روفيانو   يلطش جفبوب

ويخلى دكهه أبو ضب عريض[1]   يلهف تعويض
ويخش تانى معاه تفويض   رسمى ومكتوب

أما اللى ساقها وزاد عا الكل   الواد الفل[2]
سقى التخاين كاس الذل   أهو دا المشروب

من شخطة منه يفور النيل   وتيجى اساطيل
تفهم السادة المساطيل   مين المندوب

آدى اللى حاكم بالقسوة   أما أبو كسوة[3]
شيخ خدامين حتى ما يسوى   فردة مركوب

مطلوب تقوم وتشرفنا   وتنضفنا
من التخين اللى قرفنا   وملانا عيوب

ويتهكم أيضاً على المعاهدات التى كان الإنجليز يعشمون بها المصريين ،

---

(١) يعنى الموظفين الانجليز .
(٢) جورج لويد المندوب السامى إذ ذاك .
(٣) أحمد زيور باشا رئيس الوزراء إذ ذاك .

وما هى إلا شراك للايقاع بهم . ويعرض بالحكام الذين آذوا البلاد بسياستهم الملتوية :

يا قرن عشرين يا ريتك كنت قرن الفيل
وفيك محمد بعث بالوحى والتنزيل
وفيك عمر يرعب العالم بلا أساطيل
جيت والتقيتنا قلاشوه بالجاروف نتباع
لا المشترى فى التمن ما كس ولا البياع
ومين فى سوق الدلالة يشترى الصياع
إلا لمح الجزم ويدحرجوا براميل

سألت زيور ، وزيور صنعته حاكم
يحكم ولاد العرب بالسحر والخاتم
وينقذ الملك[1] لا يحارب ، ولا يخاصم
اللورد[2] جاك بالأمانة يعمل ايه قول لى
يا للى الخروف أكلتك ، واللغد متدلى
رمى « الماتان »[3] من يمينه . والتفت قال لى
بعد المعاهدة أقول لك عا السبب يا رذيل

---

(١) كان زيور (رئيس الوزراء) يقول أنه « تولى الوزارة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه » بعد حادث قتل السردار الأنجليزى المعروفة
(٢) المندوب السامى البريطانى إذ ذاك
(٣) جريدة فرنسية وقصد بيرم بها تصوير شخصية الرجل و ميله للأجنبي

قلت المعاهدة البديعة باينة يا مونشير
بالحـــبر دول لغمطوها ، والله بشرة خير
الحبر يقعد ، وهيــه تنـكتب بأتير
يقراها ولد الولــــد ، ويسب بالأيمـان
فيها الجنود داخلة أكتر م البنود بزمان
والطيـــارات م الدخيلة لأمنـا درمان
تطبق المـادة ١٦ بيمب تقيـــــل

أرجع لسيركين بويد[١] سيد الجميع وأقول
يجعل كلامنا عليك سخسخ خفيف معسول
إمسك معايا القلم أحسن أنا مسطول
مخ اللى شاور عليك بالحبر دا مضلم
يوم المظـاهرة الجدع بالدم متعلم
أما اللى يهرب نهـار الهـول ويسلم
عويل ، ومن يجرى بعده يبقى زيه عويل

وينادى بضرورة تفاهم الأحزاب التى كثرت وتطاحنت فى سبيل الفوز بعضها على البعض ، والبلاد تئن من فوضى التغيير والتبديل فى الحـكام ، بينما الانجليز يتربصون :

حتى الفوريـــــلا متفقين والمصريـــــين
أحزاب ورا أحزاب نــازلين طحن وتــكسير

---

(٤) انجليزى كان يتولى الأمن العام.

وقت الخطر هم الأعـــداء أمـــا العقـــدة
فى الغرزة تلقى لهـــا مساعدة واهو ده التعمـــير

لـكل واحد قال مبـــدأ يوم الخنـــدق
ولما تخرب مـــا يصدق يشبـــع تشخير

يعنى المبـــادىء مجعولـــة حبـــال مفتولة
فى الربط تربط بسهولـــة والحـــل عسير

دستورى حر يقول قـــدم طيب افنـــدم
واتحادى يقول إهـــدم وبـــلاش دساتير

والأنجليز فى اللوج قاعدين منتظرين مين
حيكون فتو الزفة ومـــين يا كل التعـــوير

والعترة فيهم أهم ويـــاه يـــدوله كـــراه
ويخلوا غـــيره يزن وراه مطرح مـــا يسير

واللعبة آخرتها بيـــاظه ووزير طـــازه
ومسير كان . . . أباظـــه يبقى لنـــا وزير

والطور إذا اتسيب عا الطور آخرتهـــا البور
أهو كل حزب يـكون بالدور وزرا ومآمـــير

والربح من غـــير تضحيـــة ميـــة الميـــة
مافى الوزارة يـــا عضويـــة عن أهل ابو قير

إسأل صاحبنا المازنى اليوم عن حال القوم
اللى عطوك المال بالكوم أجرة تحرير
يقول لك الولد العفريت كلك عكاريت
غشونى فى المبدأ ورضيت من غير تأخير

وقبل ما حط العرقوب جوه المركوب
عالم بأن المال منهوب والحزب[1] صفير

ثم هو يفرح لاتحاد الأحزاب الذى يعود على البلاد بالخير :

اتحاد الأحزاب

يارب أنا اتوكلت عليك ورجعت إليك
ما تنسانيش أنا صنع ايديك ياروف ياودود
مين كان يقول ان الأحزاب تصبح أحباب
لك وحدك الحمد ياوهاب يا صاحب الجود
جاعل خلايقك ناس بتحش وناس بتقش
ورحمتك من فوق بترش الزرع يعود
يعود وبعد ما كان جلاوين يرعاه خروفين
عيدان طويلة تملا العين الله عا العود
كانت زريبة السنتين دول يرعاها الصول
وببص لك عمك جون بول يلقاها أسود

(١) حزب الأحرار الدستوريين الذى كان من جملة الأحزاب القائمة .

شدوا اللبان بزيادة كلام وامشوا لقدام
الساعد اللى بنى الأهرام هواه موجود
يخلق بدال الأنتيكة ميت فابريكة
ويبيع لأمة أمريكا وبتوع فرى جود
الدنيا كلها حاسدانه عا الجبانة
« وادى الملوك » أما تتانة منك ياحسود
يعنى المحبة لأمواتنا واحنا حياتنا
وكلنا بجغرافيتنا فى الخارطة قرود
تزخرفونا بسترتركم وبأحمركم
وتشغلونا فى دواركم نلقط فى الدود
وحق من أنبته زينة وفتلة متينة
ليتنسج منه خاكينا والباقى بارود
وينقلب شعب الوادى كله جهادى
مافيهش عاقل ولا هادى غير الملحود
خيوب عليه ان ما جعلها يمشى داخلها
م اسكندرية اشلالها فى عمار ممدود
والنيل يمين وشمال مجراه يخلق سافواه
وصخرة الجيزة ياولداه تصبح هوليوود

ويصور الاستقلال الذى كان يطالب به بعض الزعماء بهذه القطعة التهكمية اللاذعة بعنوان « استقلال عدلى باشا » .

قومى اقلعى الطرحة السودة يا أم المرمـــين
وركبى الوردة المـــــودة بـــين النهدين
يا أم الخصـــال المعبـــودة أنا احطك فـــين
جميع لوازمك موجـــودة عا الراس والعين

إن كان هـــــلال
والا استقـــــلال
والا رواق بـــال

على الفوانيس والحنـــة يا ما بـكيتى
مخلتيش يا ام مشـــنة ولا بقيـــتى
قالوا ما ترضـــاش تسنى لمـــا شكيتى
فالعقـد حايكون بالسنـــة عـــا السكيتى

محناش صومـــال
ولا وش قتـــال
داحنا ناسات عال

يا كتاف صلاة النبى أعرض وعيون غزلان
وطول من البجر الأبيض لامك درمان

وشيء مسمى ومخفض إسمه الخزان
وحوض دهب ساعة منفض وساعات مليان

أما القنال
زي الخلخال
وطلوعه محال

ركك على الجمعة الجاية بالك على ايه
حاتنعقد لك جمعية وصالون وبوفيه
من كل كفر ومديرية ييجي باشا وبيه
يخيطوا لك ناموسية وداير ستاتيه

وابن الحلال
تحت التمثال
وادي الاستقلال

> بيرم هو شعبيتنا الخالصة ،
> هو أنفاس هذا الشعب ،
> تنبعث من أعماق فكره
> ووجدانه .
>
> سمير دواره

بيرم والسياسة الخارجية

ويتناول « بيرم » السياسة الخارجية ، فيحول فى شتى ميادينها .

ونقرأ له هذه القطع المنوعة ، يخاطب فى إحداها بعنوان « ميتم الأمم » الدول الغربية بما شاء له خياله من تحليل للواقع الذى كانت تعيش فيه هذه الدول ، إذ ذاك :

ميتم الأمم

(أمريكا)

فين عين واشنطون تشوف روزفيلت أبو النفانين
القمح قال يتحرق ، والبطالين جعانين
آدى جزاتكم ياولس عصبتك شينة
فرنسا وانجلترا بيضبعوا فينا

(روسيا)

ياللى صبحتم غنم ستالين راعيها
ازرعوا اللى بطرسكم الأكبر زرع فيها
شمتان فى قلة مقامكم نصكم أجرابيع
والنص فى أوربا داير يشتغل ويبيع

(اليابان)

بالرز قانعين ، وميكادكم رشيق ونحيل
حسرة على اللى عليكم ركبوا براميل

وكان صفار الوجوه اسمه صفار الموت

صبح صفار الوجوه له فى الموازين صوت

(انجلترا)

الفرس فين والفراعنة فين ذراريهم

الجبارين ربنا يكسر رقابيهم

طالب من الله أعيش واشوف بعينية

يا انجلترا أمتك تصبح فلايكية

(فرنسا)

الحظ كان محتكر والناس تروح له باريز

صبح متلل فى تومبوكتو وفى تبريز

وف نص يوليو انفتح باب السما غلطة

أما اللى فى الغيب لا لباستيل ولا مالطة

ثم يخاطب دول الشرق ، بعنوان « الشرق » ، بهذه القطعة الرائعة ، مصوراً فيها طابع الشعوب العربية ، التى كانت فى ذلك الوقت مستكينة الجانب

(الشرق)

من قبل ما اكتب أنا عارف	القول ضايع
والأجر بالتأكيد ذاهب	حسب الشايع
والشتم حايجينى مسوجر	من واد صايع
مهما انكويت بالنار والزيت	برضك فنان

يامصرى وانت اللى هامنى / من دون الكل
هزيل ويحسبك الجاهل / عيان بالسل
من دى الكيوف اللى تصبر / على كثر الذل
ونمت والعالم فايق / قوم بص وطل
شوف الشعوب وانفض ودوب / وارجع انسان

واللى آلمنى وبكانى / إنت يا شامى
عا الأكل نازل طول عمرك / بارد حامى
وقلت لى لما هيتك / مصرى حرامى
لحد ما الجزار خلا / جرحك دامى
والله الخروف سايب معلوف / ما يفوته جعان

والمغربى المسلم راخر / أبو زر فاشوك
لما انتقدته فزع قال لى / يلعن بوبوك
وانا اللى قصدى أشوف قيده / يصبح مفكوك
لقيته فرحان به وراضى / طيب مبروك
خليك فقير، دق البندير / وكل التعبان

روح العراق راخر قول له / كيف الأحوال
لأمتى تفضل يا أخينا / بحرام وعقال
ما تعرف الجاز يستعمل / غير للمشعال

ألطم بقى وقـول ويايه		الجاز أموال
واوعى المداس يفلت تحتاس		وتقول لى أمان

يا شرق فيـك جو منور		والفكر ضلام
وفيـك حرارة يا خسارة		وبرود أجسام
فيك سبعميت مليون زلمة		لكن أغنـام
لا بالمسيـح عرفوا مقامهم		ولا بالإسـلام
هى الشموس بتخـلى الروس		كدا هو بدنجان

وإذ أعلن مرور المهاتما « غاندى » زعيم الهند الخالد الذكر ، من قناة السويس ، فى طريق ذهابه إلى لندن مفاوضاً فى سياسة بلاده كتب هذا الزجل الجميل ، الذى أعجب به المرحوم « أحمد شوقى » أمير الشعراء ، لما فيه من براعة وبيان ، ودقة فى وصف حالة كفاح هذ الزعيم الخالد ، وجهاده ضد الانجليز الذين كانوا يستعمرون الهند ، متخذاً من العصيان المدنى مبدأ له ، ومن اكتفاء البلاد الذاتى سلاحا ضد المستعمر ، ومن صيامه المتكرر أساساً للمقاومة :

غانـدى

السـلام لك والسلامة		من هنا ليوم القيـامة
يا اللى أظهرت الكرامة		بعد عهـد المرسلين

يا اللى من لعبك بمغزل		تطلع البورصات وتنزل
فوق دماغ لندن وتعزل		لا نكشير الغزالـين

فيلسوف ما يخيش قولك		كل فلسفتك فى نولك
والتلاميـذ اللى حولك		بالمكاكيك شغـالين

الانجليز عايشين فى لذة	عنـــدهم أسطول وعزة
وانت تغلبهم بمعـــزة	سودة بنت اربع سنـين

الانجليز تاخـــد ماتدى	بالحفان من كل هنـــدى
واتنبح صوتك ياغانـدى	مـــا التقيتش المنصفين

قول مـادام الحق ضايع	والغرض بيـــع البضايع
الحزام ســـاتر وسايع	والا تمشى عريانين

يخضعوك ليـــه للتجارة	وانت فى أرض الحرارة
كل قرش يروح خسارة	فى الزفـــير والتفتالين

يازعيم الهنـــد صومك	حبب العـالم فى قومك
وانتهت حجـــة خصومك	اللى باتوا ملبوخـــين

كلهم واقعين فى حـيرة	يعقدوا جلسات كبيرة
فوق مـــوائد مستديرة	يعنى لسه محلقــــين

يغضب الحاكم لنصحك	يحبسك ويعود لصالحك
وأنت تستعجب وتضحك	عا الجبابرة القحطـانيين

يحسبوك طالب جراية	ترعبك هزة عصـــاية
يلتقـــوك ياغاندى آية	فى الجهاد صـايم سجين

ونعرض لبيرم بعد ذلك قطعتين فى السياسة الخارجية ، إحداهما بعنوان «سياسة مدبرة» ، وتحمل تاريخ ١٩٤٧ ، والثانية بعنوان « يامجلس الأمن جينا» .

سياسة مدبرة

لله سياسة مدبرة　　من الأزل متقدرة
سخر لها المتفشخرين　　الأمريكان وانجلترا

الحرب جاية والسبب　　هيه الغنايم والسلب
الهند والصين والعرب　　وجعلهم مستعمرة

تبرك عليها الأنجلو　　أما اللاتين فيرحلوا
وفى بلادهم يفضلوا　　أمم ركش متأخرة

الروسيا حاتقول حصتى　　حايقولوا للروسيا اسكتى
حاتقول جنودى وقوتى　　حالا تقوم المجزرة

وبعد مايمر الزمن　　حايقول تشرشل لترومان
من طنجه حتى لليمن　　أراضى تتبع لندرة

ولسه تدفع لى الكلف　　وتجيب سلف غير السلف
جديدة غير اللى سلف　　والدفع عند المقدرة

يهدوا تانى اللى اتبنى　　بحرب تالتة تسرنا
ونبص نلقى نفسنا　　فى دنيا زاهية منورة

يامجلس الأمن جينا

يامجلس الأمن جينـا وحقنـــــا فى إيدينا
ننصف ما تنصف عليكم الحق يمشى علينـــا

قضيـــة ماهيش عسيرة مش عايزة تمحيك وحيرة
انجلـــترا فى جزيرة ويش جابها تحكم وادينـا

حا تقول بيناتنا معـاهدة وتسوق أمور المناهـــدة
نعود قوام للمجاهـــدة والبحر يصبح طحينـــة

واللى مـــا نقدر نصده بالضفر والنـــاب نعضه
نعيش نموت زى بعضـه ولا التجـــار يحكمونا

تجار سعارنة جواعـــة عاملينـــا فى السوق بضاعة
من ساعة تنزل لساعـــة فى كل بورصـــة ومينا

فرنســا فى الغرب تربح وانجلـــترا دايرة تفتح
والست هولنـده تدبح فى أندونسيـــا الحزينة

أمة محمـــــد جهادها وجب لتخليص بلادهـــا
ونص مليـــار عددهـــا لو تعرفوا تحسبونـــا

أمـــة محمـــد عظيمة شعوب وأملاك وقيمـــة
ماهيش هــدية وغنيمة لجورجى والا سارينـــا

* * *

ثم بعنوان « إيه نابنا بعد الحروب » يصور الحقائق بهذه القطعة الصادقة :

إيه نابنا بعد الحروب

بعد الحروب اللى هـــدت قلبنا الموجوع
طلـــع منابنــا شوية خردوات وبتوع
وكام جباردين مشمع ، نصهم ممزوع
وجنبهم ربعميت مليون جنيه مطبوع
وكام حمار حرب أصبح بالغنى مروع
وجيش بنات اسمه أرتيستات ، يقوده الجوع
وفوج مهـــاجرين أكاسرة ، ذكرهم ممنوع
أجروا المشاريع ، ولم نعرف لهم مشروع
ولسه جاياك معـــاهدة غير ذات موضوع
تمص عود القصب ، وتفوت لك الزعزوع

بيرم والثورة

قلنا إن الذين كان بيدهم الأمر، حينما دخل «بيرم» خلسة إلى أرض الوطن، فى عام ١٩٣٨ ، كانوا يضعون أمر استعطافه لفاروق كفاء لحريته والاغضاء عنه . وأنهم طلبوا إليه أن ينشر ما يرضى حاكم البلاد ، فكتب بالرغم عنه ما كتب .

ولكن الأمر تمادى إلى أكثر من ذلك . فكانوا يستكتبونه فى كل مناسبة مديحاً لفاروق ، حتى سمع له الناس فى الإذاعة بعض الإشادة بذلك الملك، فى عبارات يعلم الله كم كان يتألم لها « بيرم » فى أعماقه .

ومن الانصاف أن نتخطى هذه السوءة فى حياة « بيرم » إذ لم يكن له فيها ذنب ولا جريرة ، وإن كان البعض قد التزم اتخاذها مجالا للتشنيع به .

وقامت الثورة المباركة فى عام ١٩٥٢ ، على يد الضباط الأحرار، فتنفس « بيرم » الصعداء وحمد الله على أن زال ذلك الكابوس الذى كان جاثماً على صدره .

ولم ينقلب طفرة متملقا للعهد الجديد ، ولم يسرع ليعزف على قيثارة الرياء والنفاق لمن آل إليهم الحكم ، كما حاول أن يفعل غيره من الذين دأبوا على أن يلبسوا لكل حالة لبوسها ، وكانوا بالأمس القريب من أبواق الماضى الفاسد . ولكنه وقف وقفة المؤمن فى محراب الصلاة ، يستغفر ، ويبتهل ، معتذراً ، تائباً .

وقد عهدته فى ذلك الوقت ، كما عهده غيرى من أحبابه ، تدمع عيناه ، ويتألم ، من تسجيل تلك الأقوال الزائفة فى صفحة حياته .

ووفقه الله كل التوفيق فى صياغة هذا الزجل الجميل ، الذى نشره فى أول عيد للثورة عام ١٩٥٣ . وجعله على وزن وقافية زجله الذى هاجم به الملك فؤاد ، والذى كان السبب فى نفيه ، وهو على سياق الأغنية القديمة «مرمر زمانى يازمانى مرمر»:

العيد ده أول عيـــــــد عليه القيمة

ما فيهشى تشريفــــــة ولا تعظيمة

صابحين وأعراضنا أقـــــــله سليمة

ياللى سمعتم فى الإذاعـــــة صوتى

دى مسألة فيها حيـــــاتى وموتى

مطيباتى كنت والا حــــــانوتى

فى الفرح والأحزان باقـــوم متأجر

يارب سامحنى ، وانت الغافــــــر

تفرح إذا استغفر وتــاب الـكافر

فضلت أقول يامتقى للفاجـــــر

ويا خليفــــــة الله لشيخ المنصر

وقد صور « بيرم » بلباقة واقع الأمر الذى ألزم تلك الضرورة . وأنه لعمر الفن والبيان كفارة عن تلك الزلة الغير المقصودة . وهو أبدع ما تنطق به روح أديب مخلص مؤمن بوطنه ووطنيته .

بعد هذا مضت الأيام ببيرم وهو راض مغتبط ، وكأنه استرد كرامته وأباءه ، ولمح فى مجال الأفق قبولا لذلك الاستغفار الصادق ، على صورته الحقيقية الصادرة من أعماقه .

لذلك أعقب بهذا الزجل الذى يصور به واقع الثورة التى قام بها أولئك الأحـــــرار :

سرت فى المدينـــــــة حكومة بنينــــا
نولى بايدنيــــــــا رئيس جمهوريـــــة

بلاش بغل شهـــــــدى يقول شعب جـدى
على عرش والدى له الأولويـــــــة

يقـــــوم من سراية ينــــام فى سراية
ويبعت عشـــــاية لجرمين هـــدية

وخالتى الإذاعـــــــة تقول كل ســاعة
نصير الجماعـــــــة جزيـــل العطيـــة

ولما ملكنــــــــا أدحنـــا سبكنـــا
تماثيل ملوكنـــــــا برابخ سقـــــــية

ثم يصور حالة الفساد التى كانت متفشية فى أنحاء البلاد ، والتى قامت الثورة على أسبابها ، منوهاً بانتقاضة الشعب ، فى قطعة من الزجل يقول فيها :

والرشوة مش بينى و بينك لأ ... عينى عينك
وحط عرضى على دينك لجماعة كبـــــــار

أتارى ده كان كله رمـــاد والفحم يـــاواد
من تحت والـع والوقاد ســـاكت على نـــار

ويا ما من تحت الأمواج بركان وهـــاج
إذا صحا من نومـه وهـاج يقلب أخطـــار

والشعب يا اخوانا إذا قال يعـــى الزلزال
تطير عروش وملك ينشال م الدار للنــــار

ويكرم الثورة فى الأغانى التى صاغها لينشد بها المطربون ، تمجيداً لقائد الثورة ورئيس الجمهورية العربية . ومن ذلك الأغنية التى تنشدها مطربة الشرق أم كلثوم ، ومن عباراتها :

بعــد الصبر ماطــــال نطق الشرق وقـــال
حققنـــا الآمــــال برياستك ياجمـــال

الشعب اللى رفـــع الراية لصــــلاح الدين
أودعها يمين عبــــد الناصر ويمينــه يمــــين

الخ .

ثم يتجاوب مع الأحداث ، فى ظل هذه الثورة ، بأناشيده الصارخة ، التى منها هذا التصوير البارع لانتصار الشعب على العدوان الثلاثى الغاشم ، الذى قامت به انجلترا وفرنسا وحليفتهما إسرائيل . على مدينة بور سعيد الباسلة :

صوت الســـلام هو اللى ساد واللى حـكم
على الدخيـــل اللى اندحر واللى انهزم
عدونا لمـا اعتـــدى قدمنـا أرواحنا فـــدا
واستعجبت من بأسنا كل الأمم

تلات أمم يا بور سعيد متقـــــدمة
بدبابات وطيـــارات تمـــلا السما

الأولة : داخـــلة البـــلاد مستعمرة
والثانية : بعـــد الانكسار متجـــبرة
والثالثة : عـــلى العرب متـــأجرة

هدموا البيوت قتلوا النفوس . و إنما
إحنـــا هـــدمنا عزمهم
فى الشرق كلـه ومجـــدهم

تلات أمم جايبة العتــــاد . لـكنهم
متقدموش فى بور سعيـــد ولا قـدم
اسم الســـلام هو اللى ساد واللى غلب
و بدمنا الغـــالى على الأرض انـكتب

لا يتمحى من أرضنا ولا يزول واحنـا هنـا
متمسكين بحقنـــا متسلحين بعزمنـــا
أعـــدانا شافـوا البينـة
اللى بنوه فى سنين . فى ساعة انهدم

شافوا العدا فى مصر عزم ومقـــدرة
شافوا النفوس تنباع . والله اشـــترى
شافوا الهوان واتنـدموا عا اللى جرى
عادوا بالخذلان و بالعار والنـــدم

وإذا عدنا إلى الماضى ، فإننا نلمح فى كثير من أقوال « بيرم » تلك الجذور التى كانت متأصلة فى أعماقه من عدم الرضا عن الأوضاع التى كانت قائمة ، وكيف أنه كان ينادى بصيحات تلو صيحات ، فى كل مناسبة من المناسبات ، وكأنه كان يحس من وراء الغيب بذلك اليوم الذى ستتحرر فيه البلاد على يد الأحرار بوثبة الثورة .

من ذلك، وعلى سبيل المثال، قوله حين كلف أن يصوغ الملحمة المعروفة بملحمة محمد على . وهى التى كانت الإذاعة تكررها أيام فاروق .

وليه القاضى والوالى يجيبهم بابنا العالى
وليه ما يكونش طوالى حاكمها من أهاليها

مزارع جوها دافى وطولها وعرضها وافى
وليه يمشى ابنها حافى يمد الإيد ويطويها

ومن السهل أن يلحظ القارىء ماذهب إليه «بيرم» من تلميح لاينطبق على أسرة محمد على. وقد فات أمره على أولى الشأن إذ ذاك، فاستساغوه اصالحهم . وهو لا يصورهم بشىء ، فليسوا من أهل البلاد ، ولكنهم أرنأوط الأرومة ، أتراك الأصل ، وافدون على البلاد .

كما يبدو من المقطع الثانى بوضوح ذلك التعبير الصادق عن الأسس التى قامت عليها الثورة من العمل على الاشتراكية الاجتماعية

مزارع جوها دافى وطولها وعرضها وافى
وليه يمشى ابنها حافى يمد الإيد ويطويها

ثم ها هو ينادى بوحدة العرب والعروبة ، وكأنه يتنبأ بتلك الدعوة الجليلة

التي ينادي بها ويعمل لها رئيسنا ، وزعيم ثورتنا ، من جمع شمل الأمة العربية ، وتكتيل قواها ضد مطامع الاستعمار :

أمـــة محمـــــد جهادهـــا ‏ وجب لتخليص بلادهـا
ونص مليـــار عددهـــا ‏ لو تعرفـــوا تحسبونا

أمة محمـــــد عظيمـــــة ‏ شعوب وأملاك وقيمـة
ماهش هــــدية وغنيمة ‏ لجورجى والا سارينـا

وفى نحـة من نحاته ، وكان ذلك من منذ نحو ربع قرن ، ونحت عنوان « اتحاد الأحزاب » يبدو وكأنما كان يحس متنبئاً بالمستقبل ، حين يشير إلى آثار التصنيع والبنـاء والتعمير والإنتاج ، التي هى من المبادىء والأسس لثورتنا الحاضرة ، فى هذه العبارات :

شـدوا اللبان بزيادة كلام ‏ وامشوا لقـــــدام
الساعـد اللى بنى الأهـرام ‏ هـــواه موجـــود

يخلـق بدال الأنتيـــكة ‏ ميت فـبريـــــكة
ويبيـــع لأمة أمريــكا ‏ وبتوع فرى جـــود

وحق من أنبته زينـــة ‏ وفتـــلة متينـــــة
ليتنسج منه خا كينـــا ‏ والبـــــاقى بارود

ويتقلب شعـــب الوادى ‏ كلـــه جهـــــادى
مافيهش عاقل ولا هـــادى ‏ غـــير الملحــــود

خيوب عليه ان ما جعلهـــا ‏ يمـشى داخلهـــا
م اسكندرية لشلالهـــا ‏ فى عمار ممـــدود

والنيل يمين وشمـــال مجراه   يخلـــق ســـافواه
وصخرة الجـــيزة يا ولداه   تصبح هوليـــــوود

ثم هو يتناول مساوىء المجتمع فى دور الحكومة وغيرها ، وكأنه يشير إلى ما تعمل له الآن خطة الثورة فى تطهير أداة العمل فى كل المصالح والمرافق ، من المفاسد والانحرافات :

إن كان يحب الوزير يوفر   يقوم يراجع فى كل دفتر
يلاقى نص العـددوأ كتر   يستاهل الرفت والأذية

وفى كلمة أخرى :

لو نربط الخبص والرشاوى   نرتاح من الصرف والبلاوى

والاشتراكية التى حددت الثورة معالمها لصالح الشعب والمجتمع العربى ، فى حق كل فرد فى حياة قريرة سعيدة ، كان يلهج إليها « بيرم » فى هذه الكلمات التى هاجم بها الإقطاعيين المحتكرين ، وأصحاب الأملاك الجشعين ، الذين لا يهمهم حياة الشعب :

أصل الحـــكاية الذوات ولهم علينا حقوق
زارعين بساتين ، وخايفين من نزول السوق
ياما غنى يشتريها ، والفقـــير مدعوق
والرب خالق ، ويمنع نعمته المخـــلوق

بيرم الشــــاعر

آثر « بيرم » أن يكون زجالا على أن يعرف عنه أنه شاعر . مع أنه نبغ فى الشعر نبوغه فى صياغة الزجل .

وقد كان يمكن أن يكون فى طليعة شعراء عصره ، بل كان من السهل عليه إذا اختص بنظم الشعر أن يبز الشعراء ، وأن يتفوق على أساطينهم .

ويمكننا أن نسجل عليه أنه بدأ شاعراً فأول ما أنتج من المقطوعات كان شعراً . ولكنه عزف عن الاستمرار فى الشعر ، ليكون مع الشعب فى طبيعته وبيئته ، وليتجاوب مع الجماهير فى روحيتهم ومشاعرهم

ولنتركه يحدثنا بنفسه عن السبب الرئيسى الذى دفعه إلى أن يتجه لفن الزجل .

ولقد قال ، وسبق أن أوردنا ذلك من قبل

« استوعبت دراسة الأدب العربى من أمهات ينا بيعه . ودرست البلاغة ، وعلوم اللغة وفقهها ، وأحطت بشواردها وأوابدها إحاطة السوار بالمعصم

« وكنت أقدر أننى سأجتر هذه الثقافات العربية الصميمة فى صقل استعدادى وموهبتى الشعرية ، إلا أننى شهدت فى مطلع حياتى صرعى الشعر ، وأشلاء الشعراء ، تحت أقدام المشعوذين وشذاد الآفاق ، والمتجرين فى سوق الأدب الفارغ ، والكلام الساقط ، واللغة الدارجة ، على أرض خبيثة .

« ثم تعاقبت المحن الثقال ، مع الليالى الطوال ، فأخذت المجاعة بخناق وخناق الأطفال ، وتلقيت وحشة الاغتراب ، ونكد المرض ، وفقدان الأوطان والأحزان ، وضراوة المجاعة فى بيت لا يؤنس بقايا الآدميين فيه إلا الأنين

والدموع والأنفاس اللاهثة ، فلم أر أن أضيف إلى هذه المحن القاصمة محنة الشعر فتركت ثقافتي واستعدادي وموهبتي الشاعرة أمانة فى ذمة الأيام إلى الزجل أنظم به المسرحية والموال والأغنية » .

و ننقل للقراء كلمة للكاتب الكبير الأستاذ « أحمد عبد الحميد الغزالى » فى حديث له ، بجريدة المساء ، عن المرحوم بيرم التونسى ، بعنوان (بيرم التونسى الشاعر الذى ترك قمة الشعر إلى قمة الزجل) .

قال فيها

« هكذا عاش « بيرم التونسى » يطالع الناس فى كل يوم بإحدى شخصيته اللتين كانتا تؤلفان فنه ومواهبه . وظلت شخصيته ، تنأى به عن الشعر ، وتغريه بالزجل ،حتى استوى على عرشه ملكا متوجا . فكل زجالينا ، صغيرهم و كبيرهم ، روافد لهذا المحيط عميق الأغوار ، مديد الأبعاد ، متلاطم الأمواج

«ولمع « بيرم» وتألق نجمه، أستاذاً فى فن الزجل، لايشق له غبار ، وأفل نجمه فى سماء الشعر ، رغم إرادته . وكان ذلك تلبية — لا مفر منها — لحكم الأيام

« وكنت أحياناً ألمح عليه أسى وحسرة تنطق بهما أسارير وجهه الصارم المتجهم ، حين يثار حديث عن الشعر المعاصر ، فكان يضغط على أسنانه ، ويلوح بيديه ، فى مرارة . و يقول

« أين هؤلاء الشعراء المعاصرون الجديرون بهذه التسمية ؟ .. »

ثم يقول الأستاذ الغزالى

«وكان « بيرم » فى شعره الجاد ، أو الساخر ، مشرق الديباجة ، فخم الأسلوب ،جزل اللفظ ، رائع الخيال ،حلق فى آفاق لم يحلق فيها شاعر من قبله،لأنه

كان يعيش فى حقائق مجتمعه ، التى يصنعها المجتمع ، وتتألف منها آمال الشعب وآلامه ، وتتبلور فيها أحلامه ورغائبه .»

« ولن نكون مغالين إذا قلنا إن « بيرم » الزجال الكبير الذى زحم أيامه بآثاره الخوالد ، من الأوبريت ، والمسرحية ، والموال ، والأغنية ، لا يعرفه كثير من الخاصة والمثقفين شاعراً كبيراً ، أسهم بشعره فى أفراح الشعب ومباهجه ، وجوانب الحياة الشعبية الضاحكة » .

* * *

أتاح لى الحظ أن أتعرف على « محمود بيرم التونسى ».

كان ذلك فى يوم من أيام نوفمبر ١٩٢٢ وكنت إذ ذاك بالسنة الثالثة بالمدرسة الخديوية .

كانت الشكوى قائمة إذ ذاك من كثرة المتسولين فى الطرقات ومضايقتهم للناس . فرسمت صورة بالريشة معبرة عن هذه المضايقة إذ كنت أعيش فى بيئة فنية شاملة من الأب والعم والأخوة والأقارب . وحملت الصورة إلى مجلة النيل التى كان يحررها المرحوم الأستاذ « فرج سليمان داود » وهى المجلة التى استبدل بها فيما بعد « مجلة الحسان » .

كانت مجلة النيل تصدر فى دار المؤيد (مكان مطبعة الرغائب اليوم) . فلما رأى المرحوم « فرج » الصورة أشار علىّ أن أقصد حجرة أمامه ، لأرجو شخصاً أن يكتب كلمة من الشعر ، أو من التعبير الفكاهى ، تخدم موضوع الصورة ، وأخبرنى عن اسمه انه « الأستاذ محمود بيرم التونسى » . وكنت قد قرأت لصاحب هذا الاسم « مجلة المسلة » ولا أعلم أنه مقيم حينذاك بالقاهرة

ففرحت ، واستأذنت الأستاذ « بيرم » ، الذى كان مشغولا بكتابة بعض روائعه أن يتكرم بما عرضه الأستاذ فرج .

وأسجل هنا المقدرة الفائقة التى لمستها فى هذا الكاتب النابغة

إنه ما كاد ينظر إلى الصورة المرسومة حتى أخرج ورقة من درج مكتبه الصغير المتواضع ، وكتب في سرعة عجيبة هذين البيتين

فئة مضها الشقاء فأضحت   وسم عار فى الأمة المصرية
قد زعمتم بأنكم أهل جود   أين ياقوم ملجأ الحرية ؟

ثم سلمنى الورقة وقال : لاتعجب لكلمة « مض » فنى هذا المعنى فى اللغة « مض » و « أمض ». والحق إننى من هذه اللحظة قدرت الرجل . وتأكدت من جدراته فى نظم الشعر

هذا هو « بيرم التونسى » الذى داومت اللقاء به فى نفس المكان ، ونفس الحجرة ، وهى باقية المعالم إلى اليوم ، بعد ما عاد هاربا من منفاه الأول فى تونس. وكان يحرر صحيفة الشباب كلها للمرحوم الأستاذ « عبد العزيز الصدر » .

ذكر « بيرم » فى غلاف مجلة المسلة التى أصدر عددها الأول بالاسكندرية فى ٤ مايو ١٩١٩ أنه صاحب قصيدة المجلس البلدى . وكأنه حدد بذلك تاريخا له فى عالم الشعر

فقد كانت قصيدته فى المجلس البلدى من بواكير ممارسته لنظم الشعر .

ويرجع تاريخ حنقه على المجلس البلدى بالإسكندرية إلى العهد الذى كان فيه والده يملك محلا لتجارة المنسوجات ، وكان « محمود » يعاونه فيه وكانت الضرائب والأتاوات التى يحصلها المجلس البلدى فى الإسكندرية حينذاك مما يرهق التجار . إذ كانت رياسة تلك المدينة فى أيدى أجنبية بحتة .

فلما افتتح « محمود » لنفسه ، بعد ذلك محلا للبقالة ، زاده إرهاق المجلس البلدى حنقاً ، فنظم هذه القصيدة التى تشهد له ، على صغر سنه بالعبقرية المبكرة ، وقد نشرها له الكاتب الصحفى الكبير المرحوم « محمد عبد القادر حمزه » فى جريدة الأهالى

المجلس البـلدى

قد أوقع القلب فى الأشجان والـكمد
هوى حبيب يسمى المجلس البـلدى
ماشرد النوم عن جفنى القريح سوى
طيف الخيال ، خيال المجلس البلدى
إذا الرغيف أتى ، فالنصف آكـــله
والنصف أتركه للمجلس البـــلدى
وما كسوت عيالى فى الشتاء ، ولا
فى الصيف ، إلا كسوت المجلس البلدي
كأن أمى بــــــل الله تربتهـــا
أوصت فقالت أخوك المجلس البـــلدى
أخشى الزواج فإن يوم الزفاف أتى
يبغى عروسى صـــديقى المجلس البلدى
وربمـــــا وهب الرحمن لى ولداً
فى بطنها يدعيه المجلس البـــلدى
يابائع الفجل بالمــليم واحــــــدة
كم للعيـــال وكم للمجلس البـــلدى

ثم أعقب هذه القصيدة بأخرى فى نفس موضوع المجلس البلدى ، وهو يتهــكم فيها على الفارق بين استمتاع الأجانب وحرمان أهل البلد :

وحول منـــــازل الفرباء عنـــا

غرست الورد ثم اليـــاسمينـــــا

وأخضلت الفصون لهم سمـــــاء

ومهدت الرخـــام الجـذع حينا

وما قرمـــوا للحم الطـــير حتى

منحتهم الأوز العائمينـــــا

تفجر تحت أرجلهم عيـــــونا

وتفقأ وسط أعيننـــا عيـــونا

وترضى عنهمو وتصد عنـــا

وقـــد سخطوا ، ونحن الشاكرونا

فر بهـــا علينـــا كل عام

بحى الأشقـــــياء البائسيـــنا

ترى الوحـــلات جائمـــة وفيها

بنـــات قـــد تعلمن العجينـــــا

إذا كنت الطبيب ونحن مرضى

فأوص النـاس خـــــيراً بالبفينا

ثم قرأنا له هذه الأبيات التى نظمها حينما رأى أحد الأفراد المزيلين يقوم بتمثيل دور البطل « صلاح الدين الأيوبى » :

يامشرفين على التمثيـــــــل ويحكمو

إنى لأمر عظيم هـــــــاجنى الغضب

لقـــــد كثرتم فهلا كان بينـــكمو

شهم لمثل صـــــــلاح الدين ينتخب

مـــا كان ممتهناً حتى تمثـــــــله

على مسارح مصر مصرفتية

ولنقرأه شاعراً مجيداً فى هذه القطعة الصوفية الجميلة

قد دعاك المحزون فى غسق الليـــــل

وقـــد نام كل حى ســــــــواك

رب أنت اللطيف بالـــبر والعـــاصى

مجيب لـــكل عبـــد دعـــــــاك

لك لطف فى الخطب لو أمعن المـكر

وب فى وقعـــه يــــــــكاد يراك

أنا مستمسك بحبلـــك فى الـــيم

إذا الـكائدون مـــــــدوا الشباك

فوق من دبروا على الأرض كـيداً

كـــيد رب يـــدبر الأفـــلاك

ثم ها نحن نراه محلقاً فى سماء الشعر الوصفى ، فى هذه القطعة التى يصور فيها فقيها بهره الرقص فى داخل المرقص الذى يعج بالرجال والنساء (الـكباريه) ، بما لم يـكن يألفه

وكان من « شقاوة » بيرم أن يلتقط له هـــذه الصورة السينمائية: العجيبة المضحكة

ياصاح وحقك ليس على ... من رام المرقص من حرج
الرقص نعيم العمر فقم ... وادخل فى المرقص واندمج
جمعوا الفتيات على الفتيا ... ن فيــا للأمر المنبهج
ما كاد مغنى القوم يدق ... الدف بلحن منـــه شج
حتى انفرطت وحــداتهم ... ثم ازدوجــــت بالمزدوج
رجل وقرينته التقيــــا ... بصدور العـــز وبالمهج
فعلى كتفيه معاصمهـــا ... ويداه نخصر ذى عـــوج
وخطا الأقدام موقعــــة ... بالرقص على نظم الهــزج
ورواحهمـــــا ومجيئهما ... فى النهج على أرقى نهـــج
طوراً كالصاعد فى درج ... أو كالمنحط مـــــن الدرج
فإذا انجذبت فلمنجذب ... وإذا اختلجت فلمختلج
وإذا نقلت قدما ، رفعت ... قدما . . والرفـــع بلا عرج
وأساورهم وخـــــواتمهم ... خطفت عينى من الوهــــج
والقوم تموج الأرض بهم ... مما هم فيه مـــــن المرج
وفقيه الله على حـــــدة ... ثمل بالشوق المختلـــــج
فى الركن يرقص لحيتــه ... وتروح عمامتـــــة وتجى

وينظم على لسان أحد الفقهاء أيضاً ، فى إحدى مقاماته الفكاهية ، هذه القطعة التى يصور فيها هذا الفقيه وقد قبل الخدمة فى أحد المساجد :

قلت صـــبر لعـــلها تجلب اليسر والغنى

إنها خـــدمة وإن كنت فيهـــا مؤذنا

والإمام الذى بهـــا هرم عمـــره دنـا

فإذا مات ذا الإمـــام توليتهـــا أنـــا

ولقـــد قمت بالمهـــام كمن كان دينـا

قاصـــداً نفـــع دينه خادما بيت ربنـا

فأنـــاجى مكبراً وأنـــادى مؤمنـا

وكنست الـــتراب والعنـــكبوت الذى بنى

ونشرت الحصير فى الشمس حتى تحسنا

والكنيف الذى اعتنيت به أيمـــا اعتنـــا

كان مزراقه قصـــيراً وعرجونه انثنى

فقـــد أبيت راحة ، مستعـــداً مزينا

ثم أمسى وقـــد مسحت الزجاج المدخنـــا

كان قنـــديلهـــا عم فانثنى يبعث السنـا

كل يوم وليـــلة جاعلا ذلك ديـــدنا

ثم نقرأه فى شعر من الفصحى الممزوجة بالتعبيرات البلدية اللطيفة وهى قطعة على كل لسان أحد الفقهاء أيضاً :

بأبى النساء اللابسات خـــلا خـــلا
الحاطات خمائساً وجـــــلا جـــلا

الخارجات بأحمـــر و بأبيـــــض
الرابطـــــات شرائطاً وحمـــــائلا

اللابسات شباشبــــــاً وقباقبــــــا

الحامـــــــلات مقاطفاً ومنــــــاخلا

الماضغات لبـــــانةً وحـــــلاوة

الآكلات مدمـــــــاً وفـــــــلافلا

الراكبـــــــات سوارساً وبضاعـــــة

التـــــــاركات مساكناً ومنـــــــازلا

الضاحــــــكات لمعسرٍ ولموســــــر

الآخـــــــذات مبيضاً ومقــــــاولا

الضاربات صدورهــــــن تعجبـــــا

القائـــــــلات البخت أضحى مائـــــلا

الداخـــــــلات محاكما ومكاتبــــــا

العامـــــــلات مع الرجال عمائـــــلا

هن الـــــــلواتى ما انتهرن مداعبــــا

أبداً ولم يشتمن قط مغـــــــازلا

وكذاك لم يسألنـــــــه عمـــــا إذا

كان المقــــــاول جاهلا أو فاضـــــلا

مهـــــن سائـــــلة ومهن التى

عن كل مسألة تجيب السائـــــلا

ثم نضع أمام القارىء النماذج الفذة من شعره القوى الرصين فيما أسماه «لزوم ما لا يلزم» ، مجاكياً به لزوميات «أبى العلاء المعرى» ، وفيما قلد به جماعة الشعراء من القدامى والمعاصرين ، وقد أوردنا بعض النماذج لذلك ، كلا تحت عنوانه .

وفى مجموعات المقامات التى يزيد عددها على المائة ، القسط الوافر من نماذج الشعر الذى برع فيه «بيرم» كل البراعة ، لولا أنه آثر أن يكون زجالا



بيرم الزجال

أرغم « بيرم » كما وضح ، على أن ينظم الزجل ، بعد أن كان يكاد أن يبلغ القمة فى إجادة الشعر . وقد أشرنا إلى أن الظروف التى كانت تحيط به ، ودوافع البيئة ، وحالة المجتمع العليل فى عصره الذى كانت مخازيه وأمراضه تثير نفسيته ، كل أولئك دفع به إلى أن يكرس حياته لعلاجها . وهو لايتجاوب مع الجماهير فى ذلك إلا باللغة التى يفهمونها ، والتى تهز مشاعرهم ، أى اللغة العامية ، التى يستقيم بها النظم فى الزجل

لذلك آثر أن يكون زجالا ، أكثر منه شاعراً . ولم يكن بالعسير عليه أن يقفز طفرة إلى المجد ، فيكون فى الطليعة لكل من يمارس فن الزجل .

وقد قال عن نفسه فى ذلك ، وسبق أن أوردناه :

« كنت أقرأ ما كتبه الذين سبقونا فى الزجل والأدب الشعبى ، فاجتمع لدىّ كل هذا ، مضافا إليه استعدادى الفطرى للتمرد على البيئة القذرة التى أعيش فى ظهرانيها ، وأرى عيوبها الاجتماعية والأمراض المتفشية فيها ، فأخذت أنظم الزجل فى بعض الأحيان ، وأنتقد بعض التصرفات ، وفى نفسى حنق شديد على المجتمع الذى يحيا فى جو خانق من الاحتلال الإنجليزى ، وفى أعماقى ثورة عارمة على الذين يعملون على أن يظل الجهل والفقر سائدين بيئتنا إلى أبد الآبدين . . . »

ولكن « بيرم » استخلص لنفسه فى فن الزجل طرازاً خاصاً ، فإن أزجاله تختلف عما اعتدناه لغيره منها ، وهى تنبض بالحيوية وتشيع فيها جميعاً خفة الروح والإثارة ، وتجدد المفاجآت ، مع التصوير المتقن ، والقوافى العجيبة التى يرسلها سهلة متدفقة ، حتى لتكون العبارة مع القافية إعجازاً لا يجاريه فى جمالها أحد .

يضاف إلى ذلك ما يجب أن يلحظه القارىء ، من أن المرحوم « بيرم » يتخير لكل قطعة من زجله وزنا وإيقاعاً موسيقياً فى سياقها ، يلائم موضوع القطعة ، ويتمشى مع معناها والهدف منها . وهى خاصية تميز بها هذا الفنان الشعبى دون غيره من رائدى فن الزجل . فالقطعة التى يتحدث فيها عن مرقص مثلا يكون وزنها مع الإيقاع التعبيرى راقصاً . . وهكذا .

على أن الأجواء والبيئة التى كان يعيش بين معالمها ، والتى جعلته يستخدم ألفاظا وعبارات طريفة كل الطرافة ، تدفعنا إلى أن نشير إلى ماجاء منها فى القطع التى يفرضها كأمثلة من أزجاله التى تبلغ فى إحصائها الآلاف ، وتتنافس جميعها فى الإجادة والبلاغة

وإليكم هذه الصور الرائعة منها . وهى لا تحتاج إلى مقدمات . وقد يدرك القارىء الفطن ما يقصده بها « بيرم » وما يرمى إليه من غرض، لأنها أشبه بالفيلم السينمائى الواضح المعالم ، الذى لا يحتاج إلى تفسير

هذا فضلا عما يلاحظه القارىء ، ويحس به من المهارة فى التصوير ، والإبداع فى اختياره الأوضاع المناسبة ، واللقطات البارعة التى تثير الإعجاب ، بل الضحك ، على ما فيها من مواقف مسلية ومشجية . مثل قوله :

خمسين سنة عمرها ، لكن من (المناغيل)
وراها قنطار (شفت) شايلاه ، وهم تقيل
وتحزق الخصر (وتقرط) على (الزنبيل)

وقوله :

قالت حماة (القفا) يسعد ياعمدة مساك
والمولى يجعل فهيمة من (عضاك) ونساك

وقوله :

حاطة السنـــــان الدهب (والقمطة) عا القورة
وجوزها (مستهوى) مقطوع النفس (دهبان)

وقوله

عرجة وفوق ضهرها (كبور) ومكارة

ومثل اختياره لهذه المسميات من العطارة التى لا يلم بها إلا كل مندمج تمام الاندماج فى البيئة الشعبية ، وهو قوله :

قالت لى أم المرة انزل وهـــات لى قوام
رتم وتنفيل . وإيد مريم . وسنبل خام
وعكنة ، ومغات ، ومحلب عفصلى . وخزام
ومخشبان هندى أزرق ، كل شىء رطايب

ولنستمع بعد ذلك إلى مقطوعاته

أم خلـــيل

فى حارة القدرة دلالة اسمهـــا أم خليل
خمسين سنة عمرها ، لـكن من المناغيل
وراها قنطار شغت شايـــلاه وهم تقيل
بالاختصار لما تمشى تفـكرك بالفيل
والبرقع اللى على الخشم العريض محطوط
بالصنعة والفن فوق كرسى الخدود مطوط

ما يظهر إلا العيـون متكحلة وخطوط

ويخفى داهية حنك واسع وصدغ طويل

الست دي يومى بتفوت م الصنـادقية

وتحب واد خردجى جنب المنـاخلية

تنظر لها م الدكاكين الصنايعيـــة

يتجننوا الـكل لما تنقصع وتميـــل

واحد يقول للى جنبه : بص يا سيـــدنا

يرد دوكهات يقول يارب توعدنـا

ونزور مقامهم ، وتسعـــدهم وتسعدنا

آدى الحريم التمام . آدى اللى منه قليل

إيش قولكم الناس دى ربت للمرة وسواس

وخمنت نفسها ست النسا والنــاس

تفوت عليهم وتسمع دى المديح تحتاس

وتحزق الخصر ، وتفرط عــلى الزنبيل

إن كح واحد تقول قصـــده يشاغلنى

وان تف راخر تقول عايز يقـــابلنى

وان بص راجل تقول مالك حاتا كلنى

أما اللى يضحك دا يبقى فى هواها قتيل

يوم رايحة للخردجى بالقيمة والحشمة

وهيه بين المفارق ماشية فى الزحمـــــة

أتاها شيال لا ذوق عنده ولا رحمه

غرف له غرفة من الحلة ، وقال يا رحيل

حست بدى البهدلة بصت وراها قوام

ما تلقى فى السكة غير واحد أفندى تمام

نزلت على خلقته أربع خمس أقـــلام

اتلمت الخلق حمارة على مســـــطيل

قال الأفندى بذلة : إيه جرى ياست

والله إيدى ما جات يمك ، ولا حسست

قالت : وانا ما تعميت لسه ، ولا هلوست

يلعن أبوك ، دون ، قبيح ، طور ، ابن كلب ، رذيل

قال واد هناك عربجى ، فى السجن تقييده

يعنى الأفندى القبيح إيه اللى حايفيده

أنا اللى شايفه تمام لما تنى إيـــــــده

وقال عمل حجته بيطلع المنـــــديل

بقى الجـــدع ، اللى متعلم ، وابن ذوات

فى وسط كبشة غجر ، أولاد بلد قفوات

لولا وقف من سكات كان كلها لما مات

لحد ماراح بعيد عن دى الخناقة ميل

وان كنت تعرف ياسيد خصلة النسوان
وعا الخصوص المرة الوحشة أم خاقة دهان
تعمل ولو بالفضيحة فى البلد إعـــــلان
عن نفسها، والفرض تتهم فى شاب جميـــــل
لاجـــــل اللى عايزاه يغير حالا ويخطبها
ويقول خـــــلاص ياولد دى الناس بترغبها
وان حـــــد غازلها تعطى له بشبشبها
ومن هنا تلتقى حاجـــــة اسمها التغفيل
راحت على الخردجى قالت : أنا جاياك
آخـــر مجية ، عشان أعرف خلاصى معاك
إنت بايعنى ، وكارهنى ، أما أنا شارياك
والشىء دا يلزم له ، وخصوصى الجواز ، تشهيل
روق لى فى المسألة بالعقل واتأمل
أحسن أنا غير كده ما أقدر بقى اتحمـــل
فضيحتى مابين جـــيرانى واللى حايكمل
بهدلتى دلوقت بين الهبل والمخـــاليل
إيش قولكم إن الكانون دخن عليه ياولاد
والحرمة قامت وراحت واخـــدة منه ميعاد
من بعد أسبوع يكون كتب الكتاب عا الواد
إلهى يلطف بعبده ليلة الهلاهيـــل

جـــــــوز فهيمة

لما انعدم جـــــــــوز فهيمة السيد الجزار
جابت لها الخاطبة بالقيمة جـــــــدع نجار
وشيخ بلد من (معينيه) وله دوار
وساعى فى البوستة ، وتنقى بقى وتختـــــار
قالت لها أمها يكفى بـكا ونـــــــواح
ويا ما دقتى وقاسيتى من الـــــــلى راح
إن كان فيه قسمة ف رجاله خدى الفلاح
الفلاحـــــــين قيمة وفلوسهم يابنت كتار
الخاطبة دى اللى سعت فى السعى ما خابت
والشغلة ما عـــــوقت ساعتين ولا غابت
راحت تشحتف ودغـــــــرى بالقوام جابت

شيخ البلد م اللوكاندة دى اللى جنب البار
دخل قلع بلغته ويقول ياعـــــوافى
وخش يخطر برجـــــــله عا البساط حافى
حس القدم بالبساط ناعم كـده دافى
قادت فى جسمه وطلت من خـــدوده النار
قالت حماة القفا يسعد ياعمـــــدة مساك
والمـــــولى يجعل فهيمة من عضاك ونساك

ياهل ترى راح تاخدها فى البلد وياك

والا ليالى الوصال تبقى هنا فى الـــدار.

قال أما أجـــــول لك وصلى عا النبى جبله

أخـــدها إن هيه كانت بالبلد جابلة

واديها مصر أما تيدى منى أنا حبلة

آخدها شبه وتردع لك دمـوسه عشار

طلت فهيمة وقالت من ورا الدرفـــة

قـــــولى له يا امه وهيه قصدها الخلفة

فى الشهر ليلتين إذا بات عندنا يـكفى

وإن هفنا الشوق بارحـــل له على الدوار

راحت فهيمة على العـــزبة معاها العفش

منفوشة فى الجـلابية والمـــــلاية نفش

قعدت سبوعين وعادت تانى ليه ما اعرفش

مايعرف المـألة غــــير عالم الأسرار

رجـع يقول للمــــرة إزاى تغشينا

وتجــــولى إن العروسة بيضة وسمينة

ولـما خشيت عليها الجــاها سردينة

ولسه جال ناوية تجطع لى كمان انـــذار

قالت حماته ياعمدة كان عشمنا فيـــك

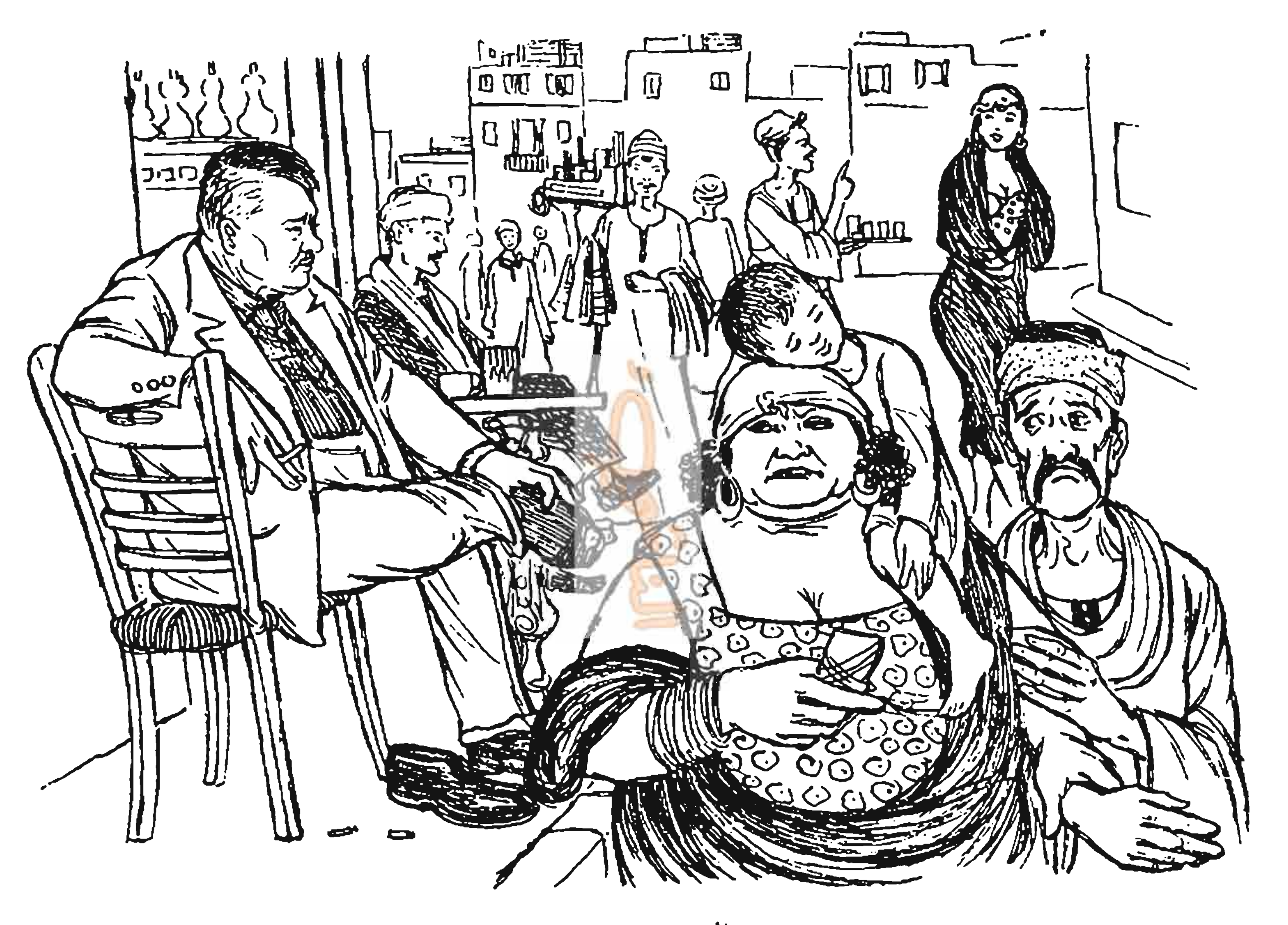
البنت من قبل ما تجيب الشوار وتجيلك

نزل عليها العيـــا خضخضها لم يوريك
خست وكانت ما تعرف فى السرير تندار
ولما خست كـــده ناديت لدادتها
استغربت والله يابـــى لمـــا شافتها
وبات قطرها الليلة دى عنـــد كوديتها
طلع لها ، لاجـــل سمنتها ما ترجع ، زار
واندق لك يافهيمة زار ، وزار بصحيـــح
استعجبت له جميـــع الخلق دون ومليح
لـكن ياخيبة الأمـــل راح فى الهوا والريح
والهز ، والنفـــخ ، ما يجيب الدره إلا فشار
ياواخدة شيخ البلد شيخ البـــلد شارى
بيعـــــة علف مدهنة والبيعة جزارى
ان كنتى متسبكة عا الضيقـــــة دارى
البردعة تلتقى يوم الجوازة حمـــــار

زفـــــة المطاهر

بشوف يوماتى بعنيـــة … فى السكة ساعة العصرية
موكب وفيه ميت عربية … راكبين عليها عيال حافيين
تعـــدى قبلة الجالة … والطبلة فوقها شغـــالة
والتقرزان والرجـــالة … من الفتوات الصايعين

وبعد منها جمل أزعر   وفوقه عبلة مرات عنتر
قدامها شيبوب يتمخطر   وف وسطه طزينة سكاكين
بعدين تفوت الرفاعية   والمجذوبين والسطلية
والنشالين والحرامية   وبتوع أبو زعبل رخرين
وبشوف بقى آخر الزفة   حنطور عليه كشمير لفة
وعربجى ومملوك خفة   عليه زواق ورد وياسمين
وفيه ولد جربان أعور   قاعد يمخط ويبربر
وزر طربوشه أزعر   وكل حاله زى الطين
أبو الولد شايل الراية   وأمه شايلة الدقاية
والملح شايلاه الداية   تطس فى عيون الماشيين
يبقى الولد زى النشال   وتخاف عليه من عين الناس
تعال ساعدنى بمداس   ورن أصحابنا تسعين
وبعد يوم من دى الغارة   تلقى المطاهر فى الحارة
يعجن وسخ فى الفخارة   وإديه على الوحلة لازقين
والخنفسة فى إيده تلعب   أما الدمامل شىء أعجب
القرد إن شافه يهرب   ويفتجر عا البنى آدمين
الواد بيجى حدى بدى   والحاج عيسى الحلاق جى
أعمى نظر مايشوفش الضى   وكلبتينه مصدين
جابوا المطاهر يقطع له   وأبو المطاهر يدفع له
وام الولد تتشخلع له   والباقى بالزغاريد راقصين



بهدم يستوحى الموضوعات من مشاهد البيئة

دكان مرسى

ندرت على الطاهرة أم مرسى الداية

إن ربنا خلاه وزاده هداية

لتحط له رسمال ويصبح تاجر ،

يبقى ان كسب مهر العروسة كفاية

سمع السميع منها ومرسى اترشد

طلع جدع يطوى المدينة و يفرد

جدع صلاة الزين عليه متبغدد

يسد باب حارة ويملا عباية

فتحت له دكان فيه بن وسكر

يعجن ، ويخبز ، فى التجارة ويخمر

مادام لا يستعطى الحشيش ولا يسكر

يفلح ، ويبنى لها الخرابة سراية

قعد سى مرسى والكوفية تزينه

عليه طاقية كاسية نص جبينه

وتلت سبحة كهرمان فى يمينه

والورد عا المكتب وفى الكباية

والأمهات وانت عليهم ترسى

فى الصبح نينته لما يرجع مرسى

ترقيــــــه ثلاث مرات بآية الكرسى

ويفوت سبـــع خطوات على الدفايــة.

وتقــول ياقادر ياكــــريم تهــديه لى

إنت اللى آخـــر قطعتى مـــديه لى

بقدرتك من ريحة أبوه خليـــه لى

لحـــــد ما ياخـــد بإيده عزايا

جوه اليهود من كل صـــدغ وكالح

مللى فى تصريف البضــــايع فالح

اليـــوم تعاملهم وتصبـــح شالح

ما يـــكسبوا المســلم ولا قشـــاية.

مضوه على بيعـــة ورق نمســـاوى

وبيعة تانيـــة شمع كله بلاوى.

وكونتراتو زيت وابـــــور كفراوى

والكمبيـــالة اتحررت فى غـــاية

صاحبنا ياخد من عميـــله ما يكتب

ويعطى للشارى البضاعة ما يحسب

يجرد كده بالعين ، والعين تـكذب

تشوفها طيارة تقول حــــــداية

قالت له يوم أمه يامرسى قالوا لى

جماعة من درب المقشات جولى

إنك عارف لك واحـدة فى المدبولى
دافع لهـا اتنـاشر جنيـه فى مـلاية
إن كنت قصـــدك فى الجواز ياحبيبى
من بـكرة أعمل للفرح ترتيبى
والشرط ما ادفع مهرهـا من جيبى
انت اللى تدفع مهرها يا ضنـاية

قال مرسى أنا ملبوخ فى شغـلى وانتى
من بعد وعـدك بالجواز صهينتى
أما اللى قال لك عا المـلاية يا نينتى
كداب ، وقصده تقصـديها معايا

خطبت له بنت سيد احمـد السرجانى
واتوضبت ليـلة الفرح سلطانى
جمعت ما بين المصرى والطليـانى
واتفرقت فيها تحف وهدايـا

بعد الفرح خلوا المعيشـة ذواتى
أحسن فواكه ، والجيلاته يومـاتى
والـكستليته والفراخ دى ليـلاتى
وياما ينعم ربنا بعطـايا

الكمبيالات استحق ميعادها
من قبل ما يروح م العزومة رمادها
جاله صاحبها يسترجى سدادها
سعر الدراهم ما هو سد قناية

أبو المراسى قال له : مالك خايف
وانت اللى جيتنا فى فرحنا وشايف
مع المدامة بتاعتك الهايلايف
قاعدين كده بين الفانوس والراية

اتكلفت ليلة الفرح دى دواهى
فوق عن ميتين أهيف كده والله
أما البضاعة فاضلة عندى كما هى
مش عايزة تتمتع ولو بعصاية

والحسبة فارغة ما تآسيش على مالك
وقت الفرج من عينى أدفعها لك
أرجوك ومن فضلك ، تطول بالك
ولأجلى أنا تقبل يا مسيو زجايا

قام قال صاحبنا للجدع بإمارة
الشغل دا مش شغل ناس فى تجارة

ده شغل يا أستاذ عيـــــال فى الحارة

إدفع قـــوام ولا فيش لزوم لقضـــايا

قال مرسى : حيث إنك كده بترافع

واللطـــف وياك والأدب مش نافع

روح إمشى والله العظيم ما انا دافع

مليم من المبلغ ســوى برضـــايا

المسيو برطع ، والشتيمة سمعها

عا الكونتـــوار بالكمبيالة قطعها

جاله المحصل فى الصباح يدفعهـــا

والمرغ فى عرف البنـــوكة جناية

مرسى اللى طالع فى التجارة ياالوصته

بين التجارة والتجار وياحوسته

ساعة مايدخل محضر البورتستو

فى البيت ، ويحجز حتى عا المقلاية

جو المحضرين عا البيت ، وأمه الشايبة

عارفة المصيبة من زمان والنايبة

كانت مراة مرسى العروسة غايبة

فى النحاسين ، بتصلح الدلاية

قالت يامرسى تنضرب فى لسانك

وتنفضح قادر مابين إخوانك

ضيعت يامنيل قوام دكانك

ويا ما فاضل لسه غلب ورايا

بيت رضوان

سكنت بيت جوه حارة، اسمه بيت رضوان

فيه كل ما تشتهيه ، الفشة والمصران

من الصباح للغروب، أهجم على الدبان

ومن الغروب للصباح، أجرى ورا الفيران

فى أول الشهر صاحب الملك وصانى

على الملاقى ، وحفظنى وقرانى

قال أوعى حاسب تعيد الحظ من تانى

لأن يوم طب فيه واحد وكان سكران

رضيت، ومن يرضى حتى بالعذاب يرتاح

وفضلت وحدى، ماليش صاحب غير المفتاح

بعيد عن الشر ، جانى أول استفتاح

تهمة غرام ، وادعتها أوحش الجيران

جارة عجوزة ، ولكن عايقة غندورة

حاطة السنان الدهب ، والقمطة عا القورة

أولادها جدعان ثمانية ، والبنات طورة

وجوزها مستهوى، مقطوع النفس دهبان

الست بتحب سراً ، واد مجاور شيخ
يومى على الله تدخل له بصحن طبيخ
راخر يجيب الهدية ، م الأجازة فسيخ
لا القرع يظهر ، ولا قشر الفسيخة يبان

أما العذول اللى شايف دى الغرام جارة
عرجة ، وفوق شعرها كبور ، ومكارة
خلت فضيحة الولية شايعة فى الحارة
وناوية تصبح تبلغ جوزها فى الدكان

سمعت رفيقة المجاور دى الخبر فى الليل
وجوزها داخل ليلة جمعة ، وعنده ميل
شهقت ومالت ودبت صدرها بالحيل
قال جوزها مالك ماهى الدنيا بخير وطمان

قالت : جابوا لنا جدع عازب ، وحطوه فوق
جدع ، يابو فرغلى ، بارد ، ماعندوش ذوق
تبعى نوبة من القلعة لباب اللوق
نهار ماحبيت ازور البنت فى حلوان

والليلة خلانى قاعدة بالقميص المور
وهو على البسطة فى الضلمة وانا فى النور

دعس عليه ، لا ياساتر ولا دستور

مالحقش اتغطى ، والبارد ضحك لى كان.

إهىء مهىء .. بنضرب، قادر،مايوعى يبات

إهىء وينشك فى قلبه ، ولم يتغات

وينضرب زى ماخلانى قاعدة وفات

وشافنى من فوق لتحت ، الصايع الندمان

سمع صاحبنا الحكاية تنته طالع

على السلالم ، وعينه فصها والع

خبط ، فتحت ألقى ده راجل كبير قالع

وماشى حافى ، وفى إيده عصا خزران.

أول ما شاف وشى قال : يلعن أبوك خنزير

وأبو اللى جابك هنا ، عبد الله افندى بكير

وأبو اللى بيجى يحامى لك ، كبير وصغير

بارد ، قليل الحيا ، دمك صحيح هربان.

عشرين سنة ، ما ابن آدم شاف حريمى يوم

وبيتى جامع ، ما فيه غير الصلاة والصوم

حتى البنات والعيال عايمين على دى العوم

وازاى ما تدخل فى بيتى والحريم عريان

اطلع لى بـى كده ، بره وانا اوريك

واجيب لك ابنى الكبير عبد اللطيف يعميك

وابنى كامل افندى ، فى البوليس يأذيك

تفيت ، وقال استعوذ بالله من الشيطان

على ايه ياعم البوليس والحوتة والهرجة

أحلف يمين إنى فى الدخلة وفى الخرجة

ماشفت فى البيت دا عمرى غير مرة عرجة

وواد مجاور ، بجبة أصلها قفطان

ردت ، وقالت منك يا جدع لله

إنزل ، يابو قرغلى ، دا شغل انا عرفاه

إن شاء الله من جاب فى سيرتى ينضرب فى حشاه

وتخوض فى دمه اليهود ، والمسلم السكران

نزل ، وقال : حابقى اشوف شغلى أنا بعدين

واجعص جميص يبتسم لك ، و الا يضرب عين

عن إذنى حطى صوابعك فى عينيه الاتنين

باقول على علو حسى ، قدام الجيران

سبح الخالق

سبح الخالق اللى زينها

بالجمال دنيا سايبة نسوانها

شوف لى من فضلك — اللى قاعدالى
شابكة بالوردة — صدرها العالى

وام شعر اصفر — انصبغ مودة
لاجل يهوسنا — والعيون سودة

واللى لابسالها — ربع برنيطة
ثم رابطاها — عقدة وشنيطة

طب وشوف رخرة — خصرها الداهية
سر متخفى — والكفل موهية

شوف جاكتتها — عالية مشنوطة
قول ما هى الدنيا — رخرة مسخوطة

واللى فستانها — وصلتين رقة
والفطين شقة — والعبيط شقة

واللى سرتها — باينة منفوزة
لو تيجى تقيسها — تغرز الموزة

والتفت حبة — يا ابراهيم يابنى
للى عاطيالنا — ضهرها المبنى

تنقصع قصعة — تترمى رجالها
قال وعاملالنا — ساهية وف حالها

اللى عا اللحـــم لابســه تنـــورة
ماشيــــة قاطريهـــا خلق بالطـــورة
قول لى مش عيب دا نفتح البـــاب ده
والعيال قاعدة

الحاج جابر

الحاج جابر على عيسى اللى كان حطاب
فى الحرب ورد لجيش الاحتلال أخشاب
فى ظرف شهرين صبح يملك تلات أعتاب
وفرن ، واصطبل جنبه ، سبحان الوهاب

للحاج جـابر دا حرمه اسمهـــا مباركة
و بنت من واحـــدة تانية من سنين داركة
وكل عقدة لها عنـــد الكريم فـكة
البنت فى جمعـــة جولها أر بعة خطاب

واحد جدع سنكرى افرنجى ، وله دكان
والتانى أوسطى ، كوالنجى ، وله صبيان
والتالت ابن اسماعين راشد ، من الأعيان
والرابع الساعى اللى كان جاب له نو بة جواب

الحـاج جابر ملا نخـــه من ابن البيه
ودار يلف البـــلد يسأل صحـــابه عليه

قام قال له عقله حاتتحير ياواد على إيه

الفاتحة فى شرع مالك تبقى كتب كتاب

قروها عنـــد العريس ، أحسن من الخبلة

وخـلوا كتب الكتاب فى ليلة الدخــلة

ويومهـا ييجى الشـــوار بالزمر والطبلة

وياما للحاج جــــابر فى البلد أصحاب

بيت العروسة فى غمرة والعريس فى بولاق

مسافة ، وان قصرت ، تطول على العشاق

وأما يوم الفرح كان يوم شـكل وخناق

طلع لرب للبرية ، وانظر الأسبــــاب

أم العريس أصلهـا هــــانم وتركية

وابوه فقير إنمـــا عنــــــده البهاوية

والحـــاج جابر عمـــل لك شغلة شاذلية

جاب للوبيليات بوريه له فنيارين ودولاب

وشـــيل الصيبى لأولاد حتته الأجلاف

والكارو فوقها المخدة جنب مها لحاف

ناقص عليها القتيل تصبح تمـــام اسعاف

وأمه جنب النحاس قاعدة له بالقبقاب

وصل لبيت العريس موكب عليه الفين

ياقعوا على راس حارتهم أمـــة السائلين

جـــابيباهم أم العروسة من بين الصورين

حالفين على البيت مايخش الشوار الباب

أم العروسة تقول يا كلب ياعـكروت

إكتب كتاب بنتى من غير شورى بعدماموت

أدينى دلوقت جيـــتك بس قرب فوت

لاعمل لأقل الكلاب عندك مقام وحساب

قالت مراة اسماعيل راشد : ياربى أمان

ناس فلاحين ! عفش ، بطال كان ، دوشمان

خرسيس،أدبسيس،يزم،لعنب اطوز،يوقمان

هرشوق ،فنايوق، خهايكى،طوزاوغلى كلاب

قالت نبيهة ياحرمـــة بترطنى على مين

بتحسبينا بهـــايم والا مش فاهمين

كل البنات فى البلد عند اهلهم قاعدين

حسرة عليه أنا اللى بخت بنتى خـاب

هجم لك الحـــاج جابر بالعصاية وهات

على نافوخ المرة واهبد تلات هبدات

قال بعض أهل العريس : ياخلق ! يافقوات !

مفيشى مسلم يخلصهم ينوبه ثواب

طلع لهم واد فتوة ، لكن ابن حلال

جايب معاه كام جدع من عصبته وعيال

واتلمت العربجية كلهم فى الحال

ودخلوا العفش بالقوة مع الأغراب

جابوا العروسة ، وراحت أمها الكركون

وشيعوا بعضهم يبحث عن المأذون

اللى أخد فى النهار منهم ريال عربون

وجاره بيقول عليه راجل فقى نصاب

جابوا لكتب الكتاب الشيخ عمر دعموش

والمسألة لسه فيها شغل حلق حوش

قالوا العوالم حا ييجوا من ٨ ماجوش

والساعة دقت ١١ والموالدى غاب

الحاج جابر بعت مبروكة للعالمة

تشوفها فين ، والمعازيم ملمومين لمة

دارت تدعبس على مسكنها فى الضلمة

لقيتها ساكنة فى عطفة جنب درب طياب

قطرها عمـــدة ، دخل فى مصر ، بايعها
فضل وراهـــــــا كده بالخطوة تابعها
شافه بوليس سرى ماشى يحسبه معها
قبض عليها بوليس الحفظ والآداب

شوف ليلة الحـــاج جابر كلها أحزان
الغم مــن كل ناحية ، والغلت ألوان
لأنه حطـــــاب وكاره يشبه الفران
يــكسب ويربح ، ولــكن تنختم بهباب

تاجـــر دقيق

تاجر دقيق أنعم المولى عليـــه وعطاه
ودخـــله فى الطريق الأحمدى ، وهداه
وخش فى الدنيا ، واتجور فى عز صباه
وبعد شوف البــكارى ، حج بيت الله

التاجر اسمه حسن من يوم ماأهله جابوه
لا فى مصيبة ، ولا فى مدرسة ، ودوه
لــكن فقط عالعاشورة والطبيخ ربوه
طلع تقول بــكر شامى جل من أنشاه

وكان خليفة الطريق عامل صاحبنا وكيل
موكله عالرايات الخضر والقـــــــناديل

راح الخليفة من الدنيا ، وقال يارحيل
وسلمه كل شيء من بعـــد ما وصاه

فاتت مراة الخليفة نوبة عا المكتب
شافت دا قاعد بشيشته يحسب المكسب
ونوبة مطرح راجلها ماشى فى الموكب
بين الشموع والرايات ، زى القمر فى سماه

حبت نظيرة ، وقامت فى الغرام شـــدة
وتسهر الليل ، لا مسند ولا مخـــدة
ما صدقت لمـــا فاتت مدة العـــدة
إلا اما بانت على أم العيال واخــــداه

حسن ، بحسب الشريعة ، قسم الكيلة
صبح يبـات عند دى ليلة ودى ليـــلة
يخلص من الشيلة يمشى يلتقى شيـــلة
والعز مـا يحرمك من نعمتـه قـــواه

جات يوم لسيدنا مرة ، لكن مرة خفة
من تحت برقعهـا بان السن والشـــفة
نادرة تطـــاهر محمـــد ابنها بزفـــة
قدامهـا تمشى الدلايل ، والخليفة وراه

قالت له يا دلعـــدى عايزاك تمشى له
موكب من الناحيتين تولع مشـــاعيله
وعايزاك انت اللى تمشى جنبه وتشيلــه
دا ابنى اليتيم اللى انا من ربنا شاحتاه

قال للمرة إنتى اختى والولد إبنى
وحياتك انتى ان ما كانت زفة تعجبنى
أعملها من عندى نقطة ، شىء ما يخربنى
مابقاش حسن، غير ما اجيب لك كل شىء عايزاه

قالت ما يلزمنا غير رؤياك وســـلامتك
وأكون أنا رخرة محسوبتك وخـــدامتك
ولك حلاوتك كوفية تستاهل قامتـــك
وفوقها منديل حرير ، بيدى أنا شاغلاه

زف المطاهر ، وجاب نقطة فوشيك وشموع
واستنى لما المطاهر فات عليه أسبوع
اتجوز أم المطاهر رخرة ، والموضـــوع
كل بحمل التلاتة ، والتلاتة معـــاه

كانت مراته القديمـــة خلفت ولدين
وجات مراة الخليفة خلفت بنتـــين

وام المطاهر كان واحد بقوا لها اتنين
والتسعة زى العلق متعاقين فى قفـــاه.

والعز ده لمـا كان حال الدقيق ماشى
والناس تفتش على اللقمة ماتلقـــاشى
اتغـير الوقت والدنيا ما مهــا شــى
تبدل البدر ، وتضعضع زحل فى عـلاه

وابو على كان ضاربها ستميت جزمة
ولمـا شاف الـكريزة ، والبلد أزمـــة
صفى التجارة ، وحضر بنـكنوت رزمــة
وحصل اللى فى (وش البركة) تستنـاه

عايقة ، وفتحالها منزل فيه سبع شبات
فيهم مرة حازها صـاحبه ، اسمها نعمات
أخد حسن يوم معاه حلفت عايه لييات
من غير فلوس ، افتـكر إن المرة حاباه.

والصبح شالت معـاه الشنطة والخاتم
والعايقة لمـا بدت كان سى حسن خاتم
شال الفلوس عندها فى الليل وراح خاتم
صبحت فلوس سيدنا ميرى . والمرة طارداه

قعد فى خان الخليلى ، لما اتفلس حاله
ما عنده غير التلات نسوان رسمــــاله
يا بخت من كانت النسوان ساعيا له
مطرح ما يخرج فلان يدخـــل يلاقى عشاه

وقول يا بختك بنسوانك ياحاج حسن
الناس لياليهـا سودة ، وانت ما تحزن
تلات حلل قوم وضبع فى الطبيخ واتخن
غيرك له حـــلة مفيش غيرها طبيخها عماه

لوكاندة الحاج ســـالم

نزلت فى مصر مستخفى ، فقـــير وأديب
دخلت لوكاندة مفتوحة لـكل غريب
تعلق الحاج ســـالم نعمة الله حبيب
راجـــل معلم ، مكمل ، تربية كتاتيب

قال المعلم ياواد ! شوف الزبون دا أمـــير
أعطى له فى نمـرة خمسة فى البريمو سرير
وخد له وياك كمان القلة والبشكير
واعطى له أكبرها ما عندك من المراكيب

الساعة دقت ٣ بعد نص الليـــل
والفلاحين بالزعيق شالوا اللوكاندة شيل

الخدامين يرحوا عا السطح زى الخيـــل
طالعين يلموا الفوط فى الفجر بالقباقيب

أما المصيبة اللـى خلتنى قـوام سنحت
صاحب اللوكاندة مشغل فى اللوكاندة تحت
ولاجـــــل ما تتم أفراحنا وحسن البخت
باب اللوكاندة من الباب الحسينى قريب

شارع عموى ، عمـار ، فيـه تلتميت بياع
وفيـــه قهاوى ، ملانة للصباح صياع
لهم وحايد ، ونـكتة ، تجلب الأوجاع
غـير القرف والصداع من دوشة المجاذيب

واحـــــد يقول يا عنب لما انت فيومى
والتانى يقول ياناس التين دا برشومى
ودوكها يصرخ يقـــول سرك يا بيومى
يا قطب يا غوث ، واللى يندهك ما يخيب

أما السرير نمرة خمسة كان عداك مبلول
وكل قمـــــلة تزيد على ظبان الفول
والبق ده كل بقة زى عين الغول
تسمع لهـــــا من بعيد فوق الملاية دبيب

طلع علينـا النهـار واحنـا فى قلب دماغ
سألت كام البياتة قاللى عشرين صاغ
وان كنت بايت هنا تانى تحط بلاغ
قلت البياته دى عدت ، واللقا دا نصيب

هوليــــوود

هوليوود خربتى عقـول النـاس	أشكال واجنـاس
لا ذوق بقالهم ولا إحساس	ولا دين ولا طين
كل المعـابد خربانـــــة	أى ديانـــــة
وانــتى صلاتك عمـــــرانة	يومى بملايين
الدين بـقى حب وأشـواق	وغـزل وعنـــاق
واهـــــو انتهى بزواج وطلاق	من غــير مأذين
مستخدمة جن سلـيمان	طالعـــة بألوان
سجد لزخرفهــــا الشيطان	شيخ الشياطين
جريتـــــا جاربو. بقت يابنات	والا ياستـات
فوق القياصرة والبيـــــــوات	وفوق السلاطين
أول ما تظهر تسريحـــــــة	وحـركة قبيحـة
تمشى بهــــا الست سميحـــة	فى دراع سى أمين
وبنت مـدبولى الجـــــــزار	بمـــايوه على البـار

عشان تقلد هيدى. لامار تشرب طزازين

هوليوود ، وأنا هنـــا فى بلادى بالسينما دى
خربت بيتى وأولادى طلعم صايعين

ومنين أجيب من غير لازمة تلاتين جزمة
فى الشهر لراتى وحزمة من دى الفساتين ؟

ملأ « بيرم » سمع الدنيا ، وتجاوز بآثاره وفنه بلاد الشرق العربى إلى أوربا وأمريكا وروسيا ،وأصبح « بيرم» هناك فى معاهد الأدب الرفيع والثقافة الأصيلة علماً و إماماً، جديراً بأن يدرس ، ويعنى بمواهبه وملكاته ، لأنه يصور جيلاً زاهراً من أجيال الفكر فى بلاده ، ويعتبر عندهم مرحلة من مراحل التطور الذهنى ، والنفسى ، التى خلقت قيماً أدبية لم يكن لها وجود فوق الأرض العربية ، التى تمتد من المحيط إلى الخليج

أحمد عبد المجيد الغزالى

بيرم الناثر

لم يندفع « بيرم » فى ميدان النثر إلا بمقدار ما ألزمته الحاجة إلى أن يصوغ بعض عباراته منثورة إلى جانب مقطوعات النظم ، وإن كان قد عمد ، أحياناً ، إلى كتابة قطع بذاتها من النثر وحده

وله مع ذلك براعة فى هذا الميدان تسجلها قصصه ورواياته الكثيرة ، التى أظهر بها كفاءة نادرة ، لا تقل جودة عن إنتاج قادة الأدب فى النثر ، ونشير إلى نوع منها فى هذا الكتاب تحت عنوان « بيرم القصصى »

وهذا نموذج من نثر « بيرم » فى إحدى مقالاته التى كان عنوانها « المقفوشات » ، وهو عن قراء الصحف :

« للصحف المصرية قراء لا بارك الله فيهم ، ولا أكثر من أمثالهم ،ولا نفعهم ولا نفع بهم هؤلاء المتحذلقون حريفة الطاولة والبوكر ، راقصو التانجو والفوكستورت ، الذوات المتفلسفون ، أصحاب الرءوس الكبيرة ، والذكاء المطبوع ، المتربعون فى المراكز السياسية ، أو المرشحون للوظائف العالية » الذين أبطرتهم الكفاية ، وأعيتهم الثقة بمستقبلهم وحاضرهم

« إن الكتاب بين كاتب يسهر الليل فى مراجعة المجلات والسجلات ، ليكتب مقالا فى التاريخ ، أو ليبرز لأهل عصره شخصية كبيرة تنفعهم معرفتها، وكاتب يطوف يومه على الدواوين ، ويجوس خلال المجالس ويتجشم مقابلة أولى الأمر ، ليكتب مقالة فى الأحوال السياسية . يثير الأذهان الجاهلية ، ويعرفهم بحقائق الأمور . وكاتب له مواهب يبيت يغالبها وتغالبه ، ليبرزها للناس قطعة من الفن الجميل لمن شاء أن يتسلى أو يتعظ ، أو يتذكر . . . وكل هؤلاء ينشرون ما يكتبونه فى الصحيفة . وتقع الصحيفة المنكودة فى يد أحد القراء سالفى الذكر ،

فيقرؤها ، من أى جانب يتفق ، كما يأتى ، رافعاً صوته .. ذكرنا أمس إفتتاح معرض الزهور . اليوم نأتى على وصف هذا المعرض .. ومش عارف إيه ، وكلام فارغ بلا معرض بلا هجص . غيره .. لم يبق أمل بعد اليوم فى نجاح مؤتمر نزع السلاح بعدما حدث من جراء رفض الاقتراح الذى يقضى الخ . بلاش وجع دماغ .. غيره .. أصبحت مدينة سر من رأى بعد أن جعلها المتوكل قاعدة ملكه مسكناً للأشراف من العباسيين ، وكان الجاحظ يتردد على هو إيه اللى جاحظ ومتوكل . الجرائد باين فلست مش لاقية كلام إيه التحريف الفارغ ده . غيره ... بعد أن تبين وجه الأهمية والمنفعة لسد دمياط . اجتمعت بوزارة الأشغال لجنة مؤلفة من حضرات ... طيب واحنا مالنا ومال سد دمياط . وهكذا .. ثم يلقى الصحيفة بجانبه . فيسأله جاره . ماذا فى الأهرام ، أوفى الأخبار ، أو فى المقطم ؟ فيقول بانخ . ما فيهش حاجة أبداً ... والصحيفة إذن حشرت هذا القارىء الذى لحظها بمؤخرة عينه ، ولم يستوعب ما فيها ، وحشرت بجانبه عدداً من القراء .. فهؤلاء الألمعيون الذين لا يدركون آخر الأمور من أوائلها ، ويكتفون بقراءة سطر أو سطرين من كل مقالة ، أستطيع أنا أن أذكر واحداً منهم باسمه ، وكل أوصافه ، ثم أكتب مقالة طويلة وأذيلها بلعن أبيه ، وقذف عرضه ، وثلم شرفه . وأنسب إليه كل ما يعرف من المثالب والمخازى ، وأنا على ثقة بأنها ستمر تحت أنفه ولا يلتفت إليها ، ولا يشعر بها .....

وهذا نموذج آخر ، من موضوعات المقامات :

حدثنا الفالح بن فجلان . قال :

قسم الحظ للعمة ، وطابت السفارة أئمة . فاختاروا من المشايخ عشرة أنفار ، وأوقفوهم للانتخاب والاختيار . لأنه لا يجوز الذهاب إلى أوربا ، إلا لمن تهذب وتربى ، وكان حسن الهيئة ، شريف البيئة فجعلوا يفحصون الأجسام ،

ويتأملون الشكل والقوام. ويختبرون الكفاءات ، ويسألون عن الآباء والأمهات.
فكانت النتيجة كما يأتى :

الشيخ الدسوقى الدسوقى

جسمه ضامر كعنز هزيل وعليه عمامة منفوخة

والشيخ راضى رضوان :

فيلسوف أرخى على الصدر منه لحية ذيلها كذيل الفسيخة

والشيخ لطفى عبد ربه :

أحدب الظهر زره مستقيم فهو عود وزره زمبوخة

. .

وأخيراً قال

فاسقطوا هؤلاء الخفر ، واختارونى للسفر . لما رأوه من علم غزير ، وأدب كبير ، وملابس حرير . فقطعوا لى التذكرة ، فى أول باخرة . وخرج المشايخ لوداعى ، وهم يودون هدمى واقتلاعى . . . قل وصلنا إلى مقر الوظيفة ، فى السفارة المنيفة . فاستقبلنى السفير فى الصالون ، وأجلسنى أمامه على الشازلون . وقال : إعلم أننا لم نستحضرك للسجود والركوع ، ولكن ليتم بك الموضوع فالسفارة جعلت للأبهة والفخار لا للنفع والإتجار . ويلزمها خير الموظفين ، وخير رجال الدين ، وخير النوبيين . ولا يلزم من العمل غير الذهاب والإياب ، والوقوف على الباب . حتى إذا قيل لمن هذا القصر ، قيل هذا سفارة مصر .. فهمت ؟! .. قم الآن ، مع السكرتير فلان ، ليفتش لك عن مسكن ، ويساعدك بكل ما أمكن . فذهبت مع السكرتير ، واشترينا الملابس الفرنجية من جاكتة وبنطلون ، وفانيلا وكالسون . وقميص وقبعة ، ومناديل أربعة ... الخ .

وهذا نموذج ثالث :

سورة أربعين سعد زغلول

س ، والدستور العظيم ، ذكر ما أنزل على مصطفى وفريد ، وما أوحى إلى الزعماء من لدن عزيز عليم ، قالوا ربنا هب لنا قوة ، وامددنا بجرائد وأحزاب وجنبنا القوم الرجعيين. إذ خطب مصطفى قومه وكانوا غافلين ، ألا نجعوا فى الوطن شركاء آخرين ، يسعرون قطنكم ، ويعلون أبناءكم إن هذا هو الخسف الكبير. ثم اصطفاه ربه كما اصطفى عيسى بن مريم عن ثلاث وثلاثين . أما فريد فكان من أولى العزم ، إذ ابتلاه ربه ببرلين . قال : رب إنى بلى الثوب منى ، ولا أجد الخيط الأبيض ، ولا الخيط الأسود ، وأنت على ذلك شهيد . وكان شلة من أهل فرعون يعيشون فى الديار ، ويقامرون ويرقصون مع الراقصين . فما سندوه ، وما نصروه ، ومات من الجوع وهو زعيم . وكم من زعماء ماتوا وهم يشحذون ألا إن آل فرعون قوم منحطون . ما كان سعد وفديا ولا دستوريا ، ولكن مصريا كالمصريين . فمن اتبع هداه جعلناه خليفة فى الأرض ، وإنا له لمصوتون . فإن تولوا فالذى توفى سعداً يأتى بأربعين ، وما ذلك عليه بعزيز . ياقوم اذكروا مصر التى أنبتتكم ، وفيها رزقكم ومتاعكم ، وفيها تدفنون .

> لقد تعلمت من « بيرم » أن هناك أدباً عظيما ، له تاريخه ، وله حياته المتدفقة المستمرة ، إلى جانب أدبنا الذى يكتب باللغة الفصحى.
>
> الدكتور عبد الحميد يونس

بيرم الصحفى

بعد أن عرفته الحياة تاجراً ، حين ساعد أباه فى محله التجارى بالإسكندرية، ثم حين افتتح لنفسه محلا للبقالة بها ، عرفته صحفياً ، فقد أغلق محله ، وأصدر صحيفة أسبوعية ينشر فيها نظمه وانشاده .

وكان ذلك فى عام ١٩١٩

كانت مجلته الأولى التى سماها « المسلة » ، مقتبسا لها هذا الاسم من مسلة الإسكندرية الأثرية ، فضلا عما يحمل هذا الاسم من إشارة إلى الوخز والطعن . وحمل عددها الأول تاريخ ٤ مايو ١٩١٩ بالإسكندرية ، وكتب على غلافها عبارة: « بقلم محمود بيرم التونسى ، صاحب قصيدة المجلس البلدى » ، ووضع على هذا الغلاف صورته ، وتحتها عبارة : « عرضت على مراقبة المطبوعات » .

وكان لهذه العبارة سببها ، حيث لاقى عناء فى إصدار المجلة . لأن رقابة المطبوعات رفضت التصريح له بها ، فأخرجها فى حجم الكتاب ، وكتب بدل العدد الأول « الجزء الأول » ثم ذيل الغلاف بهذه العبارة .

ثم انتقل بهذه المجلة إلى القاهرة بعد أن أصدر منها بالإسكندرية عددها الثانى .

واتخذ لها فى القاهرة مكانا بجوار جامع العظام بالقرب من شارع عبدالعزيز.

ثم كان أن نشر فى عددها السادس زجله اللاذع ضد الجالس على العرش ، السلطان« أحمد فؤاد» ، وهو الزجل الذى أثار غضب السلطان. ثم نشر فى العدد الثالث عشر زجلا آخر يطعن فيه فى مولد « فاروق » ولى عهد ذلك السلطان،



« بيرم » فى طريقه إلى المنفى ، على ظهر الباخرة التي أقلته إلى تونس ، وهو بين أفراد من شعوب مختلفة

قبل استكمال مدة الحمل — وقد أشرنا إلى هذين الزجلين تحت عنوان (بيرم وأسرة محمد على) من هذا الكتاب .

وهنا صدر أمر سلطانى بإغلاق هذه المجلة . ودارت الإجراءات لنفى صاحبها من البلاد . ولكن « بيرم » كانت تحميه الامتيازات الأجنبية من حيث كان ما يزال معتبراً بالنسبة لأهله تونسياً، وكانت تونس تحت الحماية الفرنسية . وقدسبق الإشارة إلى ذلك .

وأخرج « بيرم » مجلة أخرى باسم « الخازوق » لم يظهر منها غير عددين .

ثم أغلقت هى الأخرى ، بسبب كلمة فيها تلميح لمحافظ القاهرة ، الذى كانت له قصة غرام بابنة السلطان ، وهى التى نشر عنها زجله فى العدد السادس من مجلة المسلة . وكان القصد من هذا التلميح واضحاً فى التجريح لشرف الحاكم . ففاض الكيل بالسلطان ، وانتهى الأمر أخيراً بنفى بيرم من البلاد .

وانقطعت بذلك صلة « بيرم » بالصحافة كمحرر وصاحب جريدة ، من أغسطس عام ١٩٢٠ حتى نهاية أكتوبر ١٩٢٢ ، حيث عاد من منفاه بتونس خلسة كما سبق أن أوضحنا

فإذ عاد من النفى لجأ إلى صديقه المرحوم الأستاذ « عبد العزيز الصدر » ، وكان يصدر فى ذلك الوقت صحيفة الشباب الأسبوعية ، وكانت بحجم المجلات ، فاشترك معه فى تحريرها ، وغير نظامها وشكلها ، وظهرت فى ثوبها الجديد أسبوعية كما كانت ، ولكن بحجم الجريدة .

وكتب على صفحتها الأولى ، تحت عنوان المراسلات :

ممنوع كتابة كلام فارغ ولعب عيـــــال

ليزعـــل اللى كتب والبوستة والجرنال.

جريدة فيها المدير يوزعها بانتقـــــال

ولا ترد الرسائل لو تكون أزجـــال

وكتب تحت عنوان الاشتراكات :

الاشتراك عن سنة واحدة جنيه فى الإيد

وللتلامذة مافيش تكليف بـــين الأجاويد

وخارج القطر أهملناه لـكونه بعيـــد

زيادة مصر السعيدة وبورسعيد ورشيد

وكان فى الواقع يخرجها كلها وحده ، وإن كانت تحمل اسم صاحبها عبد العزيز الصدر

ولعل المدة التى عاشها بين فترتى نفيه فى تحريره مجلة ، أو جريدة ، الشباب ، هى أنشط عهود ابتكاره الصحفى ، ففيها أخرج ما عرف له من « المقامات » ، التى كتبها بخليط من اللغة الفصحى واللغة العامية ، ونظم فيها الشعر العربى السليم مطعماً بالشعر البلدى ، الذى ينطق بأبلغ آيات الأدب الشعبى

كما ابتكر فى الجريدة أنواع الإعلان بالزجل ، ومقطوعات السخرية والتهكم بعنوان « صناعاتنا الوطنية» ، ومداعباته للشعراء والأدباء ، وجزءاً كبيراً من أزجاله البارعة .

ونفى « بيرم » نفيه الثانى ، وهو آخذ فى تحرير هـذه الجريدة . فلما كان فى فرنسا أخذ يراسل الصحف المصرية ، كما سبق أن أشرنا تحت عناوين سابقة . وظهرت أشعاره وأزجاله، ومقطوعاته من المقامات ، وقصصه ، وتهكماته، فى صحف: الأمام ، والكشكول ، والنيل ، والفنون ، وأبوللو، والمطرقة ، والصباح . وذلك بعد أن لازم نشر أغلب كتاباته فى صحيفة الشباب قبل احتجابها .

ثم اشترك فى تونس فى تحرير جريدة اسمها « الزمان » .

ثم أصدر هناك أيضاً باسمه جريدة سماها « الشباب » ، إحياء لذكرى صحيفة الشباب التى كان يحررها فى مصر .

وكان ينشر فى جريدة الشباب التونسية أشعاره ، وأزجاله ، ونقده الأدبى ، بالعربية ، إلى جانب أزجال كان يصوغها باللهجة المغربية .

ومن بعض هذه الأزجال المغربية مالمح فيه إلى التقلبات السياسية ، التى تعرضت لها تونس بين الفاشية والبلشفية : وتشعر بعبقريته الفذة فى صياغة العبارة بلغة تلك البلاد :

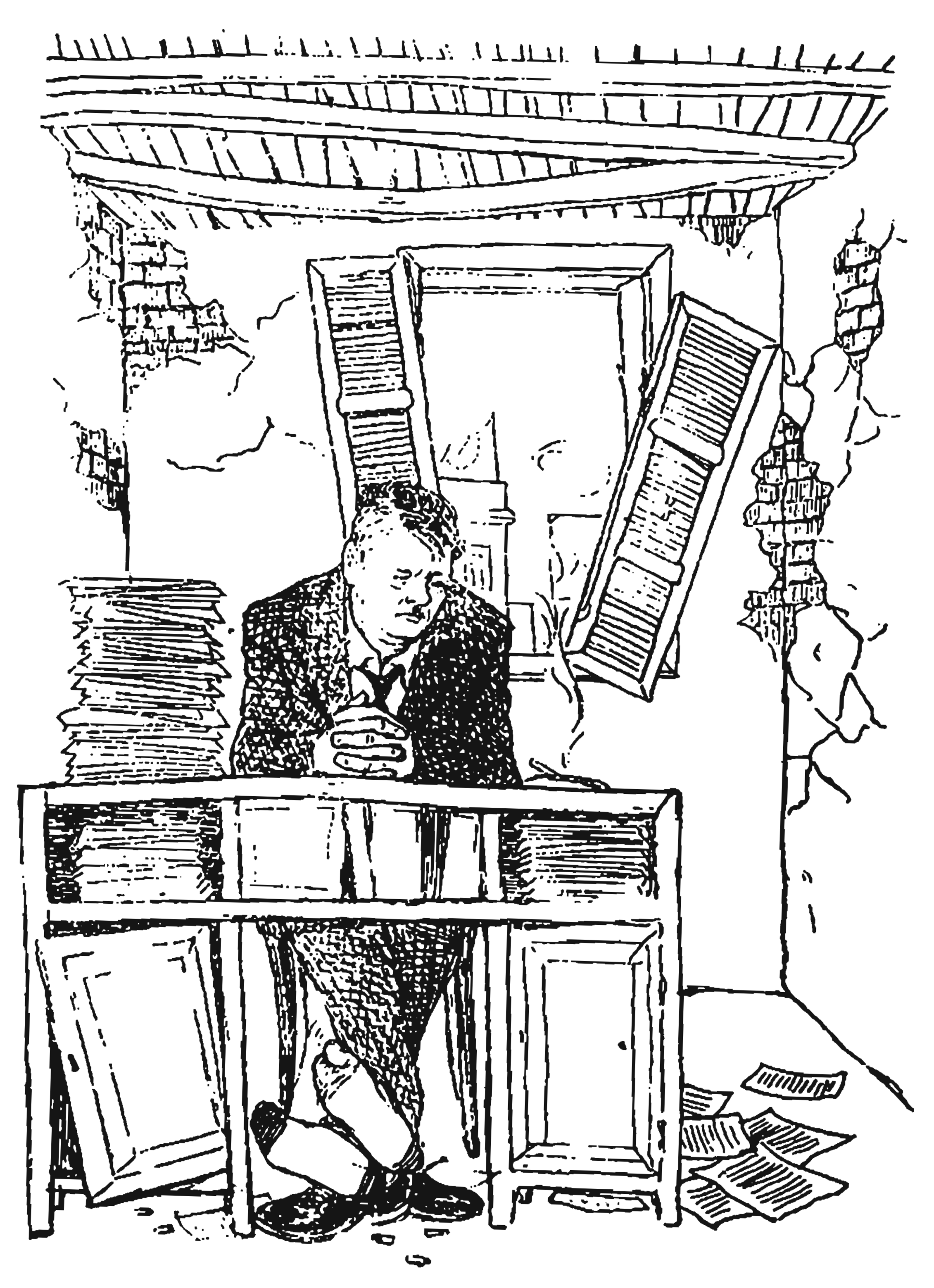
رانى النادى وماشى خايف الغول واقف وانت شايف
ربك صاحب اللطف الطايف يحرسنا من الشياطين

رانى النادى وماشى حافى ربى يعلم قلبى صافى
ربك صاحب اللطف الخافى يحرسنا من الشياطين

الدنيا شطرين مقسومة كوفزما وحالة مشئومة
والفاشيزم وش البومة واحنا بينات الاتنين

واحنا معاهم يا عليهم كيف الأرنب بين رجليهم
يفنونا ربى يهديهم واحنا قلالة ومساكين

وإذا ألحنا إلى حياة « بيرم » الصحفية التى عاشها فى مزاولة التحرير بنفسه ، أو المشاركة فى إصدار صحيفة ، أو المعاونة بالتراسل ، نجد لبيرم فى كل ذلك نشاطاً يثير الإعجاب والتقدير . فقد كان يمثل نحق حيوية الصحفى ، من حيث نشاطه الدائم ، وإنتاجه الدافق .



مكتب « بيرم » فى دار المؤيد ، بشارع القلعة (محمد على) .

ويجدر هنا أن نشير إلى ما كان عليه العصر الذى مارس فيه « بيرم » مهنة الصحافة .

فقد كانت الصحافة فى ذلك العصر مهنة شاقة ، وكان الصحفى اللبق هو الذى يمكن أن تعيش صحيفته ويقبل عليها الجمهور

وإذ أجاد بيرم ذلك النوع الجميل اللطيف من الأدب الشعبى ، فى وقته ، فقد كان من الصحفيين الناجحين فى اجتذاب القراء .

ولكن الكسب عن طريق الصحافة ، فى ذلك الوقت ، كان ضئيلا . فلم يكن الصحفى يضمن الكسب الكثير بسبب القلة من القراء ، لركود سوق الثقافة العامة ، وضآلة عدد المقبلين على قراءة الصحف .

ومع ذلك فقد لاقت جريدة الشباب على يد محررها « بيرم » بين أواخر عام ١٩٢٢ ونهاية عام ١٩٢٤ ، وهى الفترة التى عاشها فى مصر بين النفيين ، رواجاً عظيما ، وكان ثمنها نصف قرش أسبوعياً

ويمكننا أن نقارن ضآلة مكسب الأدباء فى ذلك العهد بالكتاب الذى طبع لبيرم باسم « السيد ومراته فى باريس » ، وهو الذى أشرنا إلى أن جامعات العرب قد قررته فى دراسة اللغة العامية ، حيث كان ثمنه قرش صاغ واحد بينما عدد صفحاته ٩٦

والحق أنه كان عناء غير ذى جزاء .

وما كانت تلك المبالغ الضئيلة التى كان يحصلها « بيرم » فى ذلك الوقت لتكفيه أن يعيش منعماً . بل كان ، كأنداده من الأدباء ، كالشمعة التى تحترق وهى تضىء ما حولها

لذلك كان « بيرم » دائم السخط على مهنة الصحافة والتبرم بها . فإذا أضفنا

إلى ذلك ما عاناه فى سبيل الصحافة ، وخدمة الأدب ، من نفى وتشريد ، ومصادرة ، واضطهاد ، أدركنا السر فى مداومته على التذمر من هذه المهنة .

لقد قرأنا من أقواله مثلا :

. . .

واتوب على سيدى لاظاوغلى من كار الجرانين
واعمل حانوتى ومغسل واشيل الميتين

ثم قرأنا أيضاً :

أعيش شريد وامشى حافى فى مصرولا اكونشى صحافى
على الأدب قول ياعوافى لاعمل أنا فران أستر

لاعمل أنا فران واعجن وانبغ فى فن العيش واتقن
إلا الكتابة اللى تسرجن فى عهد دستورنا الأخضر

ياللعجب على خلقتنا والدود بيهرى فى جتتنا
ون كنت تاقى فى صحافتنا دوا الدمال تتسنكر

إن قلت ياحكومة جرى واحد فاتح له بيت سرى
تقول لى طب ليه بتورى ما كان فى حاله ومتستر

ون كنت أكتب فى حكاية لا طعن فيها ولا غاية

يقولوا تحريض وغـــــواية   عا لفسق قــــوم امضى المحضر

وان كنت أكتب فى الحكمة   وفى البخــــــارى والختمة
واحلى جرنالى حشمـــــــة   عا اشكل دا الجرنال يخسر

عمك (زميمى) عطا التصاريح   لـكل جاف جانف قبيـح
زلة بهـا فى الناس تشبيح   لا خلوا سـالم ولا بعجر

صحافى من همـــــه وغمه   مسك القـلم ونفث سمه
فى واحدة من طبقة أمـه   والدور على الدون يتشطر

ويلاحظ فى هذا الزجل تصويره لذلك العناء الذى يصادفه الصحفى فى أداء مهمته ، بين مختلف تيارات التقاليد والعقائد ، التى كانت تحول دون التصريح بصيحات الإصلاح الواجب .

ولعل من أظرف قطع « بيرم » فى موضوع الصحافة ذلك الزجل الذى داعب به صديقه المرحوم الكاتب الكبير « إبراهيم عبد القادر المازنى » ، والأستاذ الكبير « عباس محمود العقاد » . وقد وضع فيه لثالوثهم صورة كاريكاتورية مضحكة ، يحيط بها إطار بارع من الواقعية ، التى يتعزى بها أهل الصحافة

فرقـــــة رمز

ياابراهيم يامازنى .. ليه مــا اعرفش مالى
كل مـا اكتب ، ألتقى طيفك قبــالى

أحشرك فى الوسط ، واعمــل بك تقالى

قول لى إيه أصل السبب فى دى الأصية

أخبرك إيه السبب فى دى اللجاجــــــة

أولا ، دمك خفيف ، خــالى السماجة

ثانياً إنـــك ضعيف ، ماتقولش حاجة

لازجل تنظم ، ولا ترفــــــع قضية

من كده ، با امسك فى زورك كل ساعة

لمــا مـــــا القاش كلمتين أملا البتاعة

قال مافيش غيرك هزؤ ، شوف دى الفظاعة

امتثـــل ، أمرك لخـــــلاق البرية

يـا ابراهيم حيث ان بـــاظ سوق الجرايد

قوم ندعبس عا المعـــاش ، ياما موايد

مــــــدها سيدك بلاش ، فيها فوايد

للى يبهب ، واللى يابهط ، مـــــستوية

خد قفاية ، وهات قفاك ، وامسك معايا

طار صنيخ والبس ياواد طرطور براية

واتمسخ مثلك ، وانظم لك حـــكاية

وندور احنــــا الجوز نزور الحلوجية

وإن لبس عباس[1] كان زعبوط وضنأر

فوقه عمـــــة مزهرة من فرمة مصفر

هوه بالأرغول يتمم ، واحنـــــا نجعر

عاالطبل ، تنجح تمـــام الـكومبانية

ننجعـــص زى الذوات ، والعصر نسرح

فى البلد ، ونشيل هموم الناس ونشرح

منها شغلة ، ومنهــا فسحة ، ومنها نربح

تبقى دى ، صـــدقنى ، عين العبقرية

وان كسبنا نروح لعزمى[2] الاحتيــاطى

بالفطاير ، والسجــــاير تحت باطى

بلـكى — مين عارف — يجينا يوم نطــاطى

روسنا فى التخشيبة ، تبقى لنـــا الهدية

يا ابراهيم ، كار البلا ، الزفت ، الصحافة

تمشى فيــه بس اللطايف[3] ، واللطافة

أما جبار مثلى ، أو صـــاحب سخافة

مثلك انت ، الفقر أولى بــك وبيه

---

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد .
(٢) المرحوم الأستاذ محمود عزمى ، وكان صحفياً شهيراً
(٣) مجلة اللطايف المصورة واختفت من منذ عشرين عاما .

حيث بأن الشعب ماسك لك خصومة

من زناخ عقلك ، تناضل لى الحكومة

قول لهم ينفوك ، وأحظى بـــك يابومة

أو يخلونى أجيلك من عينيـــــة

* * *



بيرم فى شبابه الصحفى

بيرم ورجال الدين

يروى لنا « بيرم » فى مذكراته التى دونها عن حياته ، كرهه لرجال الدين . من حيث لاحظ فى أحد المدرسين حينما كان يتلقى العلم وهو صغير ، فى مسجدى المرسى أبى العباس والبوصيرى ، أنه كان ينظر إليه نظرات مريبة ، الأمر الذى جعله يشمئز ، ويعول على الفرار من وجهه ، ويترك المعهد إلى غير رجعة ويقول عن نفسه :

« ... وتربت فى نفسى عقدة من جميع الشيوخ الذين يلبسون مسوح التقى والورع . وكرهتهم كراهة الأرض للدماء ... »

فإذا أضفنا إلى ذلك ما كان يحدث من بعض الشيوخ إبان ثورة سنة ١٩١٩ ، حيث كان الإنجليز ، إذ ذاك ، يستعينون برجال الدين لتخفيف حدة الثورة ، بالقاء الخطب الدينية والمواعظ ، نظير إغرائهم بالمال والجاه . وأن فريقا من الشيوخ بالذات كانوا يترددون فى خفية على دار المعتمد البريطانى (كما كان يسمى فى ذلك الوقت) وفى طليعتهم من كان مفتياً للديار المصرية[1] الذى شوهد أكثر من مرة داخلا إليها أو خارجاً تحت جنح الظلام .

يشير « بيرم » إلى هذا ، مهاجماً ذلك المفتى ، فى زجل جاء فيه :

يا بخيت يا ابو دومــــه ... يا ابو خلقــــة مشومة

لاديك بالشومـــــــة ... إن ما كنتش ترجع

ضبطوك متنيـــــــل ... عا القصر محـــــول

(١) المرحوم الشيخ محمد بخيت .

تجرى وتتشـــندل   وعامل واد مجــــدع

اتـــلم احــن لك   دا الشعب قاعـــد لك

بالصرمـــــة يذلك   اتأمـــل واسمع

ثم يتناول أيضاً رجال الأزهر وقتذاك جميعاً ، بقوله فى قطعة من زجل آخر :

يا أزهر العــــلم انت ازهر صحيح وشريف

لـكن مع العــــلم أهلك كلهم م الريف

طالبين أجور المظاهرة كل خطوة رغيــــف

وجبـــــة كزمير ، بقفطانها ، ومركوبها

وان شالله يحكمها مالطى يرعى فى الحـــلاليف

و إذا أضفنا إلى هذا عقدة « بيرم » من جماعة الشيوخ ، علمنا السر فى حملاته الشديدة التى كان يوجهها ، دون رحمة ، عندما يقرأ أو يسمع حادثاً وقع من أحدهم

كتب مفتى الديار ، ذلك الذى هاجمه « بيرم » ، مقالا نشره فى الأهرام ، ووقع عليه بإمضائه ، فإذا هو منقول بنصه وفصه عن مقال للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، عنوانه « العصبية والتعصب » كان قد ظهر فى مجلة العروة الوثقى . وضبط الواقعة المرحوم سعد زغلول ، فكلف نقيب المحامين أبو شادى أن ينشر الخبر فى نفس جريدة الأهرام ، و يعرض النصين معاً .

فإذ بلغ « بيرم » خبر هذه الفضيحة وهو فى المنفى ، أرسل للنشر هـــذا الزجل اللاذع :

ستين سنة لا عمال تبيت ... واشرب لى كبايتين نبيت

والعن أبو الشيخ كسفريت ... الكافر (الحادى عشر)

قلت لكم الشيخ ينجلد ... قلتولى أخرج م البلد

قلت انت مالك يا ولد ... حا تنحشر مع العجر

حسب شيخ الدولة تاب ... جه هوه سخمها بهباب

سرق مقالة من كتاب ... شهير وصاحبه مشتهر

إيه رأيكم يا مسلمين ... فى الشيخ كباب كفتةالأمين

طالع يعر المسلمين ... أمال ياريته كان كفر

لازم تجيبوا المفترى ... حالا فى مجلس عسكرى

يا كلها لنا يتهرى ... وغيره راخر يعتبر

ألزم ما يعمل فيلسوف ... ويحط لى فروة خروف

وتحت منها جبة صوف ... آل يعنى عالم معتبر

ياخى اتلهى جاك البلا ... فى دقنك المتدلدلة

روح اترمى فى مزبلة ... وا كنى الماجور على الخبر

يلعن أبوكم كلكم ... ويدوس فضيلة علمكم

كلاب ما يشبع بطنكم ... غير الرشاوى يا غجر

ويقرأ «بيرم» ، وهو فى المنفى أيضاً ، عن مشروع جليل كان قد قام به جماعة من الغيورين . إذ فكر الأستاذ «عمر لطفى» فى تكوين تعاون شعبى ، يوفر المطالب الحيوية للمواطنين ، حتى يتغلبوا على الأزمة التى كانت قائمة من الجوع والعرى ، من جراء استيلاء الانجليز على كثير من خيرات البلاد ومواردها

وإذ يصادف هذا المشروع نجاحا كبيرا ، بإسهام عدد كبير جدا من الكبراء وأهل الفكر ، مع العديد من الطبقة المتوسطة والعمال ، هال الانجليز الأمر ، وعدوه خطرا على سياستهم الاستعمارية ، فعمدوا إلى محاربته بشتى الوسائل . ولجأوا فى ذلك إلى جماعة الشيوخ ورجال الطرق خاصة . وأوعزوا إلى الشيخ «محمد الغنيمى التفتازانى »، وكان أحد مشايخ الطرق، أن يهاجم المشروع ويحض على النفور منه، بدعوى أنه يرمى إلى البلشفية .

فما كان من الشيخ «التفتازانى» ، رحمه الله، الا أن تولى هذه المهمة، وأخذ يسفه أراء القائمين به على صفحات جريدة الأهرام . وكتب مقالا يتهم فيه الأستاذ «عمر لطفى» وأصحابه بأنهم من المارقين ، الخارجين على الدين الحنيف، الداعين إلى البلشفية ، التى يحرمها الإسلام .

فإذ قرأ « بيرم » عن ذلك أرسل هذا الزجل المريع، الذى جعل الشيخ التفتازانى يتوارى عن الناس بعد قراءته :

الحمـــــد لله لا انا لتات ولا عجان
ولا قريـــبى بوليس سرى ولا سجان
يا «زفتزانى» كلامــــك كله بإذنجان
تبزق عليه الخـــلايق إنسها والجان

جماعة شافوا الغلابة ميتين م الجـــوع
حنـــوا عليهم وقاموا وضبـــوا مشروع
جى انت بتقول دا دين البلشفيك ممنوع
إيش أدخل البولشفيك فى نجدة الإنسان

لا فى الجـــوامع رأيت مثلك ولا فى الدير
عالم ومسلم وبتعارض فى فعـــل الخير

مدام فضيلتك بتا كل كستليتة وطـــــير
يبــــقى الدريس والدرة والفجل للخرفان

طـــــب وانت مالك بتتفلحس وتتفلسف
وتخش فى اللى ما هو لك ليــــه وتتــكشف
هيــــة نهار البلد دى لمـــــا تتبلشف
حاتجردك م القاووق والجبـــــة والقفطان

لأ والتلامة بتستشهـــــــــد لنـا بالدين
إنه أمر تبقى نص المسلمين جعــــــانين
إن كنت فاهم شريعة العدل عن لينين
أنظر شريعة نبينـــــا نازلة فى القرآن

كان النـــبى والصحابة يجلسوا عا الأرض
مافيش لهم حـــد لا بالطول ولا بالعرض
متجمعين ،والفقير عنـــــــد الغنى له فرض
والـكل فى الـكل اللى فى الحرم إخوان

سيدنا عثمان ما كانش عنـــده رتبة بيه
حتى الخليفـــــة عمر كان يشتغل بايديه
ولا إمامنا على كان عنـــده ألف جنيه
ولا أبو بكر عنده ست الاف فـدان

ولما تتوزع الحنطـــة وصـــاع التمر
كان اللى ياخده بلال قد اللى ياخده عمرو
والأمر لله لوحـــده هو صاحب الأمر
ينزل سمـــاوى لا ديكريتو ولا فرمان

أوجب عليهم إله العرش شىء معـــلوم
يطلع مـــافيش هرش للسائل وللمحروم
صار الـكلام ده النهـارده فى بلاد الروم
والمسلمين أصبحوا لا دين ولا إيمـــان

يشغلوا الشحط فى الجامــــع بستة ريال
يكنس ويمسح محلات الأدب ع العـــال
وآخر انشهر يتحـــــاسب على الإهمال
يطلع من الدين والدنيـــــا كان خسران

ويبقى فيهم غنى مفرد وصاحب بنـــك
يشغل ابن الأصول طول النهـــار بفرنك
يامـــا ألوف الألوف يامسلمين فى ضنك
أكل التراب والعبك من جسمهم ريقان

ثم يهاجم «بيرم» أيضاً ، نوعاً آخر من شيوخ الدين ، إذ ذاك ، فى شخص رجل معمم كان يشتغل بالطب الروحانى ،وكان إسمه « الشيخ محمد زيدان »، وقد

اشتهر بين النساء حتى أنه تزوج بسيدة شهيرة ، ثم بأميرة من الأميرات . وكان يتخذ عمله ستارا يخفى وراءه غاياته . ويرسل « بيرم » من منفاه هذا الزجل العجيب فى تصوير هذا الشيخ :

الشيخ زيدان عامـــل طبيب روحانى
بالسفلى قـــال يكتب وبالسريانى
بـــين النسا له صيت عظيم جوانى
فايق على الدكتور شاهين وزيـــادة

والشيخ زيدان أسمر طـــويل ومتفحل
إبليس يشوف وشـــه المشقلب يرحـــل
يرخى العـــدايب حضرته ويتكحل
من الصبـــاح ويلازم السجادة

له كل يـوم دبشة حشيش رحلاوى
دخانها ضايع فى نخور الجـــاوى
ويحط قدامــــه كتب وبـــلاوى
لاجل العبـــادة تنقلب بعبادة

خشوا عليـه اثنين واحدة زبونة
والثانية سمسارة زحـــل مجنونة
باسوا الأيادى المجرمـــة الملعونة
واستنظروا أمر العبيـــد والســادة

اتنحتح الدكتور وقال للهـــــانم
دستور ياست اتفضلى ايه الـــــلازم
قالت تحضر لى النهاردة الخـــادم
يعرف لى أسبـــــاب انقطاع العادة

آخر ولادتى كان نهـــــار الزينـــة
والطلق جانى يومهــــا فى التراسينة
راحم يجيبـــــوا الكرسى وام أمينة
حضرت يادوبك عـــا الخلاص الداية

حشـــــت على سلفتى فى نفاسى
وانـــا عدوك فى الفراش وبقـــاسى
بصت وقالت (يافطم) تنحـــاسى
اللى انـــت فيـــه دا لعب والا ولادة

يادوب دى راحت واللى هوه فى ضهرى
جانى تقـــول خنجر ياخويـــا بيهرى
الأربعين فاتت ومـــدة طهرى
والدم خـــد عندك نحور مـــدادة

جابوا الحكيم قـــال الحكيم دى الحمى
زى اللى بتقوله جميع الحـــكما

وصف سخام برشـــام وكان الخاتمة

من يومها أنا عاقر وانـــــا ولادة

ضهرى انقطع ، بصيت عليـــه ما لاقيته

أما اللى جبتـــــه فى التراب حطيته

أمر الحكيم يارب تخرب بيتـــــه

وتعمى عين السيدة الحـــــادة

استعدل الأستـــــاذ وخش وراها

من بعد غمزة للى جيه ...ـــــاها

قعدت تصهلل طول ما هى ســـــامعاها

تقول ياالهوى حقـــــه كله الا ده

إن الزمان ضنين بأمثال هذه العبقرية ، لا ينفق منها بغير حساب .

عباس محمود العقاد

بيرم والمرأة

كان « بيرم » منذ ما خاض ميدان الأدب يتوقع أن المرأة هى الأساس فى صلاح المجتمع ، وهى السبب فى تأخر قومه لجهلها ، وضعفها ، فشرع قلمه فى وجهها . وكان قاسياً عليها أحياناً ، مشفقاً بها أحياناً أخرى .

وهو بعد إذ نقد أخطاءها فى الحياة مر النقد، عاد يشيد بها حينما تدرجت بها الأيام فأثمر فيها العلم والتربية .

وهذه بعض صور من نقده لها .

فهو يقسو عليها قسوة شديدة بتصوير جهلها بهذه الصورة البشعة

دود الحصيرة زحف والعنكبوت عشش
على البيبان والستـــــاير والقزاز غشش
شوفى التراب اللى باللوحة على الكنسول
قومى امسحيه ليشوفه جوزك يجى يوشش

فى كل جمعة اكنسى تحت السرير مرة
لا تحطى تحته لا مقـــــــلاية ولا جرة
والحابة والصفيحة وسلة الهلاهيـــــل
وقـــــــدرة المش لازم يترموا برة

يا منيلة ياللى مين زيك ما حقـــه جواز
غلبتى جوزك وعلمتيـــــه على البزناز

مبسوطة لما بسلامته يروح يقول لامك
دى كل ليلة تجيب الأكل متماص جاز

عمرك ما تتزوقى الا عشان بره
وتطلعى بالبوال والصدر نتعرى
خلى الزواق والعدل فى البيت للراجل
لاحسن يكيدك وياخد بالمحمل ضرة

دبقتى جوز الأساور من قفا المسكين
الوزن مية عياره أربعة وعشرين
ولما يسأل تقولى دول بتوع أختى
لهو انت بتجيب أساور دانت عيشتك طين

حطى يا بنت الحلال قلبك على قلبه
ودبرى البيت وهو يعس على غلبه
دا كل واحدة مطيعة يحبها جوزها
والناس يقولوا يحب مراته وتحبه

ثم هو يلقنها درساً قاسياً آخر ، بهذه القطعة التى عنوانها « تدبير منزلى » :

تدبير منزلى

ما تمضغيش للعيال الأكل بسنانك
والنفخ فى الأكل سم ، فى عرض ايمانك

مرة جهولة ، حمـــارة ، خصلتك سودة
ما تسمعيش الـكلام ، تنشكى فى لســانك

إن عيط الواد ، وقال لك ، أشترى نعناع
وحمصية ، ونبوت الغفـــــــير ، و بتاع
إوعك تطاوعى كلامه ، واعمـــلى طرشه
دا السقم ، والسم ، أصله من إيد البيـــاع

وان قدر الله وكان عندك ولد عيـــان
ما تحطهوش بين خوانه دا العيـــا دفان.
وابقى اعملى زى ما يقول لك عليه الدكتور
وتمنعيـــه م الطبيخ وترتبى اللبان

شيلى يا بنت الحـلال الإبرة م المســـند
ليتكسر سهــا فى إيد الولد أســـعد
تملى ترمى الإبر ، ما تحرميش أبـــدا
مش فاكرة يوم ماشكت خربة أم احمـــد

وان كان فى بيتك شوك ، والا معالق بقص
خافى عليهم ليبقوا كل يوم فى نقـــص
واغلى لهم الميــــة لما تغسلى المواعين
وتضفى البيت ، وخلى الأودة ترقص رقص

وبطلى قــولة العفاريت والغــــولة

ليطلع الواد عبيــــــط والبنت مخبولة

ما تعرفيش الـكلام ده يتلــف الأولاد

ويفرجوكى المـــرار ، وتعيشى مخيولة

حاتعملوا ازاى لمــا تصبحوا عيـــلة

وانتم بتاخدوا الجنيـــه بتفرقوه فى ليلة

دا بالـكى كان مرة بعـد الشر مش قادر

مافيش بقى الا الموبيليا ، شفتى دى الميلة

ثم يهيب بالرجال ليحرروا المرأة من سجنها ، ويجعلوها تواجه الحياة بدراية واطلاع ، ليستفيدوا من نضجها ومعاونتها كما يطالب النساء بضرورة الافادة من العلم مع الحكمة والتعقل، والتكاتف مع الرجل فى ميدان الحياة ،إذ يوجههما بهذه القطعة الصادقة ، الذى كتب عنوانها فى ديوانه « بردون ياشعراوى » ... وهو يقصد زعيمة النهضة النسائية المغفور لها « هدى هانم شعراوى » :

يا بنت بانى الهـــرم نمى هـــــلاهيلك

والبرقـع اللى انخـــرم ويا منـــاديلك

يكفى لومك فى الحرم فى قيـــد خلاخيلك

ما شـــفت زيك سجين ســاكت ومتـــاوى

غلبت أقـــول للرجال خـــلوا المـرة حـرة

تخش رخره المجـــال تفهم وتتـــدرى

العاقلة بنت الحلال   ما يضرهاش بره
لكن بتنصح فى ميت   روس جامدة سنطاوى

راية ولاد العرب   فى الأرض منكوسة
طول عمرها والسبب   إحسان ونفوسة.
والله اللى قال ما كدب   نسواننا موكوسة
حتى اللى متعلمين   بردون يا شعراوى

جهل النسا بالعلوم   خلانا أنتيكة
نفهم فى فن الهدوم   رقعة وتشتيكة
وفى البلد عا العموم   ما تلقى فابريكة
غير فابريكات الطحين   فايحيى بدراوى[1]،

يا بنت بانى القصور   راجل ينـاديكى
بينه وبينك ستور   مدّى أياديكى
وفكى عنه السيور   الله يقوّيكى
وكونى إيده اليمين   فى اللى عليه ناوى

فإذ يطمئن إلى نجاح المرأة يكتب هذه القطعة التى يعترف فيها لها :

قلبى اما كلثومة تغنى   يبقى رايح جى،

---

(١) يقصد « بدراوى باشا عاشور » المليونير الذى كان يمكن من ماله أن يؤسس مختلف أنواع الصناعات لصالح الوطن ، ولكنه اقتصر على مطاحن الغلال التى تدر عليه شخصياً قبوض الأموال

وروزا[1] تمثيلها الفــــنى يمــــلا عينى ضى
وعضمى يتفــكك منى لمـــا تكتب مى[2]
يا مصر دومى واتهــــنى بالحــريم الحـــى

منيرة[3] كاتبـة فرنساوى واقــرا فى الجــرنال
أما زجل إحسان[4] كاوى فى الصـــناعة رجال
والكامة من هدى شعراوى تنـضرب أمثـــال
وشوف سعاد الخلفاوى[5] شـــافت الأهـــوال

وتحيـا استرويصا هانم[6] أم عقـــل كبير
وخلى ست لبيبــــه هانم نابغـــة التحـــرير
وأنست امرحـــوم قاسم اللى صـــيتها شهير
والمحســنة الرقة العـــالم اللى جـــوزها أمـــير

أمال يا خلـــق الله مالى كل مادا نخيـــب
بيجوزونى أم طبـــالى وامهـــات قبـــاقيب
آخـد على المهـر الغــالى ضـــرب بالمراكيب
لما انكويت واللى جرالى لم يشوفـــه حـبيب

أحيــــه على زهرة مراتى لمـا تطبـــخ قرع

---

(١) السيدة روز اليوسف الممثلة الأولى
(٢) الآنسة مى (مارى زيادة) الكاتبة الشهيرة .
(٣) السيدة منيرة ثابت الصحفية .
(٤) السيدة إحسان القومى
(٥) ، (٦) سيدات عاملات فى النهضة النسائية

واحيه على الفولة حماتى   تنا تمـــــرع موع
تاخـــدها وتـيبنى أهاتى   ويـاعدها الشرع
والأصل لو كنت فلاتى   أبقى زى القـــرع

ثم يؤمن بسحر المرأة فى هذه القطعة التى جعل عنوانها « يا ست » :

أهـلا وسـهلا من قلبى   كل ما اشـــوفك
أقولهـــا واطلب من ربى   لمس كفـــوفك

جسمك فى فستان السواريه   عريان نصـــه
لو كنت أفصل بست عليه   إيد من قصـــه

ولمشيتك فى سان استفانو   بانتجـــرجــــر
قالت جميع أهل الكازينو   ألـــه أكبر

والخطوة لما تخطيهـــا   واحـــدة تنتنــة
أقول يا ربنـا تـكفيهـــا   شـــر عنينـــا

وشـعرك اللى الفن لواه   يا اصـــابـع يانى
لوكنت أعرف الأسطى كواه   والا كـــــوانى

ونظرتك من تحت لفوق   كده المـــراجـل
تغلى لولب متر الشـــوق   طـالـــع نازل

أما اللى زود فى جمالك   ونصب قامتــــك
وشـوق الناس لوصالك   تقـل عظمتـــك

والشفة لما تعضيها شفتك انتى
دى نايبة و بتفتكريها يام جوانتى

يا مجلس الأنس اجمعنا ببنات حوا
دول نصنا وعظم ضلوعنا وبيه نتقوى

يا مجلس الأنس تضلم لما نجومك
تغيب ونسهى ما نتكلم غير فى هومك

ويسجل اعترافه بالمرأة فى هذه القطعة الصوفية البارعة ، التى يشيد فيها بعظمة المولى فى جمال تصويره ، وجلال قدرته ، تحت عنوان النسوان :

النسوان

فى كل عام للورد أوان إلا النسوان
بقدرتك نابتين ألوان أبيض واحمر

وانت تعلم وانا أجهل ايه فيه أجمل
من دى الخدود اللى لا تدبل ولا تتغير

ودى العيون اللى اشهدلك بها واسجدلك
دى خلت الطاغى انقادلك والمتكبر

والشفتين اللى فالقهم كنت خالقهم
للابتسام والا رازقهم دانت تحير

بذمتى انت اللى جاذبنى يا معذبنى !
ويا اللى ذوقك يعجبنى لما تصور

لك صنعة فى العين والحاجب بها نتعاجب
ونقول وجود الله واجب مين به يكفر

ولك قوالب فى الأجسام غلب الرسام
يقلدك بحجر ورخام يلقاك أشطر

يا ست يا ام زناق محبوك وقميص مفكوك
حطى على القلب المشبوك إيدك يعمر

ويا ام نص ملاية حرير والنص يطير
على الكتاف أنا عقلى صغير غطى المرمر

ويا اللى ساقك يسوى رقاب حارت ألباب
فى لون حقيقته ان كان بشراب والآ مقشر

ويا اللى خصرك له حركات تقفل شركات
ويضبح مبها داود بركات[1] لما يحرر

ويا اللى لابسة لى جواتى أربعة سنتى
فى إيه خفيتى وبينتى اللى ما يظهر

---

(1) رئيس تحرير الأهرام

ويا ام شمسية يا عايقة   على فين سايقة
يا مرشقة الوردة اللايقة   عا المشـــجر
هواكى بالياسمين هافف   وحلق رافف
يصافح العقد اللافف   على دى المنحر
يا مسلمين الله يا حريم   أنا مالى غريم
غيركم أروح وياه ف جحيم   يوم المعشر
الدنيا والنسوان وخلاص   والراجل لاص
لا طيلة ينفع ولا بلاص   لو يتكسر
عليه قفا عايز الحية   وخلقة ردية
وجتته الشعرانية   حاجة تقشعر
والا الشنب والدقن يا هوه   مهما حلقوه
باين وعاوز نعن أبوه   برضك أخضر

« أنا لا أخشى على الشعر العربى طغيان أحد ، أو شيء ، إلا « بيرم » ، وأدبه الشعبي » .

أمير الشعراء
أحمد شوقى

بيرم والعمال

من للعامل ؟ . . .

من لهذا الذى يبنى مجد الوطن دون أن يقدره أحد ؟ . . .

من لهذا الجندى المجهول ؟ . . .

هذا الذى يعمل صامتاً ، صابراً . . راضياً بالكفاف والحرمان ، فى سبيل لقمة العيش التى يقيم بها أوده وأود أسرته .

إن « بيرم » لم ينسه ضمن خطراته ولمحاته العديدة ، التى كان يسجل بها الأحداث .

إن له فى مخيلة « بيرم » لوحة ، ولكنها لوحة ثائرة ، صاخبة ، باكية .

فقد كتب عنه عبارة صارخة ، عن لسانه ، فيها العتاب المر ، مع الاحتشام الذى تتميز به طبيعة العامل ، فيها الثورة ، مع الرضى والقناعة .

ولنقرأ له معالم هذه اللوحة البارعة فى لمسات كلماته العميقة المعنى :

العـــــامل

ليـــه بيتى خربان ونا نجـــار دواليبـكم
ليـــه فـشى عريان ونا منجـد مراتبـكم
ليـــه امشى حفيان ونا منبت مراكيبـكم
هيه كده قسمتى
الله يحاسبـكم

ساكنين علالى العتب وانا اللى بانيها
فارشين مفارش قصب ناسج حواشيها
قانيين سواقى ذهب ونا اللى ادور فيها

يارب ماهش حسد
لكن بعاتبكم

من الصباح للمسا والمطرقة فيدى
صابر على دى الأسى حتى نهار عيدى
ابن السبيل انكسى واسحب هرابيدى

تتعروا من مشيتى
واخجل أخاطبكم

ليه تهدمونى وانا اللى عزكم بانى
انا اللى فوق جسمكم قطنى وكتانى
عيلتى فى يوم دفنتى ما لقيتش أكفانى

حتى الأسية وانا
رايح وفايتكم

وليت « بيرم » عاش ، ليرى كيف أنصفت الثورة هذا العامل فى تشريعاتها الثورية الأخيرة ، وكيف ضمنت حقوقه لدى أصحاب الأعمال والشركات ، وكيف يسرت له العيش الرغيد ، وأمنت له مستقبله ومستقبل أولاده عند الشيخوخة والعجز

بيرم والفلاح

ثم الفلاح . . لم يتركه « بيرم » دون أن يعطيه حقه من التمجيد والإشادة به . إنه عضد الدولة الذى يقوم على جهده كيانها . لذلك كان لا بد أن يكون له من أدب « بيرم » نصيب .

فهو يمجده فى هذه القطعة بعنوان « الفلاح » وهى على الأرغول :

الأولة آه والثانية آه . . والثالثة آه . .

الأولة . عيرونى ، ان انا فــــلاح
والثانية . أزرع ، واقلع ، للى نام وارتاح
والثالثة آه اللى احبه شــط منى وراح

الأولة عيرونى ، ان انا فــلاح ، بدفيــة .
والثانية . أزرع ، واقلـع ، للى نام وارتاح ، فى دهبيـــة
والثالثة آه اللى احبـه شــط منى وراح ، فى صبحية .

الأولة عيرونى ، ان انا فــلاح ، بدفية ، وعيشى حاف
والثانية . أزرع واقلع ، للى نام وارتاح ، فى دهبية ، بميت مقداف
والثالثة . آه اللى احبه شط منى وراح ، فى صبحية ، ما قال لى عواف .

الأولة مش بإيدى . دا قضـا محتوم .
والثانية . ومسيرها ناس تغرق وناس حاتعوم .
والثالثة . ميت هم يرحل ألف هم يدوم .

الأولة آه

والثانية آه

والثالثة آه

وهى قطعة عميقة المعنى لا يخفى الغرض الذى يرمى إليه بها « بيرم » فى تلميحاته الخفية العميقة على استغلال الفلاح من أصحاب الإقطاع .

ثم يمجده فى أغانيه ، كقوله فى الأغنية المشهورة التى ينشدها الموسيقار « محمد عبد الوهاب » .

ما احلاهـــا عيشة الفلاح مطمـــن ، جابـه مرتاح
يتمرغ على أرض بـــراح والخيمة الزرجة ســـاتراه
ياه . . . ياه ياه . ياه ياه . . .
ولا يطلب شرط ومشروط غير لبدة ، وعرى ، وزعبوط
واللقمة وا كلها ومبســوط إ كنه جايبها بشقـــاه
ياه . . . ياه . . . ياه ياه . . . ياه .

ويواسى الفلاح فى حاله من القناعة ، وإغضاء المسئولين عنه فى الماضى ، ثم عناية الثورة به .

قضيت يا فلاح حيـــاتك فى سواد العيـــش
ولبسك الخيـــش ويا ريتك تطول الخيـــش
وإنت لك جيش وأولادك جنود فى الجيش
شوف ضربة الجيـــش أعادت حقك المغصوب
ورجعت للصواب أهـــل الغرور والطيـــش

بيرم والصناعات الشعبية

تناول « بيرم » بالنقد أنواع الصناعات الشعبية ، التى كان يعدها تافهة ازاء التقدم الكبير الذى أحرزته الصناعات فى بلاد الغرب ، وكان يكتب عبارات النقد بعنوان (صناعاتنا المصرية) .

ومن ذلك تهكمه ، مثلا ، على صناعة المناخل

قالوا عريسها مناخلى قلت يا خسارة
طب دى المناخل لا هى صنعة ولا تجارة
يا اللى بقى لكم زمان فى الشاشة والطارة
ايمتى بقى تبدلوا المنخل بطيارة

ثم ينظر إلى ذلك « العرقسوسى » ، الذى يحمل قدرة شراب العرقسوس ، ويحتضنها ، وهو قذر الملابس والمنظر العام ، ويسقى الناس من شرابها الملوث بالميكروب . فيصفها بهذا التصوير البشع :

يا قدرة العرقسوس يا ام البتاعة[1] نحاس
م المكروبات اللى فيكى ياما ماتت ناس
أخذك فى حضنه يا وحشة يااللى عايزة الفاس
واحد لاحصل لا شربتلى ولا كناس

(١) لم يدر بيرم كيف يسمى هذا الزخرف النحاس الذى اعتاد أولاد البلد من باعة العرقسوس تزويق غطاء القدرة به . فسماه (البتاعة) ...

الإعلان بالزجل

ابتكر « بيرم » نوعاً من الإعلان بعبارات الشعر ، بدلاً من الرسم . وكان ينشره فى صحيفة الشباب .

وقد أعجب القراء بتلك الإعلانات ، وحفظوها ، فكانت عباراتها أقوى أثراً من الرسم

ونقدم منها هذا الإعلان الطريف لمحلات الراعى ، التى اشتهرت فى الغورية ، فى وقته ، بجهاز العرائس من المفروشات والملبوسات :

بينى و بينك يا صهرى مشـــاحنة
يوم الزفاف ، فردوا دعـــوة الداعى
فـلا أريد عروساً من بناتـكم
إلا إذا جهزت من مخزن الراعى

« الأديب الفنان خالد ما خلد الفن ، والفن باق ما بقى الإنسان » .

محمود تيمور

تقاليد بيرم لشعراء العرب القدامى

لم يدع « بيرم » مجالا من مجالات النشاط الأدبي إلا أقحم نفسه فيه . ولعله كان يدلل بذلك على خبراته وكفاءته كأديب متمكن من مادته ، إن لم تكن حيويته الشاعرية هي التي كانت تدفع به إلى أن يفيض بكل ماتختزنه عبقريته

ومن بعض ماتناوله من ذلك محاكاة الشعراء القدامى فيما اشتهروا به من اختصاص ، كابن الرومى ، وابن الفارض ، والشريف الرضى ، وأبى العلاء المعرى ، وغيرهم

أما محاكاته لابن الرومى ، فالمثال عليها فى قطعة فكاهية كاريكاتورية نظامها بعنوان « ابن الرومى فى القرن العشرين » ، « صورة كاريكاتورية لأحد الباصقين » ! ويقول فى أولها :

أبى عبد الإله وقد جاسنا   من اللهو المحبب فى شئون
فرحبنا وأفسحنا مكانا   يليق بذلك الحبر السمين
فانذرنا بصوت بلغمى   كصوت الكف تعبث بالعجين
سمعنا عاخها منه فملنا   نحاذر بالأكف على البطون

.. الخ

ومن محاكاته لابن الفارض ، هذه القطعة المطعمة بالألفاظ البلدية من الشعر ، التى يعارض فيها قصيدته التى مطلعها

أنتم فروضى ونفلى   أنتم حديثى وشغلى

وهو يتهكم فيها على حال لاعبى القمار

أهل الكلوب ومالى عن الكلوب تخلى
قضيت فيه حياتى على سبيل التسلى
الناس تلعب يوما وكان لعبى تملى
كفى بجسمى دليلا وشعرى المتدلى
وبذلة ليس فيها من النظافة ملى
وجزمة بنت كلب منها ترى الناس رجلى
الأبعدية راحت وكل خلى وعجل
والبيت من بعد رهن رسا على كوتارللى
والأكل خبز بفجل لا بل ومن غير فجل
يامدعى وهو مثرى حب القمار اكتب لى
لو كنت تعشق حقا لكان شكلك شكلى
أنا الذى قد بقى لى يومين من غير أكل
هل من ريال لأمضى إلى الكلوب لعلى . . .

وحاكى الشريف الرضى، فى قصيدته التى مطلعها :

منازل العشب . لا حام ولا راع .
مضى الردى بطويل الرمح والباع

بهذه القطعة الفكهة ، متهكما بها على رجال الأمن :

حطوا الغفير على الدكان يحرسه
فباعه جملة لا بيع قطاع

جاء الحرامى له ليلا ، وفاولـه
على الذى فيه من مال وأبضاع
والصبح جاء إلى الدكان صاحبه
فلم يجد فيه غير السقف والقاع
قال المعاون شغل ليس نعرفه
فاللص لا يسرقن الراجل الواعى
وحرز الحفظ المكتوب صورته
نكال لص ونشال وقطاع
يا ابن اللئيمة ياشاويش بلدتنا
جعلتنا ضحكة الدنيا بإجماع
يا ابن التى غضبت من زوجها حسن
شيخ الطريق وراحت زافقت ساعى
الله يخرب بيتا أنت ساكنه
وبيت أمك يا بكر بن منـاع

أما تقليده لأبى العلاء المعرى ، فبمحاكاته لما التزمه أبو العلاء فى القافية حرفين أو أكثر ، وأسماه لزوم ما لا يلزم . وننوه بأنواع من هذا التقليد :

الإفلاس

أفلست حيناً لا أبث شكاية
حتى عرفت فضيلة الإفلاس

المفلسون ، هديت ، أكثر فطنة
لتعامل الإخوان والجلاس
ولقد يغم على الغنى صديقه
إذ لا يرى أبداً سوى محلاس

الغنى والفقير

خل الأنام ولا تأمل منافعهم
فالله قد خلق الإنسان مرزوقا
هم يأخذون نفيس الشيء إن طلبوا
وإن هموا وهبوا أعطوك خازوقا
ترى الغنى عيداً عنك مختبئاً
أما الفقير تراه فيك ملزوقا
كم جاءنى من فقير يشتكى سغباً
ومن غنى بطين جاء محزوقا

الفقير

سليمى لم يكن بعدى لصد أو غنى عنك
ولكن لم أكن ألقى بجيبى نصف إفرنك
ولا قرشاً به أشترى لعينى قطرة الزنك
كفى بالفقر والتلطيش مناعاً عن الهنك

عسى أن تصـل الشكوى لطلعت صاحب البنك
هو الحرب الذى أضحى بمصر هازم الضنك

النـاس

الأرض عندى كلها أرض فلا
باريسها تمتاز عن بيروتها
والناس فى نظرى سواء كلها
وشريفها ما امتاز عن عكروتها
ويغيظنى أنى رأيت جماعة
حملت لتعرفها الدنى بكروتها
ولقد ضحكت من الجبابرة التى
زلت بها الأقدام فى جبروتها

« إذا كان الأدب المكتوب بالفصحى مقصوراً على المثقفين ، ينعمون به ، فإن أدب « بيرم » يستمرئه هؤلاء وغيرهم من جمهرة الناس ، ويجدون فيه صدى لما يضطرب فى نفوسهم جميعاً من مشاعر وحوافز ، ومن آلام وآمال . فهو من هذه الوجهة أوسع مدى ، وأعم جدوى » .

محمود تيمور

تقليد بيرم لأسلوب شعراء عصره

تخيل « بيرم » فاجعة اليابان فى الزلزال الذى أطاح فيها بمدن بأ كملها ، وأن الشعراء فى مصر هبوا ليواسوا اليابان فى هذه الفاجعة ، فكتب على ألسنتهم محاكيا كل واحـد منهم بأسلوبه الشعرى الذى اشتهر به ، وهى براعة تسجل لعبقريته .

ويقول فى ذلك :

« ... أما الأمر الصعب فهو مجاراة حضرات الشعراء ، واستخراج (أرواحهم) من شعرهم . لسمو صناعتهم ، ووعورة مسالكها ونواحيها ، ولقلة ما يتكرمون به على الناس من نفثاتهم ، الا فى الحادث العظيم والخطب الجليل .... نظن أن فاجعة اليابان الكبرى قد أثارت من (أمخاخهم) المراكز التى ينبع منهـا الشعر ، فإذا قالوا شيئا فى هذه الزلزلة ، فهاك أقوالهم ترى فى كل منهـا صورة فريدة من الحسن والجمال » .

حافـــظ إبراهيم

بـلد الشمس ، أى خطب دهاها
فطـغى سفلهـا على أعـلاها

إيه يا مطلع الشموس لقـد أظلـ
ـمت ما بين نيـلة وضحاها

فى بلاد الميكادو ، قد صاح إسرا
فيـل بالأرض كى تدور رحاها

فوران ، فرجة ، كشف القشرة

عن ذوب نارها ولظاها

إحملى يا شموس ، بالله ، عن مصـ

ـر عزاء ورددى نجواها

خليل مطران

تقطعت الأوصال من عزمة الفتى

وما الخطب الا أن تقطع أوصال

عجبت وأرجاء السماء عريضة

عن الأرض أن يبقى على الأرض أثقال

ترى الناس لا يرجون رحمة ربهم

سوى فى سموات الإله إذا طالوا

تفجر صلصال الأديم وما درى

على علمه أن البرية صلصال

أفى كل يوم للسماء صواعق

وفى كل حين للبسيطة زلزال

أحمد رامى

فى رياض الهوى وتلك الجنان

خليانى فى سكرتى خليانى

واسقياني كئوس ذكر حبيبي
واغاظا ، والحفا على السكران
خفق القلب وهو دار حبيبي
ولهذا أخشى من الخفقان
أنت إن ما سألت عن خفق قلبي
لا تسل بعده عن اليابان.

محمد عبد المطلب

واها لربع قام يستبكى
متبعجر الجنبين منداك
قد أصبحت عرصاته جزراً
كاليمقموص ، بغير ماشك.
وترنحت أفنانه فزعاً
فغدا كقعب الفرصع الضنك
يا رب زلزلة مفجعة
ترمى جموع الناس فى الهلك.

مصطفى صادق الرافعى

ما للورى ؟ هلك الورى ، ضل الورى
أين الورى ؟ ذهب الورى كهباء.

والموت ، ليس الموت ، بل هو نفسه
يفنى فناء ، قبل كل فنـــاء
يا أمـة الشرق ، التى قد أنزلت
بين الطبيعة من ذوى العليـــاء
أجـدر بشعبك أن يعيـد فخاره
بين الأنام بهمـــة قعســـاء
إن كان فوق يد الطبيعـة من يد
ما خلتها غير اليـــد الصـفراء

عبد اللطيف النشـــار

وما الشعر إلا العـــلم لولا عيونه
تبيت تراعى نجمـه المتطـــاول
ترينـــا القوافى كل يوم زعانفـــا
يضـيق بهم ذرع الحليم المجـامل
ولم ألق إلا شـــاعراً غــير عالم
ينيـــه عليـه عالم غـــير قائل
فيطالع إيمـــانى ، وتخرج ملـتى
وأركـع حتى تسـتجير مفـاصلى
فيـدى إله الشـــعر غضبتـه التى
يرددها عنـــــه إله الزلازل

عبد الرحمن شكرى

عروق الضمير ، وحمى العيون ،
وموت الجبال ، وضحك الهوى
دعتنى إلى خوض موج الدهور
وللدهر موج رفيع الذرى
فتغمر دهراً جبال اليبيس
وتجزر آونة عن صفا
فبينا ترينا شعوباً علت
ترينا كذلك شعباً هوى

الحاج محمد الهراوى

زلزلة اليابان جاءت بلا أوان
كذاك طوكيو دمرت وأرضها تدهورت
أودت بيوكاهاما فأصبحت أكواما
وقد علا الاهيب كما علا النحيب
وهلك العباد لكن نجا الميكادو
وقد سمعنا الولولة من هول تلك الزلزلة

تقليد بيرم لأسلوب كتاب عصره

تناول « بيرم » ، أيضاً فريقاً من مشاهير الكتاب بالتقليد لأساليب كتاباتهم . وعرض لذلك ثلاث مرات في سنة ١٩٢١ بعنوان « صفات الكتاب في أقلامهم » . وفي سنة ١٩٢٣ بعنوان « كاريكاتير الكتاب » . وفي سنة ١٩٢٨ بعنوان « كتاب القطر في المفاوضات المصرية الإنجليزية .

وقدم لذلك بقلمه بهذه العبارة

« سبحان الخلاق العظيم القدير ، أن جعل لكل إنسان من هذه المليارات خلقاً ، لا يمكن أن يلتبس فيه الواحد بالآخر . وجعل في خلق بعض الناس معالم لا يكررها في غيرهم فمنهم من لا يدل عليه إلا أنفه ، ومنهم من لا تعرفه إلا بقفاه ، أو جبهته ، أو ذقنه . وذلك لخروج هذه الأعضاء عن الاعتدال الخلقي ، ومخالفتها شذوذاً في باقي الناس . وحين مسخ الله بعضهم فإن هذا المسخ نفسه يظهر في أفعالهم وكلامهم .

« وإليك مثلاً » بعض الكتاب يكتب المقال لا يكتبه سواه . ولا يمكن نسبته إلى غيره لالتصاقه بطبعه ، وموافقته لخلقه . وكما أنك تنظر إلى وجوه هؤلاء فيقع في نفسك منها معنى يدلك على صفة خاصة لهم ، فإنك تجد هذا في كلامهم ، فلو قرأت سطرا مما يكتبه أحدهم لعرفت صاحبه بمجرد وجدانك . . وإني مورد أمثلة من ذلك مع أسماء أصحابها فقارنها بكتابتهم ، وراجعني إذا شئت :

الدكتور طه حسين

هذه هي مقالة زعيم القوم ، والذي أخذ على نفسه زعامة القوم . ولم يتكلم متكلم القوم إلا لزعمه أن القوم هم الأمة . وأن الأمة إذا ذكرت فما هي إلا هؤلاء القوم

وهذه المقالة لا تدور إلا حول مقصد واحد . وهو أن هؤلاء القوم هم وحدهم الشعب . والذين يحمون الشعب . وهم وحدهم قادة الشعب وسادة الشعب . وليس عجيباً أن يزعم وليم أن الوفد خدم الأمة . وليس عجيباً أن يرغم وليم أن الوفد وكيل الأمة . وليس أيضاً لغير وليم أن يدعى ذلك . ويريد الوفد أن يقول إنه يستغنى عن البرلمان . وهو لايستغنى عن البرلمان . لأن البرلمان غير الوفد والوفد غير البرلمان . ونريد نحن أن نقول للقوم إنكم مخطئون فى عقيدتكم . ومخطئون فى ظنكم . ونقول إنهم لا يتحركون إلا للشر. و إذا قلنا إنهم لا يتحركون إلا للشر فذلك لأنا نعلم أنهم إذا تحركوا لا يتحركون إلا للشر . ومع ذلك فإنا منتظرون للسكامة التى يقولها سعد . ويقولها وليم . ويقولها النحاس . ويقولها عاطف .[1]

عباس محمود العقـاد

أخذنا بالقريب الميسور حينما أردنا أن نتخذ من المفاوضات مقياساً صحيحاً لنية الإنجليز . وإننا ولاريب فى حل من التماص من القيود التى نخشاها ، وينذر بشرها أولئك النفر الذين احتكروا الإخلاص لمصر ، ولم يبق فى القطر غيرهم يرهب جانبه وتنفذ كلمته . ماذا على مصر أن تتقدم خطوة إذا تقدمت مثلها إنجلترا.

إبراهيم عبد القادر المــازنى

الدكتاتوريا لا تستقر فى الأذهان إلا عند القائمين فى القياس مع الفارق . فإن سعدا بدكتاتوريته . ليس إلا دكتاتوراً ضد الأمة التى لا تستطيع معارضته طعنا فى هذه الدكتاتورية .

وقلد أيضاً كثيرين غير هؤلاء . الذين اكتفيا بهم .

---

(١) سعد زغلول . ووليم مكرم ومصطفى النحاس . وعاطف بركات أعضاء الوفد المصرى إذ ذاك .

مداعبات بيرم للشعراء

وابيرم التونسى مداعبات عدة ، « وقفشات » لأصدقائه من الشعراء والكتاب .

وهى ألوان من اللباقة الفذة ، والعبقرية ، التى تميز بها « بيرم » فى تحكمه فى ميدان الشعر والزجل ، وصياغة الكلام ؟

و نورد للقارئ بعضا منها .

هذا لون بارع من ألوان المداعبة ، تناول فيه « بيرم » قصيدة أمير الشعراء « أحمد شوقى » التى عنوانها « منفاى بالأندلس » ، والتى مطلعها :

يانائح الطلح أشباه عوادينـــــا
نأسى لواديك أم تأسى لوادينـــــا
ماذا قصصت علينا غير أن يـــدا
نالت جناحك جالت فى حواشـــينا
رمى بنا البين أيـكا غير سامـــرنا
أخا الغريب ، وظلا غير نادينـــــا
. . . . الخ .

يداعب « بيرم » أمير الشعراء » شوقى » فى هذه القصيدة ، بقوله :

يانائح الطلح أشبـــاه عوادينـــا
نأسى لواديك أم تأسى لوادينـــا

قال : يعنى « ياناثح الطلح » احنا وانت واحد فى الأحزان . حانعيط على أنفسنا والا عليك . . . والكلام ده ولا مؤاخذة زى كلام المعددين ، أو كلام النسوان لما يدخلوا عزا ميت غريب ، ويسمعوا الندابة ، يقوموا يفتكروا رخرين مصايبهم ، ويعيطوا .

فـ «ياناثح الطلح» دى تهويش فى الصنعة . لعل القصيدة تبقى قال زى بتاعة أبو العلا مثلا ، لما يقول .. ياساهر البرق . ويامفرد الغيث .

ماذا قصصت علينا غير أن يـــــدا

نالت جناحك جالت فى حواشـــــينا

يعنى ماقالتش حاجة جديدة الأيادى اللى قصصت جناحك ، أو نتفته ، أو عوجته ـ هى بذاتها دخلت فى بطننا ، وفضلت تلعب .

أمير الشعراء عايز يقول اللى قاله فى البيت الأول ، ويستحى طبعا يكرره زى ما هو . قام عمل للوادى جناح بالزور . وجاب له يد (ثالثة) وبعدها قال : جالت فيه مش عارف ليه • • يعنى ياوادى الطلح اتأذينا إحنا الأثنين . وودنك منين ؟ من هنا

ويداعبه مرة أخرى فى قصيدته « شكسبير » التى مطلعها :

أعلى الممالك ما كرسيه المــاء وما دعامته بالحق سمـــاء

* * *

ويداعب « شوقى » أيضا ، فيعارض له نشيده القومى الذى كان قد صاغه فى عام ١٩٢٤ ومنح له الجائزة الأولى ، والذى مطلعه :

بنى مصر مكانكمو تهيـــا فهيا مهدوا للملك هيـــا

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا   فليس بغيرها للعز ركن

. السخ

فيكتب فى مجلة الشباب إذ ذاك بعنوان « نشيدنا نحن » . .

بنى مصر مكانكمو تهيا   فهيا واحضروا بالفجل هيا

على الرفين ماجور وصحن   وطنجير وفيه الرز سخن
عليه لكم بوادى النيل سمن   وصلصتها إلى طلعت شويا

تطاول قرعنا لونا وسعرا   كلوه كله حلقا وقمرا
وناموا واملأوا الثقلين شخرا   يعم عصبة الأمم الرقيا

فماذا قولكم فى ذا الجمال   وعندى الكيف يؤخذ فى الهلال
وخدامى كصف من سحالى   يزق البربرى البربريا

وهذا لون آخر فى صورة أخرى ، يعارض بها المرحوم الشاعر الحاج « محمد الهراوى » ، الذى كانت بعض قصائده على الأسلوب الذى عارضه فيه بيرم .

يقول « بيرم »

وهل أنت القائل ؟

سيارة بالنفس   تسير لا بالفرس

فقال : نعم ، ولا فخر

فقلت : وهل قلت أيضا ؟ :

حقيبتي صنعتهـــا من الحرير الأبيض
وضعت فيها حاجتي حملتهـــا بمقبضي

فقال : وهذا أيضاً من قولنا البديع . فلم يبق عندى من شبهة فى أنه المراوى ضخم القذال والجبهة .

فقلت لأصحابه ،والمنتظرين اكتابه : سأسمعكم سحرا حلالا ، أنشده ارتجالا وإذا سمى صاحبهم هراءه شعراً ، فلا عجب إذا سميت قولى سحرا . ولكم أن تقترحوا الموضوع ، لتروا كيف يفيض الينبوع .. فأشار أحدهم إلى فتاة تسير ، ذات وجه منير ، وقال : صف هذه الآنسة ، الذاهبة إلى المدرسة . لتكون قد جريت معه فى ميدان واحد ، فنعرف أيكما المجيد الماجد .. فقلت :

أنظـــر إلى الفتاة سيـدة البنـــات
تسير فى الطـــريق بالأدب الحقيــــقى
فى يدها منــــديل مطرز جميــــــل
فستانهـــا حـــرير وشعرها غـــزير
فى وسطه شريط مركب بسيط
قوامهـــــا لطيف ودمهـــا خفيف
وجنتهـــا حمــــراء وعينها ســـــوداء
فى رجلهـــا حــذاء ملمع وضـــــاء
تمشى عـلى الرصيف فى غير ما تحريف
وخلفهـــــا غلام أباؤه خـــــدام
مشيته عجيبــــــة ويحمـــل الحقيبة

يمشي بعيدا عنها وليس يدنو منها

.... الخ

فقالوا والله لقد حذوت حذوه ، وسابته فضله عنوة . ولئن كان شعره لطيفا فشعرك ألطف. وإن كان شعرك سخيفا فشعره أسخف . فقلت كلاهما بالبين ، ولعنة الله على الإثنين . وإذا كان هذا ما يقوله الشعراء ، فليس لهم غير الصفع بالحذاء على الأقفاء .

من أشعر الشعراء

وهذه صورة من صور « بيرم » ، أو عز اليه بها شيطان خياله فداعب فيها أكبر مجموعة من أساطين الشعر الذين عرفوا فى عصره . متخيرا لكل واحد منهم الصفة التى تلصق به :

قال :

سئل أديب كبير من كبار الأدباتية ، يسكن سوق الليمون ، ويسرح جهة الحسينية ، من أشعر الشعراء فى مصر الفيحاء . فأجاب :

شوقى بك إذا شرب

والحاج محمد الهراوى إذا هرب .

وعبد القادر افندى المازنى إذا تعب .

وعباس افندى العقاد إن كان بأتب .

وخليل افندى مطران إن ظل فى حلب

وحافظ بك إبراهيم لو تمجلس على الكنب .

وأحمد أفندى نسيم فى دار الكتب .

وأحمد أفندى رامى إذا ولول وندب .

وعبد الرحمن افندى شكرى لو قرأ نهاية الأدب

والشيخ ابراهيم الدباغ كلما نظر إلى العنب .

والشيخ عبد المطلب إذا أرخى العدب .

وأحمد أفندى الكاشف إن سار على نهج ابراهيم بك العرب .

وأحمد أفندى محرم لو كان من أرباب الحزب

ومحمود أفندى عماد لو عرف السبب .

وحسن افندى الدرس لو ضم الركب من غير تعب

ومصطفى أفندى صادق الرافعى لو سمع فطرب

والشيخ الهمياوى لو خطى العتب .



أسرة « بيرم التونسى » وأحفاده .

بيرم فى الرثاء

و إذا كان الشاعر يعترف له بجدارته فى فن الشعر حين يجيد الرثاء ، الذى يعدونه ميزاناً لمقدرة الشاعر والأديب . فقد أثبت « بيرم التونسى » هذه الجدارة فى مراثيه المختلفة التى ننقل منها للقارئ بعض الصور البارعة .

ونبدأ بأولها ، وهى قطعة من الزجل النابض بالبلاغة والبيان ، يرثى بها أمير الشعراء المرحوم « أحمد شوقى » ، وقد ألقيت فى حفلة تأبينه التى أقامتها الجالية المصرية فى باريس .

ويقول فيها :

مكتوب لى فى الغيب مصيبة — والغيب عن العين خافى
تطول حياتى الكئيبة — وارثى أمير القوافى
يا شوقى ساعة رهيبة — ما المنايا توافى
عزيز على الشرق بات له — الشرق صارخ ولاطم
وقفت أرثيك بصوتى — والصوت على البعد خافت
موتك ، ويا ريته موتى — أنطق لسان كل ساكت
ومين ما يسمع خفوتى — فى ميتمك ما ناحت
النواحين فى البوادى — والمنشدين فى العواصم
شعوب محمد وعيسى — لهم مذاهب مذاهب
جامع يخالف كنيسة — وشيخ على عكس راهب

قروا صحـــايف نفيسة لك فيها وحى المواهب
الكل صلوا عليهـــا القبعـــات والعمايم

تسأل باريس عن غيابك وانت عـــارف جوابها
دى مكتبك فى شبابك وملعبك فى شبابهـــا
وصـــفتها فى كتابك يوم كنت تخشى خرابها
لو كان تقـــدر جميلك تنصب عليـــك المياتم

من جاك وزارك فى دارك وقال يا دار ابن هانى
يقول لقـــبرك مبارك إقبل يا قبر التهـــانى
يا قبر طـــال افتخارك على القبور والمبـــانى
فيك الأمير اللى ساهر فيـــك الأمير اللى نايم

وفى هذه القطعة الثانية يخاطب الفرعون « توت عنخ آمون » راثياً ، وكأنه يتحدى برثائه له ما نظمه عنه الشعراء ، وفى طليعتهم أميرهم « شوقى » الذى رثى هذا الفرعون بأكثر من قصيدة من روائع الشعر

ويقول « بيرم » بعنوان « توت عنخ آمون » :

من عهد ما كفنوك فى القبر يا فرعون
داست بلادك ملل من كل شكل ولون
وخلصوا منا تار موسى وتار هارون
وبعد جور الزمان واللى حكم فينا
ظهرت لما بقالك فى المنامة قرون

متش عيب عليك تستخبي نصف مليون حول
وكل من جه بلادك يسأل أو الهول
لا يبوح بسرك لا بمشـــاورة ولا بالقول
وجا الزمان اللى بيلاقوا المناجم فيه
عتر عليك لورد بيفتش على البترول

فى مصر كنت الملك لك جيش ولك حامية
وأمة غير أمتك ما تزرع الباميـــــــــة
ودولة غير دولتك ما تعمل الموميـــــــــة
ولما خشـــــــوا عليك المقبرة يلاقوك
نايم مفتح . ولــكن فى بلد عامية

ثم يرثى « بيرم » نابغة الأغانى والألحان المرحوم الأستاذ « سيد درويش » :

من غيابك يوم وداعى	كنت با كتب لك عتاب
وانت لى مخلص وداعى	أنتظر منـــك جواب
شفت اسمك فى المناعى	واللقا يوم المعـــاد
لما حظى كان وجودك	خيبت حظى القبـــور
واتمحى ميعاد صـــعودك	والتجـــــــلى والسرور
وانت يا ســـيد وعودك	المصـــــور فى الفؤاد
أنا أبكى لاجل ـــنك	واندب العمـــر الطويل
واسهر الليل لاجل فنك	فى المعازى والعويل
واسأل القيثارة عنـــك	يا للى أنطقت الجمـــاد
إن خلت منك أماكن	فيهـــا أسمع لك حنين

إنت جوه القلب ساكن   إستمع منى الأنين
لك فى قلبى دق لكن   دقة النـــار والزناد
مصر ما تميل والله بعدك   للحسينى والحجـــاز
والعراق من بعد بعدك   يتحرق راخـــر بجاز
إنت فى الفردوس لوحدك   والمصايب عا البـــلاد
أنا إن ســالت دموعى   كان مرادى أكون فداك
والا هبت نار ضـلوعى   أفتكـر أوقات هواك
وافتكـر ساعة رجوعى   لما اشوف نارك رماد

ويرثى الطيارين المصريين « فؤاد حجاج » وزميله « دوس » الذين سقطت بهما الطائرة الأولى التى ركباها من لندن إلى القاهرة ، وكانا أول طليعة لفريق الطيران المصرى :

البحر ماج بالسفين حتى غلب ريحنـــا   والجـــو أهو ماج
نجن فوق السـحاب تلعب بأرواحنـــا   طـايرين فى أبراج
باب السما ، وانفتح ، والنـاس بتجرحنا   فين دوس وحجاج

فين دوس وحجاج ، قالوا لى فى الطريق جايين   ركلك على الصـــبر
طايرين فى أبراج وخاطرك يتجبر يا حزين   يا طالب الصـــبر
والجو أهو ماج وليه حجاج ودوس داخلين   يتحطوا فى القـــبر

يتحطوا فى القـــبر هاويين من أعالى الريح   الريح دا غـــدار
يا طالب الصبر قدامك منــاك فى ضريح   الموت ما هوش عار
ركلك على الصبر ، دول ماتوا ، وهم مجاريح   صابرين على النـار

على الأرغول



وهذا نوع من الأدب الشعبي ، انفرد به « بيرم » فى استخدام أسلوبه لعلاج موضوع من الموضوعات الهامة . بعد أن كان الشائع فى هذا النوع أن يتناقله الناس ألواناً من الأغانى الشعبية فى الغرام والهيام ، والحنين والشوق

كتب بهذا الأسلوب كثيرون قبل « بيرم » بل كان الناس من رواد المقاهى ، من منذ قرن من الزمان ، يقضون سهراتهم فى الاستماع إلى عازف الأرغول ، وهو يشنفهم بمثل هذه الأهازيج .

وقد ورد فى مجلة كان اسمها « الأرغول » كثير من أشباه الأسلوب الذى

تناول به « بيرم » بمصر لحاته ، وقد ظهرت الأرغول فى أول القرن العشرين ، ثم اختفت

ونستمع إلى « بيرم » فى نظمه « على الأرغول » إلى قطعتين نوردهما على سبيل المثال من كثيرات غيرهما

الأولى عن الاستعمار فى شتى صوره فى بلاد الشرق .

والثانية : تصوير لحالة « بيرم » فى المنفى ، بعد أن أخرج من مصر . وقد كتبها فى نفيه الثانى ، ويلمح فيها بالعتاب الرقيق ، ويشير إلى كفايته فى فن الأدب ، حتى مثل نفسه حقا بموليير الشاعر الفرنسى الساخر

الاســــــتعمار

الأولة آه

والثانية آه ...

والثالثة آه ...

الأولة . شطبت تونس من الإسلام

والثانية . تحكم بلاد الهند والأهرام

والثالثة . حطت على حكم العراق والشام

الأولة . شطبت تونس من الإسلام . وجزاير

والثانية . تحكم بلاد الهند والأهرام . بأشاير

والثالثة . حطت على حكم العراق والشام . بذخاير

الأولة . شطبت تونس من الإسلام. وجزاير . طواها اليمن .

والثانية . تحكم بلاد الهند والأهرام . بأشاير . وغمزة عين .

والثالثة . حطت على حكم العراق والشام . بذخاير وطيارتين .

الأولة . لما كل المسلمين صارت . خدم وعبيد.

والثانية . حطوا بناتهم قشلاقات فارت بنار وحديد .

والثالثة . أسعارنا فى سوق الغنم بارت . نهار العيد .

الأولة . أمة خايبة والتاريخ معلوم

والثانية . جات ضربة صايبة . من بلاد الروم .

والثالثة . قول جاتنا نايبة . والكلام مفهوم .

الأولة آه .. والثانية آه .. والثالثة آه

أنين وعتاب

الأولة آه .

والثانية آه .

والثالثة آه .

الأولة : مصر . قالوا تونسى . ونفونى .

والثانية : تونس . وفيها الأهل . جحدونى

والثالثة : باريس . وفى باريس . جهلونى .

الأولة : مصر . قالوا تونسى . ونفونى . جزاة الخير .

والثانية : تونس . وفيها الأهل . جحدونى . وحتى الغير

والثالثة : باريس . وفى باريس . جهلونى . وانا موليير .

الأولة : مصر . قالوا تونسى . ونفونى . جزاة الخير . و إحسانى .

والثانية : تونس . وفيها الأهل . جحدونى . وحتى النير . ماصافانى .

والثالثة : باريس . وفى باريس . جهلونى . وانا موليير . فى زمانى

الأولة : شر بتنى من فراقها كاس . بمرارة .

والثانية : آه فرجتنى عالجمال ينداس . ياخسارة .

والثالثة : ياناس ياريتنى كان لى فيها ناس . و إدارة .

الأولة آه . . والثانية آه . . والثالثة آه . .

الأولة : اشتكيها للى أجرى النيل .

والثانية : دمعى عليها غرق الباستيل .

والثالثة : لطشت فيها ممثل وذليل .

الأولة آه . . والثانية آه . . والثالثة آه . .

« قد اكتملت للأستاذ « محمود بيرم التونسى » موهبة ودربة فى التعبير بالعامية عن استجابته للحياة من حوله . فكانت آثاره فناً رفيعاً من الأدب ، فيه لذة و إمتاع » .

محمود تيمور

على الربابة



وهذا أيضاً نوع آخر مما اختاره « بيرم » للتعبير عن خوالج نفسه فيما يختزنه من صور الاصلاح . وقد وضع عنوانه « على الربابة »، ويجارى به ذلك الأسلوب الطريف من الأدب الشعبي ، فى الأقوال التى يصوغها « جماعة القوالين » كما يعرفهم أهل الريف ، ويشدو بها عازف الربابة .

ومنها هذه القطعة بعنوان « الرياضة » ، وهى على غرار أشعار الحكمة المعروفة :

اللى الزمان رباه دا يصبح جامـــد

واللى الغرام ســـواه ، دا يصبح سايح

ياما فى ســواد الليل شفت مصايب

وجيت بياض الصبح أكتب نصـــايح

ومن يبوح لك يوم بسر ضمـــيره

حاسب تكون مثـــله بسرك بايح

الناس رأيتها اليوم ، من ديب عاوى

قارص عليه الجـــوع ، ومن كلب نابح

أقعد فى ركن البيت إن كنت قاعـــد

وروح على الأمـوات إن كنت رايح

ولا تقبـــل الإحسان من ابن لئيمة

يجعل من الإحســان سبب للفضايح

ولا تعمـــل المعروف فى غير ابن جنسك

النيـل يروح ما يبان فى بحر مالـــح

دا عيب على الأجاويد يدوس فى حمـــاهم

قاطع طريق نهـــاب ، ويطلع رابح

وعيب على المقـــاديم تنفص جيوبهم

لصـــوص غجر ، والبنك فى مصر فاتح

وعيب على البهوات يوطوا روسهم

للى دخل الامتيازات يناطح

خشت لها الأندال تمص دمانا

ولا فيش طبيب ما هو يسد الجرايح

وجات أمم فواتير تسن نيابها

شبعت، وبشمت. من طبيخنا الفايح

يا أمة الأهرام شدى عزايمك

دانتى ميزانك فى الأولمبيك راجح

وهذه القطعة بعنوان « المنبوذين »، ويصور بها حال البلاد فى أيام العهد البائد، وما كان سائداً فيها من عبث وفوضى، مما أصلحته الثورة فى عهدها الحاضر.

المنبوذين

يا منبوذين الهند كفوا دموعكم

دى مصر فيها المنبوذين ملايين

من منبوذين حافيين يلموا سبارس

ومنبوذين ما سحين جزم دايرين

ومنبوذين شبان معاهم شهايد

حرم عليهم يدخلوا الدواوين

ومنبوذين سوان، وضابط مباحث

داير وراهم من كمين لكمين

ومنبوذين فى البيت عشـــــــاهم فلافل

فى العيـد ، وأيام السنـــــــة جايعين

يا غاندى يكفى الصـــوم تعال بلادنا

شوف اللى فيهـــــــا من زمان صايمين

إنت لقيت الملـــــح ، أما الكنانة

الملح مـــــــيرى ، واللى يبهب ميب

لو جيت فى وسط القــوم تبقى مطاوع

ولا الزناتى كاســـــر الكاســـرين

ياريت تعلمنـا صناعة المغـــــازل

ما احـــــلى المغازل والمنازل طيب

بلد دهبها انشال ، ودهبـــــان حالها ،

ولســه فيهـــــــا الانجليز قاعـــدين

وقطعة أخرى بعنوان «الشهادة» ،وضعها على لسان فتى من الخائبين . يركز أحلامه على الوظيفة التى لاينالها ، مع آمال « بيرم » فى تحقيق النهضة الصناعية التى تقضى على عطل الشبان .

الشهـادة

يقول الفتى المصرى بتاع المـــدارس

العـــــايق ، الكابتن ، بتـــاع التيم

يامين يبــــادلنى ، و ياخــــد شهادتى

بجلبيـــــة ، والا بالطـــو قـــديم

واخد شهادتين ، ابتدائى وثانوى
ومش عارف اكسب ولا ملـيم
تسع سنين فى المحط والشقا
ياريت أهلى كانوا ربوا بهيم
والله البهيم يولد ، وينباع ، ويندبح
ولا يلزمه غير حزمة البرسيم
باع لى أبويه النص بيت اللى حيلته
وأمى رخصرة باعت المباريم
سوق الوظايف فين ، يا طاهرة يا سيدة
شبعت دوخة ، وا كتفيت تلطيم
حافظ بروجرام الصياعة الموضب
توضيب مهندس متخبى لئيم
يطلع التلميذ بين البنت والولد
لا هو صاحب صنعة ولا هو غشيم
ابعت لنا الفباريك إلهى من السما
هيه اللى تغنى فقرنا يا كريم

فوازير رمضان

وبرع بيرم فى نظم نوع «الفوازير» بالزجل، وكان موفقاً فى صياغة «الفزورة» وإحاطة المقصود بها بسياج من التمويه اللطيف فى حبكه وتكوينه. وكانت لباقة من « بيرم » لا تجارى، بحيث أنه بعد أن أذيع له الكثير من هذه الفوازير، وبالأخص فى شهور رمضان المباركة، أصبح من المتعذر لغيره، بعد موته، أن يمارس هذا النوع، بخفة الروح والمقدرة التى انطبع بها أسلوب « بيرم » .

وننقل بعض ألوان من هذه الفوازير :

رمضان بيقـــول لى ... واحـــدة تلاية

قدامى أمـــيرة ... ومصيبة ورايـــا

تمـــدحنى فى وشى ... وتقول لى يا آيـة

وعيونى الفارغــــة ... تعملهـــا رواية

والمثـــل الساير ... تقولوه ويايــه

والمثل السائر هو

« فى الوش مراية وفى القفا سلاية »

* * *

بهية قالت لجوزها عيد وادى الثانى

توعدنى بالكحك وتخالف وتجفانى

راح النحـــاس مبيض حلل وصوانى

وشحت منخل مـــع غربال آه يانى

وجم يساعدونى أحبابى وجـــــيرانى

وانت لا السمن جبته ولا الدقيق جانى

والمثل السابر هو

« عشمتنى بالحلق خرمت أنا ودانى »

* * *

أم بهية جوزها ديـــــــاب

أهمـــــــــل نفسه وهوه شباب

وبقت عيشته عذاب فى عذاب

لا نفع بنـــــــا ولا بواب

فـكر يبقى مس الـكتاب

رمضان شافه ماسك له كتاب

قال كان م الأول يادياب

والمثل السابر :

« بعد ماشاب ودوه الـكتاب »

* * *

يستعجب عمك رمضان ع الست الحاجة أم هلال

وصاحبنا هــلال المسكين مارزقش لا شكل ولا جمال

خطبت له وشافت جمالات وتقوم ولا يعجبها الحـال
يابختك بامك ياهـلال

والمثل السـاير:

« القرد فى عين أمه غزال »

* * *

رقية جالها ثلاث عرسان
واحد بيتباهى بجمـاله
والثـانى طيب وف حاله
والثالث اللى رضيت بـه
جذبهـا بس بأمواله
سنتين ثلاثة راح المـال
وأهل زمان إيه قالوا

والمثل الساير:

«ياللى خاطب القرد ناله يروح المال
ويبقى القرد على حاله »

* * *

وهذا لون آخر من فوازير « بيرم » ، ننقل منه هذه الأمثلة :

أنا شفت عروسة جميـلة وطويلة طويـلة طويلة
حلاوتها أمـا تتطوق تلاتين ليـلة وتتزوق
بعقود لولى وكردان تلاتـين ليلة رمضان
« وحل الفزورة هو المئذنة»

شهر شهير أشهر من نار   كله فسح ، كله أسفار
كله جمال ، كله أزهار   تتمناه كل الشبـــان
بس يـاعم مالهشى أوان   لا هو نوفـبر ، ولا هو
ديسمبر ، ولاهو يناير ، ولا   فبراير،ولاشعبان،ولارمضان

« وحل الفزورة هو شهر العسل »

* * *

ولون ثالث ، ننقل منه :

فاكهة كبيرة قـد السلة   بيها نحلى ، و بيها نتسلى
اللى يدوقهــــا ينسى القلة

« وحل الفزورة هو : البطيخة »

* * *

مسفرته ولابسة طرطور   كاوتش ، يسقيها الميـــة
أغمزها بعنيه تبـــكى   والدمع يـــنزل فى عنيه

« وحل الفزورة هو : القطارة »

المقامات الشعبية

حاكى « بيرم » النمط الذى كان ابتدعه الشاعران « بديع الزمان الهمزانى »، و «الحريرى» ، فيما سمياه المقامات ، وهو ذلك الأسلوب من الأدب المسجوع المرصع بالشعر بيد أن « بيرم » ، فى مقاماته . يتميز بخفة الروح ، مع النكتة البارعة، والفكاهة اللطيفة ، مستخدماً الألفاظ المثيرة فى تصوير عجيب يعز على غيره أن يبلغ غايته ناهيك بمقدرته الفائقة فى صياغة الشعر الرصين ، بشتى أنغامه التى تتمشى مع الموضوع .

وقد كتب « بيرم » فى هذا النوع من الأدب حوالى المائتين من هذه المقامات . فى شتى المناسبات ، وهى بلا شك ثروة كبيرة للأدب العربى والأدب الشعبى معاً

ونذكر منها ، على سبيل المثال

المقامة : القرشصاغية . والفلوسية . والجنيهاتية . والرغيفية . والصندوتشية . والعيشية والاقتصادية والشوالية . والبيجامية ، والحجابية والأسفنجية . والليلية . والسفورية . والسرية . والشتائية . والبربرية . والشعرية والريفية . والصندوقية . والكانونية . والزيتية . والبريدية . والأفوكاتية . والهراوية . والأفندية والمنبرية . والفلسفية ، والشيطانية . والنحاسية . والرأسية . والترموائية . والترزية . والفلوكية . واللومانية . والمنصورية . والحربية . والوطنية . والتحريرية . والبرلمانية . والطابعية . والفرنجية . والأمريكانية . الخ ...

وننقل للقارىء لوناً من هذا النوع من الأدب :

المقـــامة الشعرية

حدث الحاذق بن قمذان . قال :

جلسنا دستة من المشايخ البهاليل ، فى جهة على شاطىء النيل . وكلنا فصيح شاعر ، وأديب واعر . عارف بالاستعارةوالتشبيه ، والإطلاق والتوجيه .والترديد والتوشيح ، والتفويف والترصيع .وحفظ الصرف والنحو،بلا خطأ أوغلتأو سهو .

فقـال أحدنا :

إن الجلوس على شطوط الأنهار ، والاستظلال بغصون الأشجار ، شيءيفتق الأذهان والأفـكار . فليقل كل منا ما يقدر عليه ، وهذا الحازق بن قمذان نحتـكم إليه .

فقال آخر ، وكان أنشطنا همة ، وأ كبرنا عمة :

ما بالنا أيها المشايخ جامدين ، و بأفـكار القدماء متمسكين . مثالنا وللعبسى والجعدى ، والقيسى والسعدى . وأين نحن من ذاك العصر ، وأين صنعاء والحيرة من الإسكندرية ومصر . و إذا وصف العرب الناقة والجمل فما لنا لا نصف الوابور والترام . و إن وصفوا السماء والأمطار ، فلنصف نحن الـكهرباء والبخار . و بهذا ترقى مدارك الشعب ، و يسهل على الناشئة كل صعب . فإن رقى الأمم موكول إلى ذوى العمم .

فقال الثالث : نعم و إن ما أصابنا من العذاب الأليم ، لم يـكن إلا من إتباعنـا للقديم .

وقال الرابع نحو ما قالوا . وكال الخامس مثل ما كالوا .

فاتفقوا بالإجماع ، على أن يصف كل منهم ما يعجبه من اختراع . فجلسوا يحـكون الجبـاه ، و يعضون الشفاه . فـكان بعضهم يتمتم و يـكتب ، والآخر

يلحس ويشطب . . فلما فرغوا أعطانى أحدهم ورقته ، وكان وجهه كقعر الوابور، وشفته كحرف الماجور • ولما كان يظن نفسه أحد الأعلام العظام ، قال يصف الترام :

إن ارتكانا على لوح من الخشب
لم يبق شخصا من الأشخاص فى تعب
لله هـذا ترام حين تركبه
تستغن حقا عن الأفراس والنجب
إن الترام عجيب حين يخرج من
شبرا ، فكالوت ، فالميدان . فالعتب

فوقعت تحتها :

من كان همته تكبير عمته
فحسبه صنعة الافتاء لا الأدب
قبح الله شعرك ، وأرخص سعرك ...

وتقدم الثانى ، وهو قدم بغيض ، ولكنه ينتحل القريض ، ولما كان بلحية بهائية ، قال يصف الأنوار الكهربائية :

بشرى ، فقد وصف الأستاذ ماقدرا
شمس الكواكب فى أفق العلا طلعا
تضىء فى الليل والعداد يحسبها
الساعتان بمليم فواعجبها

لهـــــا كذلك زر شأنه عجب

ضيقها الزر طرا كلما انفتحـــــا

فوقعت تحتها

لو أن ذقنك هكـــــذا ، نتفت

ولو قذا لك هـــــــكذا صفعا

وإن مفتشا هذه قوافيه ، فصبوا الرصاص فى فيه .

وتقدم الثالث : وهو ذو وجه مستدير كالرغيف ، ولحية حمراء كالليف ، يعتلى كل منبر ، ويحمل معه المنزول والعنبر . ولما كان مكثرا للمشى والطواف ، قال يصف التلغراف :

على الإســـــلام والدنيا الســـــــلام

إذا بالسلك ينتقـــل الـــــــكلام

أرى الافرنج قـــــد قامت ونمنا

وقبــلا طالمــــا قمنـــــا وناموا

ألا يا قـــوم هبـــوا من رقـــاد

فمصر اليــــوم يسمعهـــا الشـــآم

فوقعت تحتها :

ألا قبحت من شيـــــخ خطيـــــب

يضـــم مراق معــــدته الحـــزام

إن تعنجهت فلست غربيا، وإن تفلسفت فلسفت عصرياً.

ثم تقدم الرابع ، وهو شاعر مطبوع بأقبح طابع . له أسلوب عنترى ، وألفاظ أخنفها كالحجر الفنترى . فأما هو فإنه كالبربرى . وقال يصف الباخرة :

الفـــلك فـــوق فقاقـــع البحـــر
عجبا بغـــير صنيجـــة تجـــرى
متشنقعـــاً فى الـــيم تدفعـــه
مجـــدولة الأطـــــراف فى القعـــر
يتنفـــس الصعـــداء تحسبـــــه
متقعرطـــاً من شـــــدة الوقر

فوقعت تحتها :

فاذا صعـــــدت عليه منفـــــرداً
أغرقتـــه من ذلك الشعـــــر
أنت ياهذا ناعق أو ناعر ، ولست بشاعر

ثم تقدم الخامس . وهو شيخ نصفه قفا ، والنصف اختفى . ولما كان من منفلوط أو سمالوط ، قال يصف التليفون والخيوط:

يا يراعى أسعـــد يميـــنى وانظم
فى التليفون هـــذه الأشعارا
وتوخ الســـهل المنيـــع وحاذر
أن ترى يا يراعنا مهـــذارا
هـــذه آلـــة التـــكلم دقت
بتفن وحرڪت أوتـــارا

فوقعت تحتها :

لو نظمت الدموع من عبرات الـ

شعر دراً ما كنت إلا حمارا

الشهرة إن كانت قبيحة ، فليس وراءها إلا الفضيحة .

قالوا : قد عبتنا جميعاً ، وهجوتنا هجواً شنيعاً فأسمعنا أشعارك ، وأرنا ذوقك واختيارك .

فقلت : ليس عندى إلا ما علمتم ، تسمعونه كلما نظمتم ، فإذا بعدتم بعدنا ، وإن عدتم عدنا .

إن التعبير بالعامية فن ، كالتعبير بالفصحى سواء بسواء ، فليس كل ناطق بالعامية ، أو محسن للعربية مستطيع أن يكتب أدباً فى تعبير فنى ، وكما أن الكتابة بالفصحى موهبة ودربة كذلك الكتابة بالعامية . ولا بد لكل منهما أن تتوافر لها خصائص التأثير والإبلاغ .

وطبيعى أن تتفاوت الدرجة فيهما بين كاتب وكاتب ، حتى يسمو التعبير إلى ذروة الروعة والإبداع .

محمود تيمور

السيد ومراته فى باريس

هذا عنوان لكتاب أخرجه المرحوم « بيرم » باللغة العامية . وهو تخيل لقصة رجل من أولاد البلد ، صحب امرأته « بنت البلد » إلى باريس . فدارت بينهما هناك أحاديث الوقائع التى تناولها « بيرم » بتحليله العجيب ، ومقارناته بين الحياتين فى القاهرة و باريس ، فى ذلك العهد الذى وقعت فيه الأحداث .
وشحن « بيرم » قصته البلدية هذه بالأحداث المثيرة ، المطعمة بالفكاهة والتصوير الدقيق ، الذى هو أقرب إلى الكاريكاتور البارع . مع تسجيل الواقعية بشجاعة وجرأة ، فى أسلوب مسلسل شجى العبارة لطيف السرد .

وقد طبع هذا الكتاب مرتين . وكتب على غلاف الطبعة الثانية : « هذا الكتاب مقرر بجامعة اللغات الشرقية فى برلين لدراسة اللهجة العامية المصرية» . و إذا علمنا هذا ، أدركنا كيف قدرت الأوساط العلمية هذا الكتاب بأسلوبه العامى المتميز ، حتى أصبح موضع عناية الجامعات . على أن جامعة اللغات الشرقية ببرلين ليست وحدها التى قررته للدراسة ، فقد قرر أيضاً فى جامعة السربون بباريس وجامعة موسكو .

ويقع هذا الكتاب فى ٩٦ صفحة من القطع المتوسط ، وكان يباع بعشرة مليمات .

ولبيرم كتاب آخر فى مثل غرضه وموضوعه ، ولكن اسمه« السيد ومراته فى مصر » .

صور منتقاة من كتاب السيد ومراته فى باريس

(النظـــافة)

— كدهـــو ياراجل تقلعنى ملايتى و برقعى وتخلينى أمشى فى السكة عريانة ؟

— عايزة تمشى فى باريس بالملاية والبرقع عشان تلمى علينـا الناس؟ ما كنا أحسن نجيب معانا قرد وحمار لاجل تــكمل الفرجة . إنتى كده وانتى عريانة تبقى مستورة أكتر . واحدة فى وسط ٤ مليون . ما حدش عارفك إن كنتى من مصر والا من قبرص .

— وحاتروح على فين دلوقت ؟

— عالهوكاندة . نتغدى و بعدين نروح عالبيت اللى أجرناه . بس من فضلك ما تمشيش تهزى لحمك زى ما بتعملوا فى السد البرانى . إمشى ضوغرى زى خلق الله اللى قدامك .

— البلد ياخويا نضيفة قوى شوف دى الشوارع الحلوة تلحس من عليها العسل.

— الشوارع نضيفة لأن الشعب نضيف . ولما يبقى الشعب وسخ ، وكل واحد يرمى فى الأرض اللى يقدره عليه ربنا من قشر خس ، وزعازيع قصب ، وورقة فيها قشر سمك ، الشارع يبقى مزبلة واديكى عارفة الـكناسين طول النهار يعموا عيون الناس بالمــكانس ولا فيش فايدة . الخيرات برضه نازلة زى المطر .

— خيرات ؟

— أيوه . ما هى الـكناسة عندنا علامة الخير . كل من طبخت لها طبخة يجى فى عز الضهر الاحمر وترمى كناستها من رابع دور تحدث بنعمة الله . يعنى اتفرجوا ياناس على ريش الوزة اللى دبحناها . وعلى قشر البدنجان اللى لسه طرفه.

وعلى علب السردين اللى جابها الأفندى . لأ والجماعة اللى قاعدين فى الدكاكين رخرين ، الله عليهم لما الواحد مهم يتغدى قراميط وفجل و برتقان . ويروح مكعبر الورقة و يطوحها فى الشارع على آخر إيده . تيجى فى صدغ واحد ماشى. يا يحمد ربنا و يسكت . يا يتلعن أبوه .

ويتحدث عن (البطاقات الشخصية)

وقد تنبأ بها من سنة ١٩٢٧

تقول الست لزوجها السيد :

— ورقتك أهه ! إوعى تضيعها . مانيش عارفه كان لزومها إيه . داهية تغلبهم زى ما بيغلبوا الناس .

— دى يا ولية ورقة « الشخصية » ، لازم تبقى مع الفرنساوى والأجنبى ، ومن غيرها مايقدرش حد يمشى فى البلد ، ولا يشتغل ولا يعمل أى حاجة .

— حكم !..

— المسألة ما هيش داخلة مخك ؟

— أبداً والنبى . إيه اللى كل واحد لازم يطلع ورقة شخصية . هو احنا مشبوهين ؟

— إفرضى إن البوليس بيفتش على واحدة حرامية . وعنده أوصافها . إنها سمينة وشعرها إسود مكركت وعينيها سود واسعين و بشلاضيم زيك . وعترفيكى. مش يروح قابض عليكى ؟

— أنا ؟

— إذا كانت أوصافك زى الأوصاف اللى عنده يقبض عليكى وعلى أبوكى.

لكن أما تكونى معاكى الورقة دى اللى عاطياهالك الحكومة، وفيها إسمك وصورتك و بلدك فى الحال يعرف حقيقتك . ولا يعدش إيده عليكى .

— قلت لى .

— آه أمال هوه إيه . وافرضى إنك اتمسيتى فى الليل . ومشيتى من حتة وحشة . وافتكر البوليس إنك واحدة من إياهم . إيه ينجيكى إلا الورقة دى ؟ بلاش كده . إذا أمك بعتت لك حوالة مالية على البوستة والا عا البنك من غير الورقة دى ما تعرفيش تقبضيها ولو تجيبى ميت ألف شاهد يشهدوا إنك السيدة بنت اسماعيل عبد الرحمن الشهير بالزنخ . وانا راخر إذا كان ما معاييش ورقة زى دى ما حدش يشغلنى

— دى والنبى مضايقة . دى بس عشان ياخدوا عشرين فرنك من كل واحد . والرجل اللى يشتغل راخر يبقى مشبوه ؟

— إفرضى إن واحد سرق سرقة أو قتل واحد . وعايز يزوغ فى فابريكة متطرفة . أو يشتغل . و ياكل و يشرب و ينبسط . والبوليس داير يفتش عليه ليل ونهار . لأن اللى شغلوه مش عارفين حقيقته

— على شان كده بقى !

— كده وغير كده . يلزم كل واحد على وجه الأرض يكون معروف مين هوه . مش هرجلة ، متشردين من كل ملة وجنس ، وحرامية من كل بلد، وهيصة ما حدش عارف لها أول من آخر

لو كانت حكومتنا تعمل الحكاية دى تستريح وتريح خلق الله . أولا ما تتعبش هيه فى التفتيش عن اللى عايزاه وثانياً تريح النـــاس من البيات فى الكركونات بالليلتين والتلاتة . على ما ييجى شيخ الحارة و يشهد إن ده إبراهيم

دسوقى إبراهيم وقاطن بحارة البجامون . و يلدع شيخ الحارة عشرة صاغ . يبقى الأحسن كل واحد وواحدة عندنا يدفعوا العشرة صاغ للحكومة مرة واحدة فى السنة بدل ما يدفعوها لشيخ الحارة أربع مرات فى السنة .

— واربع مرات فى السنة ليه ؟

— هوه حد عندنا يستغنى عن دخول الكراكون . إذا ما دخلش متهم يدخل شاهد أو مشبوه ، أو مجرور فى عركة مالوش فيها يد ، أو بأى سبب آخر . ودائماً شيخ الحارة هوه اللى يضمنه و يطلعه .

(جهل المرأة وطمعها)

— طيب حا اسألك سؤال .

— إسأل .

— أخوكى بيشتغل فين ؟

— فى الجمرك .

— عال . بيشتغل إيه فى الجمرك .

— أنا عارفه .

— أهو ده اللى أنا نابح حسى عليه . تعرفوا الحاجة بالجملة ، ولا تعرفوهاش بالتفصيل . يعنى ما تتيش فاهمة إن كان فى الجمرك كشاف ، والا فتاح ، والا كاتب قسايم ، والامتمن والا بلا أزرق . كنت أشوف حماته راخر مسكين تقف تشوح له بأديها وتقول له . جبت لها إيه نابها منك إيه ؟ الموظفين فى الحكومة كلهم عدلين ومريحين نسوانهم اشمعنى انت اللى خايب ؟ وتفضل تردحاله طول الليل وتخلى له البيت زى المورستان . لغاية ما يضطر و يختاس مبلغ

من العهدة اللى فى إيده • و يجيب لبنتها الصيغة اللازمة والمنتوهات اللازمة • متهيأ لى إنكم عاملين الجواز ده شغله تجيب فلوس و بس • والجوز فى نظركم زبون ملزوم يقدم ثمن البربشة والبصبصة والمجانسة • خلى بالك الحاجات دى هنا بلاش •

— أنا ساكته أهو اتكلم زى ما يعجبك •

(عـــدم التدبير)

— من الساعة ٩ صباحاً ماتلاقيش فى أوربا كلها واحـــد نايم فى الفرش إلا اللى فى المستشفيات •

وعلى كده استعمرونا وشغلونا فعلة• ندحرج لهم براميل البيرة ونشيل بالات القطن وما أشبهه•

— جبتى قد إيه كبدة ؟

— كيلو بعشرة فرنك •

— لو كانوا العشرة فرنك فى إيد بنت باريسية كانت خلت بهم السفرة تضرب تقلب من الأصناف اللى عليها• يعنى كان نص كيلو كفاية . وخرشوفتين لطاف ينسلقوا و يتاكلوا بالزيت والفلفل الأسود .

وخصاية بنسكلة تنحط منفوشة جميلة فى طبق كبير • غيرما تلاقى هنـــا حتة جبنة • وهنا حتة زبدة • وهنا شوية فاكهة • وفى الوسط باقة أزهار إن ما كانش عاجبك• • تروحى تجيبى بالعشرة فرنك كلهم كبدة ، جاكى وجع فى كبدك •

— الله يسامحك ياسى السيد •

— رقصهم صنعة قوى .

— ما هم بيتعلموه فى مدارس مخصوصة .

— ما تعلمنى .

— إن شاء الله .

— إمتى ؟

— لما اشترى قرنين من السلخانة .

— مانيش عارفاك إن كنت زعلان من الرقص والا مبسوط .

— الرقص ذاته جميل . حركات رياضية تنفع الجسم . وفيه تفريح وسرور يخففوا متاعب الحياة وغلبها . وناس بالشكل اللى انتى شايفاه ده يرقصوا مع بعض بدون معرفة يبقوا ولا شك إخوان أحباب يتعاونوا فى كل شىء . لكن فين بقى الملايكة اللى ينظروا للرقص نظرة زى دى . خدى بالك م الواد اللى معرض كتافه وملمع شعره. اتفرجى ازاى بيرقص مع البنت الشقرة أم دراعات عريانة ! حايا كلها ! شوفى أهو عمال يسألها وتجاوبه .

— بتقوله إيه ياترى . ويقول لها إيه ؟

— مفيش غير بتعملى إيه. وساكنه فين . وأشوفك إمتى . وتعالى اشربى حاجة معايا وهلم جرا .

— كده اشكمتك الـكمتك .

— على طول .

— يغلبهم !..

— بقى ما فيش حاجـة كويسة إلا ومعاها خمسين مصيبة . صدقينى إن النظام الإسلامى أحسن نظام ظهر فى العالم . الراجل مايشوفش غير مراته. والمرة ماتشوفش غير جوزها . حتى لو كانوا الاثنين وحشين وشكلهم كئيب تلاقيهم برضك يعجبوا بعض زى الجمان اللى يتلذ بلقمة العيش والدقة . أما الشبعان يبقى قرفان من كل شيء . كل مايشوف حاجة يقول فيه أحسن منها .

— قوم نروح حتة تانية .

— الله يهديكى ويخليكى . مش نروح أحسن عالبيت نوضب لنـا أكله كويسة وننذب فى الفرش .

— ياللا .

(غش التجارة)

— دول (فى باريس) تجار متنورين متعلمين . معظمهم يحملوا شهادات عليا، ومتربيين فى بيوتهم تربية أعلا . قبل ما يعرضوا البضاعة للبيع يحسبوا تكاليفها وتـكاليف المحل، ويقنعوا بربح بسيط جداً عشان يبيعوا كتير ويكسبوا كتير . ويخلوا الزبون يطلع من عندهم ممنون وينوى يرجع لهم . لـكن تعالى للتجار إياهم . الواحد منهم أمه والداه حرامى . السرقة غريزة فى دمه أبا عن جد . فبدال ما يعمل رئيس عصابة ويكسروا الأقفال وينقبوا الحيطان يفتح أحسن دكان بيع وشرا ويجعله واسطة ينهب بها اللى يقدر عليه . وتلاقى معظمهم من طبقة جاهلة فتوات داقين على اديهم سبوعة وضبوعة ونخل وشجر مافيهمش واحد يعرف «نفسية» الزبون وهوه داخل يشترى . أنا كانت تعجبنى الحاجة فى دكان واحد منهم وأقول يا واداشترى منه وخلى فلوسك مع أهل بلدك أحسن ماتدفعها للى بياخدوهم ويحتقرونا . لـكن أبص مالاقيش حاجة مكتوبة عليها تمنها . فاتبها كده سادة.. بكام يا سيدى جوز الجزم ده ؟ فتلاقيه قبل ما يرد يهرش فى قفاه ، أو يمسح شنبه.

أو يبلغ ريقه ، على ما يفكر ويخمن ويفنن الثمن اللى يناسب شكلى. يقول له عقله ياواد دا باين عليه لطخ قول له ثمانين بدال ستين . وهيه ترسى على خمسين • بركات وارسل ، أو باين عليه منا كف قـــول مية وخمسين وترسى على خمسين . أو باين عليه مؤدب بن ذوات قول له بمية وترسى على ثمانين ، وأخيرا ينطق بالكلمة اللى يلهمه بها الشيطان .

— فلوسك فى جيبك . ورد عليه بايعة وشارية . ما فيكش لسان .

— لا . أنا محبش أوجع قلبي . آخذ بعضى ودنى ماشى عدل ، ألاقيه بيناديني ويبعت ورايا صبيه ، أسيبهم ينفلقوا وابقى سامعهم بيلعنوا أبويه . هوه فيه حاجة خاربة بيوت التجار عندنا غير كونهم يعرضوا بضايعهم من غير ثمن ؟ إنتى ما تلاقيش فى مصر كلها عشر محلات على بعضها بقى لهم عشرين سنة فاتحين . أعظم تاجر يقعد سنتين ثلاثة ويقفل . بينما المحلات الأفرنجية بتقعد لما يورثها ولد الولد ، وتبدأ بدكان صغير مفيهش بضاعة بخمسين جنيه ، وتصبح دواير وعزب وفابريكات وهم لا يحصى . هيه التجارة لعبة يا مسلين؟ لما يمسكها السيد الشندويلى أبو جلابية جوخ ، وعلى البرطشاوى أبو شناب . وخليل أحمد خليل وولده محمد . دول أولا يجهلوا فن عرض البضاعة ما فيهمش واحد يعرف يرتب بضاعته ترتيب جميل يفتح نفس الزبون ..... الخ .

(العمل الحر — والوظيفة)

— بكره الشهادات دول ينفعوك لما ترجع مصر ، تشتغل بهم فى الحكومة

— أشتغل فين ؟

— فى الحكومة .

— ليه ودراعى فين ؟

— دراعك برضك معاك . إنما تلاقى لك شغلة فى الحكومة قد بعشرة جنيه .

— دا العاجز الغلبان المخروع اللى يقف على باب الحكومة ويقول لها شغلينى .

— أمال ناوى تعمل إيه ؟

— أما نروح يحلها ربنا . دى بلادنا لسة زى المستعمرة الجديدة فيها ميت ألف شغلة للى عايز يشتغل ويكسب ، بس اللى يفكر بروافة ويعرف يشتغل .

— مهما كان ما يجيش برضك زى الحكومة اللى ترقيك كل سنة وتعمل لك معاش

— أظن والله أعلم ما فيش حكومة فى الدنيا ربنا مغلبها بشعبها قد حكومتنا . الأفندية وظفينا يا حكومة . العمال شغلينا يا حكومة الفلاحين إزرعى لنا يا حكومة . إنتم فاكرين إن الحكومة إله على كل شىء قدير . مع إن الحقيقة ما فيش حد غلبان قد الحكومات ، لأنها هيه اللى بتمد إيدها وتاخد من الشعب عشان تبلط له الشارع ، وتركب الفوانيس ، وتحافظ على الأمن ، وتعلم الجاهلين ، وتداوى العيانين ، وغير كده مالهاش وظيفة ، وانتم وكلينا يا حكومة ، شربينا يا حكومة ، جاتكم القرف فى تربيتكم

والله يا شيخة عايز اخنق ألف مرة من شكلك وعينتك .

— هىء هىء . اشمعنى .

— أيوه لأنكم إنتم اللى بتربوا العيال عالبلادة والكسل ، ولا تتجوزوش إلا الموظفين ، ولا تحترموش غير الموظفين . ولا تخافوش الا من الموظفين . تعالى هنا اتفرجى على موظفين الحكومة ، تلاقيهم كلهم ناس يا دوبك الواحد منهم مستور يا كل ويشرب هو وعائلته ، والمكاسب الهايلة كلها بيكسبها الشعب وأصحاب الفابريكات ، والمصانع والتجار ، دا فيه ناس هنا الواحد منهم يكسب ألف جنيه فى اليوم بدون مبالغة ...

بيرم القصصى

وهذا مثال على مقدرة « بيرم » فى تأليف القصص ، وصياغة الحوار بلباقة و بلاغة ، وبيان معجز . وننقل الفصل الأول من قصة له بعنوان « شافون » :

شـــــافون

الفصـــــل الأول

لأبى عبيدة منزل صغير على شاطىء الدجلة ، بعيد عن بغداد مسيرة ساعتين. وهذا المنزل يقيم فيه كلما احتاج إلى الراحة والخلوة بأصدقائه الخصوصيين ، ولا يعلم آحد غير هؤلاء شيئاعن المنزل سوى جاريتين تقيمان فيه، إحداهما تدعى اسمها «عبدة» أهداها الرشيد إلى أبى عبيدة ، والأخرى بـكر لم تبلغ الخامسة عشرة اشتراها من سوق الرقيق ، وهى ديلمية الأصل وتدعى « شافون » .

* * *

فى ليلة دامسة الظلام ، شديدة الحر ، استلقى أبوعبيدة على وسادة ، وقد خلع عمامته وثيابه، ووقفت الفتاة « شافون » على رأسه بالمروحة ، تهزها يمينا وشمالا ، وتنظر بعينيها الذابلتين إلى صلعته المضيئة تحت المصباح ، بينما كانت الأخرى تهيىء الطعام .

فى هذا السكون ، الذى ينعم به قوم ويشقى آخرون ، سمع من الخارج صوت رجل يقول وهو يدق الباب بقوة :

ياهذه عجلى نحوى و ياهذا

وأبعدا مضجعى عن كلب بغداذا

فاستقام أبو عبيدة جالساً ، وقال :

لقد جاء اللعين ، لعن الله حاجة جمعت بينى وبينه .

إفتحى ياجارية

فدخل الرجل فبادره أبو عبيدة :

مرحباً يا دعبل .

— السلام عليك ياشيخ السوء . أين النبيذ الذى وعدت ؟ والغناء الذى وصفت ؟ والجوارى اللاتى نعت ؟

فقال أبوعبيدة ، وهو يبتسم ابتسامة يخفى بها ماداخله من الغيظ لهذا السبب.

— خذ مكانك أيها الشيطان . ثم سل ماتريد .

فأطال دعبل نظره فى المكان . فرأى طنفسة مطوية فى أحد الأركان . فتناولها ، وفرشها بانحراف ، بعيداً عن أبى عبيدة . ثم وقف متحيراً كأنه يريد شيئاً آخر . فنظر فجأة إلى الوسادة التى خلف أبى عبيدة ، فهجم عليها ، واجتذبها ، ثم وضع شفته على الطنفسة، وأخذ الوسادة تحت ساعديه ، وتقلب عليها قليلا ليستقر جسمه كما يريد . ثم نظر إلى أبى عبيدة باستخفاف ووقاحة قائلا :

— أين إبراهيم الموصلى ؟

— كأنى به يقدم الساعة . هل صنعت الشعر الذى أوصيتك به ؟

— لاعفاك الله .

— أين الواو ياوقح ؟

— هل تريد الواو أو الشعر ؟

— هات الشعر إن كان هناك منه شىء

— ماذا تريد ؟

— قلت لك من قبل إصنع لى شعراً على لسان عربية تنهى أخاها عن المبارزة ، وشعراً آخر يجيب به . وليكن ذلك فى غير الرجز .. لأن الخليفة يكرهه ويستخف براويه .

حانت من دعبل التفاتة رأى الفتاة الديلمية ، فنظرت اليه بابتسام يدل على الإعجاب والانبهار

ولا عجب فقد كانت مع أبى عبيدة متضجرة من كبرياء الشيوخ، وأنانيتهم. ولكن دعبل ، النشط الخفيف الشمائل ، غير مابها وظهر عليها الارتياح ، حينما أبصرته يقرب الطنفسة فعلمت أنه سيقضى عندهم وقتا طويلا .. لحملق فيها مدة طويلة دون أن يبالى بأبى عبيدة ، ثم نظر اليه نظرة اعتادها منه وسأل ببرود .

— هل هذه أيضاً من جوارى خليفتك ؟

فأغمض عينيه . وأجاب بحزم يشوبه شىء من التردد والجبن :

— لاشأن لك بها .

— نعم . ولكنى أريد أن تكون ساقيتى هذه الليلة .

— لك ذلك .. قال هذا ، وأراد أن يبعد الجارية عن عينى دعبل بأى وسيلة فقال لها : علينا بالأقـــداح .. فمرت الفتات من بينهما ، وألقت من جانب فمها ابتسامة على دعبل .. ووقعت من قلب الشاعر الكبير موقعها . ولكن دعبل الذى لم يكن فى قلبه ذرة من التوقير والمراعاة ، لمخلوق ، استوقفها وسألها :

— ما اسمك يامسكينة ؟

— شافون .

— بارك الله فيك . . اذهبي فائتنا بالأقداح التى أمر بها شيخك ، وزق الدوشاب . ثم التفت إلى الشيخ ، وقال:

- كم لك هنا ؟

— سبعة أيام .

— لم أعلم أنك فارقت بغداد إلا بالأمس ، حيث سألت صالحا الحامى ، وقال إنك خرجت إلى البادية .. و إنى أعلم أن باديتك هذا المنزل . فجئتك ألهث فأبى لؤمك الا أن تبدأنى بطلب بضاعتك التى لولاها ماخلع عليك خليفتك دثار جارية . . أما كنت تنتظرنى حتى أستريح ؟

— أما قولك أنى لئيم ، فعلم الله أنك كاذب . لأنى أؤويك إلى منزلى ، وأنت طلبة أمير المؤمنين ، الذين أهدر دمك . . وأما بدئى لك بطلب الشعر فذلك قبل أن تدخل الجماعة .

بينما كان أبوعبيدة يقول هذا دخلت الجارية ومعها قدحان ، والزق تحت إبطها ، ووقفت فملأت له قدحاً ، فتناوله ، وكان الشيخ قد فرغ من حديثه ، فقال دعبل ، وهو ينظر إلى شافون

عجبا للشيخ ، يشتم ، وهو شتيم . ويمتن ، وهو لئيم ، ويتصدق ، وهو زنيم. أتعيرنى بإيوائك إياى فى منزلك، وأنا الذى أرأب صدعك، وأستر عورتك ، وأرفع مكانك ؟ أترى لو علم الخليفة الذى قلت له أنك خارج إلى تهامة والأحقاف ، أنك هنا ، وأنى أصنع لك الشعر الذى يعطيك عليه الجوائز . . ما كان صانعا بك ؟ ! . . .

— إسقنى ياشافون قدحا آخر

فى هذه اللحظة سوف يقدم إبراهيم الموصلى وجعفر البرمكى . الذى لم يلى

وزارة الرشيد . ومعهما بعض أعضاء عائلة برمك . وكان أبو عبيدة ، رغم عربدة دعبل يصغى إلى صوت الملاح ، يقود الحراقة التى تنقل الجماعة . ويتوقع حضورهم من حين إلى آخر . وقد أراد أن يختم الشر الذى افتتحه دعبل . فقام، وأحضر الدواة والقلم والقرطاس ، وقال هو يضحك :

— شربت قدحين يا ابن الزانية . فعليك بالثالث. حتى يطيعك شيطانك. أكتب ما أملى عليك بلا شيطان ..

قل له : يا أمير المؤمنين قالت ميسون النمرية لأخيها :

أخالد تنهل المنية دفعة وماء حياة المرء بالقطرات

أخالد لاتذهب بسن مثقف ومثلك تبكى أعين الفتيات

كان أبوعبيدة يكتب البيتين، وهو مطرق، ومنظره يشبه منظر الغلام الذى يكتب ما يمليه عليه المعلم . فقال وهو ينظر فى الطرس :

— ولكن هذا الشعر فيه زحاف .

— وهو لا يكون شعراً بدويا عربيا إلا إذا كان فيه شىء من الزحاف، والشواذ ، ياشيخ الحمقى .

— وإذا سألنى الخليفة عن ميسون النمرية ، ماذا أقول ؟

— قل له يا أمير المؤمنين إنها امرأة تختن بنات العرب وكان من قصتى معها كيت وكيت . واذكر أنك مررت بخبائها ملتمسا شيئا تأكله فرأيت قديدا معلقا فى خيط ، فشرعت فى أكله، فخرجت إليك ميسون هذه صائحة بك: ياهذا ، ليس ما أكلت مما يؤكل . إننى امرأة أختن بنات الحى . وكلما ختنت فتاة علقت ختنها فى هذا الخيط . لا أعرف عددهن وها أنت أفسدت على العدد .

فلم يملك أبوعبيدة نفسه من الضحك ، رغم ماهو فيه من الغيظ . وكأنه اقتنع بأن الحكاية مسواة فقبلها . وقال :

— وماذا قال أخوها ؟

— أكتب .

أميسون لاأبغى التراب لجثتى
غطاء ولم أسحب عليه قناتى
أميسون إن أسكن حسامى غمده
أجعت كبود الوحش فى الفلوات

كتب أبوعبيدة البيتين . وأراد الاستزادة . ولكنه سمع حداء الملاح ، على الشاطىء ، وهو علامة على حضور الجماعة .

. . . . . الخ

كانت آية الآيات فى بيرم أنه كان يفهم السرير الناطقة بالعربية من بواطنها الخفية ، قبل أن يحكيها بلهجاتها الكثيرة على الألسنة أو الأقلام .

عباس محمود العقاد

محاكاة اللهجات المختلفة

لهجة جريكية

ياسأت البيه . أنا مسرى . فيه دلوجتى كامستاشرا سنة فى مسر . فيه أندى صاخب كتير : صالح بك صاخبى . خسن بك صاخبى . موهاميد بك صاخبى . كل دول إمسك منى فلوس . دلوجتى أنا آوز من كلو خمسين جنيه . فيه كان ميت جنيه . لكن هوه مش يديلو فلوس بتاعى . عشان كله فيه واخد كريزة بتاع جطن .. لكن أنا موش شغلى ياخبيبى ... أنا واجف فى الجهوة بتاعى هوه ييجى يشرب و يمسك كمان فلوسى . عشان إيه موش يديلو ؟

دى موش كويس ...

لهجة شامية

عندنا بصور إلى صهرى خى مرتى اسمه جميل نخلة كان خد منى خميسطاش ليرة سورية فى عام أليف وتاسمعاية وتساعطاش صارهلا سباع سنين مادفع المصارى وكل ما طالبه فيهون يئول بتشرين .. العمى

ولاك ياخى العسكروتة صار لك تسعاه وتلاتين تشرين مادفعت . إيمت بدك تدفع ؟ بعد ارحت أخدت الطبنجة تبعى من البيت ، لقيتا مفسودة ما بتسوشى . عطيتها للعسكروت اللى عم بيصلح الطبنجات . قلتللو صلح لى ياها . و إيش قد بتريد بعطيك . على حساب إنه صلحها وأخض تلات ليرات . طلعت فيها عالبستان من شان أجربها ما كانت تصروب . صرت أصلح فيها شهرين ولما صارت منيحة إلت هلا بمشى لها الزلمة بحرق له دينه ودين دولته

... الخ .

جال عبد المحسن بيش السعدونى للشيعة : لا تخشون للعسكرية . ولا تدفعون عشور للدولة . جلنا يا عمو وليش السنية تجول لها أمشون للجندية . وادفعون عشور . دخيل الجادر الجيلانى . راح شـــلالة الماش فى لوندن عند الإنشليز . وصار يحكى عالعراج . جال له الزلمة بلدوين : ما تخاف عالعراج . ولا عالبحر . ولا عالماعز . ولا عالحب . ولا عالشاز . كله جاعد ليكم . ما لحد آخر .

هذا مثل ها الداعور اللى اشترى زلابية وحطها بيد ، وحط السكر بيد . لجات الحداية وشالت الزلابية من يده . جام نظر لهـــا بالسما وجال : طظ بيها . السكر بيدى و بيش تاشليها

فها العراج بيد الإنشليز   وأهل العراج ما يحكمون على شى .

تبشين يا عيب عاللى فى العراج جاعدون

الشرب ما يشربون ، والأشل ما ياشــلون

والحب ما دشروا . والشاز ما خـــــلون

إيش لون تروح من عذاب الله يا ســعدون

بيرم والأغانى

إن كان « بيرم » قد برز بين الأدباء كشاعر وزجال ، فإنه بلا شك قد تصدر الجميع فى صياغة الأغنية .

ولم يتأت لأديب واحد أن ينتج ما أنتجه « بيرم » فى حياته من أغنيات . إذ نكاد نسجل له منها مئات .

وكان فن الأغنية فى إنتاج « بيرم » ذا صبغة خاصة فالأغنية عنده ليست كلاماً مرصوصاً ، ولا عبارات رخيصة ، ومعانى تافهة ، ولكن قطعة جميلة فنية ، نابضة من القلب والوجدان ، تحمل العبارة الرقيقة والمعنى الصادق ، فى ليونة ملحوظة ، مع حسن صياغة . ثم هى تتميز بعد ذلك باطراد التطور فيها . فلا تجد بين أغنية وأخرى إلا تجديداً وابتكاراً ، مما يجعلانك تتصور أن بيرم يتذوق الأغنية ، ويحس بها إيقاعاً وموسيقى ، قبل أن يدونها كلمات وعبارات . ومن ذلك لا تكاد تختلط عليك قطعة من إنتاجه بين ما تسمع لغيره .

وأغنياته من العذوبة ، وحسن التنسيق ، بحيث تلائم اللحن ، وتستجيب للنغم ، ويجد الملحنون فيها مجالا لنجاح اللحن الذى يضعونه لها

وقد رفعت أغنيات « بيرم » جماعات من المطربين ، وأثارت شهرتهم . وجنى بعض من غناها له منهم ربحاً طائلا ، بينما لم يجن هو من وراء ذلك ما يذكر .

وكان « بيرم » دائم الشكوى من ذلك ، لا سيما حين يذكر مشكلة حقوق التأليف التى لم يتم تشريعها فى حياته ، مع مطالبة المؤلفين بأن يكون لهم من التقدير المادى نصيب عند تكرار إذاعة الأغنية . وكان المطرب ، وما يزال ،

يتقاضى من الإذاعة قدراً من المال يختلف باختلاف درجات المطربين عندها ، بينما لا ينال مؤلف الأغنية شيئاً .

وفى ذلك يقول « بيرم »

« إن مؤلف الأغانى فى جميع أنحاء العالم يكتسب من الأغنية الناجحة آلاف الجنيهات . أما هنا فى الشرق ، فإن مؤلف الأغانى كماسح الأحذية تماماً ، يسلم الأغنية ، ويتقاضى أجره وينصرف » .

ونظم « بيرم » ألواناً شتى من الأغانى ، بعضها فى روايات مسرحية ، وأخرى سينمائية وبعضها ملحمات وقصص . كما نظم أناشيد شعبية كان أقدمها ما أنشده المرحوم الأستاذ سيد درويش . وغنى له من المطربين سيد درويش وبعض أفراد فرقة بديعة مصابنى والسيدة ملك والسيدة أسمهان والأستاذ فريد الأطرش . والأستاذ محمد عبد الوهاب والسيدة نور الهدى والسيدة أم كلثوم . وغيرهم .

وقد ألف « بيرم » أغانى « أوبرا شهر زاد » ، « والبروكة » لسيددرويش ، « وأبريت ليلة من ألف ليلة » ، « وعقيلة » لفرقة السيدة فاطمة رشدى وعزيز عيد ، ورواية « طباخة بريمو » « وسفينة الفجر » لفرقة السيدة ملك ، ورواية «غرام وانتقام» للسيدة أسمهان ، ورواية عنتر بن شداد ، « ورابحة »،«وفاطمة « وسلامة » ، التى تظهر فيها أم كلثوم بطلة ، « وأبريت يوم القيامة » ، « وقصة الظاهر بيبرس » ، « وعزيزة ويونس » ، وملحمة « محمد على » ، للإذاعة ، وكلها على حلقـــــات .

* * *

وإذا ما قارنا بين « بيرم » وبين الشاعر « أحمد رامى » ، نجد «رامى» ، وقد بلغ الغاية فى لطف العبارة ، وجمال وقعها على الأذن ، وتأثيرها فى الإحساس ،

وفى أعماق النفس ، لا يكاد يتعدى إنتاجه فى الأغانى إطاراً من العاطفية الشفافة، التى يتكرر فيها التعبير عن واقعية الحب،بصورة تتجسم وتسمو ، مع مايلحظ فيها من قسمات مؤنسة مشجية ، ومن روحية نابضة والهة . حتى ليشعر الإنسان به حبيباً هائماً ، لا تبعد مناجاته عن هذه الروح الجميلة . التى يعشقها ، ويذيب نفسه من أجلها ، وهو محروم منها . صابر على لوعته ، مؤمن بحبه . مهما لاقى فيه من صد وهجران . وأغنياته أغلبها خص بإنشادها كوكب الشرق « أم كلثوم »،حتى لقد لحظ عليه الكثيرون أنه ينطق عن حقيقة ، وهى إعزازه الغير محدود لهذه المطربة الكبيرة . التى صاغ لها مانبع من قلبه .

أما « بيرم » ، وقد صاغ هو الآخر أغانى لأم كلثوم ، فلم يكن إلا ذلك المثال الفنان ، الذى يشكل تماثيله أنواعاً وألواناً . فلا يصنع تحفة منها كأخت لها . وهى إن اجتمعت فى معرض واحد اختلفت أشكالا وصوراً وأهدافاً . وهو لم يكن يحب ، ولم يكن ينطق عن لوعة ، ولكن عباراته كانت هى الحب وهى اللوعة بواقع من اللباقة والقدرة الفنية على صياغة العبارة .

وقد بلغ هذا الأديب الصناع القمة فى صياغة الأغنية ، صنعة بارعة ، لا إثارة من حب أو دافعاً من عشق . ولكنها العبقرية ، والمقدرة ، التى تميز بها « بيرم ».

وهذه العبقرية والمقدرة جعلته يتمكن من صنع المعجز فليس بين الأدباء من وصل إلى ما بلغه « بيرم » من الإجادة فى التعبير بالأغنية بكل اللهجات وفى كل المواقف والمناسبات . ليس بينهم من نظم بلغة الحضر ، ولغة البدو ، فى مختلف الأقطار ، و بشتى اللهجات ، بل بلغة الشعوب المختلفة .

ولا تقف أغنية إلى جانب أختها إلا جديدة عليها ، مختلفة عنها فى النسق والسياق ، بل النغم والإيقاع .

وكان حظ مطربة الشرق السيدة «أم كلثوم» من أغنيات « بيرم » أوفر من

غيرها . فقد غنت له مقطوعاته : «أنا وانت» ـ « وكل الأحبة اتنين اتنين» ـ و« إيه أسمى الحب »ـ « وأهل الهوى ياليل» ، ـ «وراح فين حبيبى » (الأولة فى الغرام) « والآهات » ـ و « الأمل » ـ « وأنا فى انتظارك » ـ « وحبيبى يسعد أوقاته » ـ « ونور محياك » ـ « وعينى أيا عينى » ـ « وشمس الأصيل » ـ « وهوه صحيح الهوى غلاب » ـ « و بعد الصبر ماطال » ـ « وصوت السلام» ـ و «دلال حبيبى» . الخ .

هذا عدا أغانيه التى نظمها لها فى فيلمى « سلامة » و«فاطمة»،وغنتها . وهى كثيرة ، منها « ظلمونى الناس » ـ « و ياصباح الخير » ـ و « غنى لى شوى » ـ و « برضاك » ـ « وسلام الله » ـ « وقول لى ولا تخبيش يازين» ـ وهى على لهجات البدو .

ونعرض ألواناً من إنتاجه فى الأغانى التى أنشدتها «أم كلثوم » . وقد اخترنا منها « الآهات » « وشمس الأصيل » « وراح فين حبيبى » « ونور محياك ، « وأصل الهوى ياليل » « وهوه صحيح الهوى غلاب » « ودلال حبيبى » وهى كافية لتعطى القارىء صورة من التباين فى الصياغة ، وأسلوب السياق ، والوزن ، مع مطاوعة العبارات للأداء والإيقاع .

(الآهـــات)

آه من لقـــاك فى أول يوم ونظرتك ليــه بعنيك
خاصم عيونى ليلتها النوم و بت أسأل روحى عليك
ياهلـــترى راح يعطف على فـــــؤاد متلهف
تقول لى روحى آه

واقــول لقلبي ياقلبي حبه يعـــادل حبي
يقـــول لى قلبي آه

وارجع اســأل عقلي هو الزمان ح يروق لى
يقول لى عقـــلى آه

العقل ياربى ضايع ومتبدد والقلب فى جنبى يسكت و يتنهد
آه من لقـــاك فى أول يوم ومن رجايــا ومن حبى آه
وآه لمـا بلغت آمالى وفرحت بك والجو صفالى
ومليت كاســاتك وسقيتهالى

أشرب بإيدى كاس يرو ينى واشرب بإيدك كاس يكو يبى
بات السرور كلـــه بينى و بينـــك متقسم
والزهر ويانــــــا ينظـــــــر ويتبسم
والطـــير يغنى لى والموج يقول و ياه ... آه
يادى النعيم اللى وجدناه واللى دخلنــاه ... آه
. . . .
. . .

ده الأنس كان انت والابتســــام انت
مـــا احسبش ده كله فى يـــوم يضيع منى
واجرى ورا ظـــله اللى اتبعـــــد عنى
ماتقـــول لى فين انت

آه ياللى أسست وهديت آه ياللى أضحكت وأبكيت

آه من رضاك وصدك آه

(شمس الأصيـــل)

شمس الأصيل دهبت خوص النخيل يانيل

تحفة ومتصورة فى صفحتـــك ياجميل

والنـــاى على الشط غنى والقدود بتميل

على هبوب الهوى لمـــا يمر عليل

يانيـــل

يانيل أنا واللى احبـــه نشبهك فى وفاك

لانت ورقت قلوبنا لمـــا رق هواك

ووصفنا فى المحبة هوه هـــوه صفاك

مالناش لا احنا ولا انت فى الحلاوة مثيل

يانيـــل

أنـــا وحبيبى يانيل نلنـــا أمانينا

مطرح مايرسى الهـــوى ترسى مراسينا

والليل إذا طـــال وزاد تقصر ليالينا

واللى ضناه الهوى باكى وليله طويل

يانيـــل

° ° °

(راح فـــين حبيبى)

الأولة آه .

والثانية آه .

والثالثة آه .

الأولة : فى الغرام والحب شبكونى

والثانية : بالامتثال والصبر أمرونى .

والثالثة : من غير كلام راحوا وفاتونى .

الأولة : فى الغرام والحب شبكونى . بنظرة عين .

والثانية : بالامتثال والصبر أمرونى . واجيبه منين .

والثالثة : من غير كلام راحوا وفاتونى . قولوا لى فين .

راح فين حبيبى

الأوله آه ... والثانية آه ... والثالثة آه

* * *

(نور محيـــاك)

نور محياك الهنى ... يسرنى ... أشدى لك الألحان

الناس لإحسانك عبيد ... الله يزيد ... قلبك علينا حنان

. .

و ينولك ماتشتهى ... ولا ينتهى ... حسنك ولا الإحسان

نصيبك فى الغرام ... فـــوق المرام ... دايما بلا حرمان

والأمر لك ... والنهى لك ... واللى ملك الاتنين يعيش سلطان

كل المحبين فى هنـــا ... إلا أنا .. فى الحب مالى نصيب

نصيبى جرح من الهوى ... مالوش دوا يـــبرأ عليه و يطيب

. . . إلخ

(أهل الهوى ياليل)

أهل الهوى ياليل فاتوا مضـــــاجعهم

واتجمعوا ياليـل صحبـــــــة وانا معهم

يطولوك يا ليـــــل من اللى فيهم

وانت يا ليـــــل اللى عالم بيهم

فيهم كســير القلب والمتـــــألم

واللى كـــتم شـكواه ولم يتــكلم

واللى قعد بعد الحبايب وحـــــــده

و بات حزين يشـكى هيامه ووجـــــده

يشـكوا ولا المخلوق سمــــع شكواهم

إلا الـكواكب فى السما ســــــامعاهم

يطولوك يا ليــــل ، بالسهد والأفـكار

والشمس بعد الليـــل ، تطلع عليهم نار

وبعد طول الليـــل تعود لهم ياليــــل
ويسألوك يا ليـــل إمتى تعود ياليـــل

• •

ناس من قلوبها تقول ياليـــل
وناس على الأرغول تقول يا ليـــل

إحنا معانا بـــدر طالع فى ليـــلة القدر
فيهـــا حبيب القلب وافى ووفى النـــدر
هوه يقول ياليل ياليل واحنا نقول ياليل ياليل
وكلنا بنقول ياليل . . . .

(هوه صحيح الهوى غلاب)

هوه صحيح الهوى غلاب مـــا اعرفش انا
والهجر قالوا مرار وعذاب واليـــوم بســنة

جانى الهوى من غير مواعيد وكل ماده حلاوتـــه تزيد
ما احسبش يوم حا ياخدنى بعيد

ويهنى قلبى بالأفراح وارجع وقلبى كله جراح
إزاى يا ترى
أهوه ده اللى جرى
ما اعرفش انـــا

نظرة وكنت احسبها سلام وتمر قــــوام
أتارى فيها وعود وعهود وصـــدود وآلام
وعود لا تصـــدق ولا تنصان
وعود مع اللى ما لوهش أمان
وصبر على ذلة وحرمان
و بدال ما اقول حرمت خلاص أقول ياربى زدنى كمان

إزاى يا ترى
أهو ده اللى جرى
ما اعرفش انـا
إلخ

(دلال حبيبى)

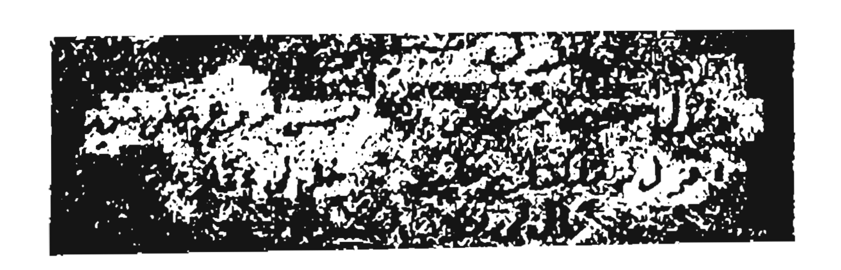
(وهى القطعة التى كان ألفها ومات قبل أن يتم لحنها)

دلال حبيبى محيرنى بس اروح على فين
أقول له ملـكتك قلبى خلى لى عقلى
قال لى لأ لتنـــين

حكم على أســير وياه والعب فى هواه



الكراسة التى كتب فيها « بيرم »
آخر ما سطره فى حياته ، يقرأ فيها
أصفر أولاده .



بعض كلمات من أغنية « بيرم » الأخيرة
« دلال حبيبى » بخط يده

خضعت له وبقيت أجاريه

فى اللى أمر بيه

تعب الهوى ، دا جنان فى جنان

ويا ريته ما كان

ويارب ما خليت كل عزول يقول ويقول

واللوم على واحد منين وألاقى منين

وقلت له عندك قلبى وخلى لى عقلى

قال لى لأ .. لتنين

.. . إلخ

ويرى القارىء فى المقارنة بين هذه الأغنيات صور التباين التى أشرنا إليها .

ومن صور أغانى « بيرم » على لهجات البدو نعرض على القارىء أغنيات :
« غنى لى شوى شوى » و « برضاك » و « قول لى ولا تخبيش يازين » وهى من الأفلام السينمائية التى اشتركت فى التمثيل فيها « أم كلثوم ».

(غنى لى شـــوى)

غـــنى لى شوى شوى غـــنى لى وخـــد عينى

خلينى أجول ألحان تتمايـــل لهـــا السامعين

وترفرف لها الأغصان والنرجس مـــع الياسمين

وتسافر بهـا الركبـان طاوين البـــوادى طى

شوى . شوى . شوى . شوى

غنى لى ٠ غنى ٠ وخد عينى

المغنى حيـاة الروح يسمعها العليـــل تشفيه

وتداوى كبد مجروح تحتار الأطبـــا فيـه

وتخلى ظلام الليـــل فى عيون الحبايب ضى

شوى . شوى . شوى . شوى

غنى لى ٠ غنى ٠ وخد عينى

٠ ٠ ٠ ٠ الخ .

(برضـــاك)

برضاك يـــاخالق ٠ لا رغبـــتى ورضاى

وخلقت صوتى ويـــدك صورت أعضاى

أبلـــغ بصوتى ياربى مقصـــدى ومنـــاى

لمـا أنـــاجيك ٠ ولمـــا تستمع شـــكواى

(قوللى ولا تخبيش يازين)

قوللى ولا تخبيش يازين إيشى تقول العين للعين

لمـا العين تشوف حبيب تقول له ولا تخشاشى رقيب

بعيد وصالك والا قريب ويوم الوعدة نشوفك فين

قول لى ولاتخشاش مـــلام حلال القبلة والا حرام

القبلة ان كانت للملهوف اللى على ورد الخد يطوف

ياخدها بدال الواحدة ألوف ولا يسمع للناس كلام

ولا يسمـــع للناس كلام ولا يخشى للناس ملام

. . . . . الخ

وما أبرع « بيرم » فى نظم أغنية « البنفسج » التى غناها المطرب « صالح عبد الحى » وهى قطعة من الأدب السامى فى جمال العبارة ، وقوة التصوير ، بحيث تكاد تكون ومضة من ومضات الوجدان وتألق القريحة المبدعة :

ليـــه يابنفسج بتبهـــــــج

وانــت زهــــر حزيـــن

والعــــين تتابعك وطبعــك

محـــــتشم وزيـــــن

ملمـــــوم وزاهى ياســـاهى

لم تبـــــوح العـــين

بـــكلمة منــــك كأنـــك

سر بـــــين اثنـــين

حطوك خميـــــلة جميـــلة

بـــــين صدور الغيـــد

تسمع وتسرق ، يـــا أزرق

همســـــة التنهيـــــــد

* * *

ثم ينظم « بيرم » للموسيقار الكبير « محمـــد عبدالوهاب » أغنيات تصور طبيعة الريف ، فى تكريم الفلاح ، والإشادة بمحصول الزراعة ، فى قطعة عن « الفلاح » ، وأخرى عن « البرتقال » ، وثالثة عن « القمح » .

(الفـــلاح)

ما احـــلاها عيشة الفـــلاح

مطمن قلبــــــه مرتاح

يتمــــرغ على أرض براح

والخيمـــــة الزرقة ساتراه

ياه . . ياه . .

ياه . ياه . .

ولا يطلب شرط ومشروط

غـــير لبـــدة وعرى وزعبوط

واللقمة واكلهــــا ومبسوط

لكنــــه جايبهــا بشقاه

ياه . . ياه . .

ياه . . ياه . .

(البرتقــال)

يالى زرعتوا البرتقــال يالــلا اجمعـــوه
آن الأوان يالــلا اجمعـــوه
يالــلا . . يالــلا . .

ياما احــلى ريحته بين الجنــاين
ياما احــلى شكله عا الخد باين
دا الفص منـــه يسوى مداين
يزيد ويـكـتر البرتقـــال

احنــا زرعنا واحنــا روينا
وادى احنا بعد التعب جنينا
تسلم إيدينا واللى علينــا
يزيد ويـكـتر البرتقــال

(القمــح)

القمــح الليــلة ليــلة عيده
يارب تبــارك وتــزيــده
لولى ومشــبك على عــوده
عمــره مابيخلف مــواعيــده
يارب تبــارك يــارب
يارب تبــارك وتزيــده

وتجاوب « بيرم » مع الثورة ، فنظم لها من قلبه أغنيات ، نعرض منها قطعة « بعد الصبر ما طال » التى يقول فيها :

بعـــد الصبر ماطال نطـــق الشرق وقال
حققنـــا الآمـــال برياستك ياجمـــال
الشعب اللى رفـع الراية لصـــلاح الـــدين
أودعها يمين عبد الناصر ويمينـــــه يمين
الشعب وراه والحـــق معــــاه
والنـــور أهو بان
والفجـــر اهـــو لاح والقلـــب ارتـــاح
والله معين

ثم أغنية « صوت السلام » التى صور فيها « بيرم » براعة انتصار الشعب على المعتدين فى العدوان الثلاثى على بور سعيد :

(صـــوت السلام)

صوت السلام هوه اللى ساد واللى حكم
على الدخيل اللى اندحر واللى اتهـــزم
عـدونا لما اعتـــدى قدمنا أرواحنـا فـدا
واستعجبت من بأسنا كل الأمم
ثلاث أمم يا بور سعيد متقدمة
بدبابات وطيـارات تملا السما

الأولة : داخلة البلاد مستعمرة

والثانية : بعد الانكسار متجبرة

والثالثة : على العرب متأجرة

هدموا البيوت ، قتلوا النفوس ، وإنما

إحنا هدمنا عزمهم ، فى الشرق كله ، ومجدهم

ثلاث دول جايبة العتاد لكنهم

متقدموش من بور سعيد ولا قدم

اسم السلام هو اللى ساد واللى غلب

وبدمنا الغالى على الأرض انكتب

لا يتمحى من أرضنا ولا يزول واحنا هنا

متمسكين بحقنا متسلحين بعزمنا

أعدانا شافوا البينة

اللى بنوه فى سنين فى ساعة انهدم

شافوا العدا فى مصر عزم ومقدرة

شافوا النفوس تنباع والله اشترى

شافوا الهوان واتندموا عاللى جرى

عادوا بالخذلان والعار والندم

وحيث عرضنا هذه الأمثلة البارعة للأغنية من إنتاج « بيرم » فقد يفيد أن ننقل للقارىء كلمة ظهرت فى جريدة المساء للكاتب الأستاذ « جمال فكرى » بعنوان ملامح من شعرنا الشعبى ، جاء فيها :

«... إن كلمات أغانينا بوضعها الراهن لا يمكن اعتبارها من الزجل فى شىء على الإطلاق، فكلها شطرات، بعضها موزون مقفى، من الشعر العاطفى الدارج الذى يدور فى فلك واحد من الغراميات والتأوهات. أما مسائل المجتمع وتدريسها لرجل الشارع، وتبصيره بها و بطرق إتقانها وعلاجها بأسلوبه الدارج البسيط الذى يستخدمه، ويسهل عليه فهمه، والذى هو الجذر الرئيسى للفولكلور العربى، فقد توارت توارت فى رؤوس كتابها الموجودين، المقصرين، أطال الله بقاءهم وتوارت فى قبور كتابها الراحلين المجتهدين تغمدهم الله برحمته.

« لقد جرف تيار أغانى الحب المؤلفين الغنائيين، حتى « بيرم » رحمه الله فى السنوات الأخيرة، ولكنه الوحيد الذى أخلص للزجل فى ألفاظ أغانيه وأوزانها.

«أما إخواننا الآخرون، من مؤلفى الأغانى، والذين زاد عددهم جداً، فتسعة أعشارهم كتبوا، ويكتبون، وسيظلون يكتبون، فى حيز لا يزيد على مائة أو مائتى كلمة عاطفية. كلما جمع منها قدر بترتيب معين نتجت منه أغنية توأم لسابقاتها ولاحقاتها. فظلت، وستظل أغانيهم تكثر وتكثر، دون أن يستعملوا أكثر من هذه الكلمات المحدودة فى ثروتهم اللفظية للحب والغرام، ودون أن تزيد قوافيهم على أصابع اليدين على أكثر تقدير، وموازينهم على أصابع اليد الواحدة.»

* * *

وإذ ننتهى من هذه الإشارة الجميلة الصادقة، للأستاذ « جمال فكرى »، تطل علينا قطعة لبيرم، كتبها بعنوان « أهل المغنى »، وصور فيها، من عهد بعيد، مأساة الأغانى عندنا، وكأنه ينطق بلسان الكثيرين ممن تثيرهم هذه المأساة:

يا اهـــل المغنى دماغنا وجعنا • دقيقة سكوت لله
دا حنا شبعنا • كلام ما له معنى • ياليل وياعين ويا آه

طلعت موضه • غصون وبلابل • شابط فيها حزين
شاكى وباكى • وقال مش عارف يشكى ويبكى لمين
واللى جابت له الداء والكافية طرشة ماهش سامعاه
يا اهـــل المغنى • دماغنا وجعنا دقيقة سكوت لله

ردى عليه ياطيور بينادى وارمى له الجناحـــين
وانت كمان يـــا وابور الوادى • قل له رايح على فين
قـــل له اياك يرتاح يـــا وابوره ويريحنا معـــاه
يـــا اهل المغنى • • • •

كل جـــدع فرحان بشبـــابه يقول فى عينيه دموع
ياللى جلبتى شقاه وعذابه حـــلى لنـــا الموضوع
طالـــع نازل • يلقى عـــــوازل • واقفة بتستناه
يا اهـــل المغنى

حافظين عشرة اتناشر كلمة • نقـــل من الجرنال
شوق . وحنين • وأمل • وأمانى • وصد • وتيه • ودلال
واللى اتعاد يتزاد يا اخوانا وليل ونهار هواه
يا اهـــل المغنى • دماغنا وجعنا • دقيقة سكوت لله

الصور المختلفة فى أقوال بيرم

لبيرم من إنتاجه ألوان متعددة من المنظومات ، شعراً وزجلاً . وقد يبلغ إنتاجه فى مدى حياته قرابة عشرة آلاف قطعة ، أغلبها جيد . و بعضها من القوة بقدر يبلغ حد الإعجاز .

ومن منظوماته ما هو قصير مختصر ، وما هو مطول .

و بعض هـــذه المنظومات يشبه الفيلم السينمائى فى سرد القصة ، وتصوير الحوادث . والبعض الآخر لقطات سريعة هو فيما أشبه بالمصــور الصحفى الذى يصور الحادثة أو المناسبة تصويراً مجتمعاً فى لوحة واحدة .

ونختم هذا الـكتاب بعرض أمثلة من بعض هذه الألوان .

فمن نوع التصوير السينمائى :

(أودة للإيجار)

شهرين أدور وادعبس فى البـــــلد على بيت
للأجرة دور عا لسطوح أو أودة أرضى يا ريت
بالاختصار إنى برضـــــك بعد ما لفيت
على مشايخ الحــــوارى والسماسرة لقيت

خبطت عا الباب واسمـــــه بيت على العلاف
فتحت فى إيدها الأساور واحـدة قلت عواف

ما هش هنا سى على ، قالت دا فى الأرياف
وعاوزه ليـه قلت ؟ مستأجر هنـا اندليت
قالت دى أودة يا خويا فى الدور المسحور
زايدة علينا ، واهى فاضية سنة وكسور
الافندى عاوز يسكنها أمير مقصـــور
ولك مرة والا عازب ، قمت أنـا حكيت

قلت لهـا عازب يا ستى إنما صاين
دينى وعنى اسـألوا ، قالت أهو باين
إن كنت لك رغبة إدخل حضرتك عاين
خشيت ، وسكت وراية بعـد ما سميت

الست فوق صـدرها التوب الحرير زاينا
والطرحة فوق صدغها زى القمر فى سماه
وحرفها بالمقور والحرير شـاغلاه
رأيت أنا الشكل دغرى عا النبى صليت

بصت ، وقالت تعالى عن يمينك خش
شقتنا قبله ، وشوف بيت الأدب والدش
قلت لها انا كل شىء مقبول عشان دى الوش
إياك يكون لى نصيب، قالت : يا خويا ياريت

الدش أهه يا ضنايا لو تحب حمـوم
وتجيب غسيلك إذا مرة قلعت هـدوم

وأى شىء يلزمـــك خبط علىّ أقوم
أفتح لك البـاب ، ولو وش الصباح خشيت.

خشت ، وفاتتنى وحدى فى الصالون مدة
جابت معاها بقى المفتـــاح والعدة.
والأودة دى عا السلالم قفلها صـــدى
ساعتين تعافر ، وآخرتها انفتح بالزيت

رأيتها زنزانة فيها بالكتير مـــترين
وملة متدغدغـــة ، وقفاص ، وصحارتين
والعنكبوت اللى بيهندس قاسمهـا دورين
رأيت أنا الشكل ده دعزى أنا اتخضيت

ضحكت وقالت:دى مهجورة بقى لها كتير
ركلك عليها اما تتبيض بحبة جـــير
وشين تلاتة و بلاطها يتمسح ياأمـــير
يصبح حبايبك عليهـا . قلت والله هويت

(بستان وندمان ياريت الحبيب معنا)
ولمــــا نلقى الحبيب نلقى العمى معنا
ياعين آدى اللى انتى طالبـــاه بس يمنعنا
منامـــة تعمى المفتح . آه ياريتنى ما جيت

(المـــــأذون)

فلاح مجـــــاور فتح مكتب خطيب مأذون
يجوزك بالمقـــــاولة ، والا بالعربون
شاف الوظايف عســـيرة ، والمهايا دون
قال كل مكسب يكون عنـــد الرب صابون

استفتح الشيـــخ فى أول ما اشتغل بطلاق
حرمـــة أميرة ، وجوزها سيىء الأخلاق
والقاضى يحـكم فى شرع المسلمين بطلاق
على المرة المجرمـــة ، والراجـــل الملعون

الست من نـاس زمـان ، صاحبة أدب وكمال
م الحشمة دول اللى لا لبة ولا خلخـــال
واللى ما أعطاها صبغـــة ما عطاها مـــال
يـكفى التقى والصلاح ، والملح والكمون

كان المجـاور عبيط عمره مـا شافش حريم
مــن يوم ما أزهر لغـاية ما انتهى التعليم
شـاف المرة حشمة لا خاتم ، ولا مباريم
قال ما شاء الله كان ، واللى ما شاء ما يكون

والله كان حج جوزك ده يبوس رجلك
لـكنه فاسج ، لا يصلح لك ، ولا يليج لك

لازم أشوف لك أنا راجل أمير مثلك
م اللى يحافظ على عرض النسا ويصون

قالت أنا واحدة لا أبيض ولا أحمر
عايزا لى راجل لا يتمرقع ولا يسكر
يعرف مقامى ، ولا يبرم ولا يسهر
وانشا لله آكل معاه ملح وبصل وزتون

بقت تروح للمجاور كل يوم نوبتين
ولحد ما شاف لها راجل مضى شهرين
راجل توفت مراته ، وخلفت طفلين
عايز لهم واحدة لو خان الزمان ما تخون

قال له المجاور أنا عارف مرة حرة
عينى ما شافت كده أحرار بالمرة
وبيتها مليان نابوليا من بلاد بره
رأيتها لما انتهت م الراجل المجنون

فيها البساط بس وحده يفرش الجامع
ودولاب عجيب من أوروبه من خشب لامع
وبعلها ، لما كان فى عفشها طامع
رهن كراسيها عند الجهوجى أنطون

أبو العيال بات ليلتها على المرة عاقد

والمهر كله تلاتة جنيه ، وراح نـــاقد
و بعدهـــــا بجمعة ، كان فى حضنها راقد
شاف لك دى حتة مرة أنشف من العرجون

البين نحل جسمها والهم كاويهـــــا
والقهر راخر متمم شغلتـــــه فيها
والموت هجم عا الحبايب من حواليهـــا
خلا الغريب والحبيب تحت التراب مدفون

فى ليـــــلة الدخلة لابسة له القميص ساتانيه
والشنتيان فوقه ، والبالطو القطيفه عليـــــه
اسود طويل للقدم ، تفصيل كال ، وايديه
بكرك أبيض عريض والصـــدر بالـكبسون

أما الموبيليا اللى كان طـــاير بها الأستاذ
صندوق بسبعين ، وستاشر صفيحـــة جاز
فارغين ، وفوقهم قباقيبهـــــا تلات تجواز
و برمة فخار ، ودفايـــة ، وست صحون

وكليم مخطط على مبرد صعيـــــدى عتيق
لو ينفرش فى الميآتم عا الدكك مـــا يابق
وشلتين قش كاسيام بـــديمى غميق
والطشت ويا الـكرامى من سنـــة مرهون

صبح العريس يلتقى الراجـــل يستنظر
عايز الحـــلاوة خروف ، ينحط فى أنجر
ضحك ، وقال له : نهـارك يا عريـس أزهر
قال له : نهار زفت متقطرن ياشيخ ينســون

إن كنت تهوى الـكمال والجد والعفـــة
ولو تـكون فى عضام تنحط فى قفـــة
ما كـــنت تسبــق يابو معشر وتلهفها
يا تشوف لها فى البلد راجل ما لهشى عيون

قال الجـاور مادام ما انتش بجا مبسوط
لا الباب مسمر ، ولا حبـــل الحمار مربوط
طلجها حالاً ، وانا اجيب لك مرة بشروط
ترضيك ، ومجصودى انك تبجى عندى زبون

(جـــوازة)

ما تشوف الا الهيصة والموكب متحضر
أربعين حنطـــور تسد السكة واكتر
اللـى باصفر ، واللى باحمر ، واللى باخضر
واللى حاطة حزوق فى صـــدر الجلابية

واللـــى جايبة نفيسة والسيد معاهـــا
واللى ساحبــة الحــلو ، أو محسن وراها

واللى رابطـــة عنيها ، ومعاها دواها
واللـى فاتحـــة الصدر بترضـع بهيـــة

يبقى يوم منـــه عزومة ، ومنه فرجـــة
والمرة جـــوه الستارة ، وراسها خارجـــة
وان شافت دكان مزين ، والا سرجة
تفقع الزغروتة ، من راسهـــــــا القوية

أما بيتـكم يا بطل ، وانت اللى عالم
بس لو ساع العروسة والعـــــوالم
واللـى تتأخـــر تشرف عا السلالم
والهاموش تحت السقيفة البرانيـــة

العريس يدخـــل ، وتتـلم الجمـــاعة
واما ييجى الأكل تتحـــــط البتاعـــة
خـ[illegible] مسروعة يا كلـــــــلوا فى ربع ساعة
أر[illegible] حـــــــلة خضـــــــار ومهلبية

كل صحن يشطبوه ، أمــك ترصـــه
وان فضـــل فى العضم شىء أختك تمصه
واللى يفضـــل نصه للكناس ونصه
للمرة بتاعت الحـــــلاوة السمسميـــة

ومن نوع اللقطات التصويرية :

في السياسة :

(إسرائيل)

دول عظمى اللى باعتاها ، فى أرض المسلمين تفتح
غنيمة كلها لكن ، بأرض القدس تستفتح
وتحرق زى ما تحرق ، وتدبح زى ما تدبح
معاها ألف طيارة ، ومليون تنك متصفح

عليكم ياعرب يومى تشن الغارة أرضية
ولسه يا عرب جاية بغاراتها السماوية
ويومها العم لال نهرو حايبعت شكوى رسمية
لجمعية أمم تضحك ، ومجلس أمن يتنحنح

حاربناهم ، وهادنا ، وفاوضنا ، وجربنا
ولما نشتكى نوبة ، على الشكوى تأدبنا
ياتزحف فوق أراضينا ، يا تتوقح وتضربنا
ولا ايدن، ولاتشرشل ، بيسأل عن كلاب تنبح

يا اسرائيل ، ويا تشرشل ، ويا ايدن ، وياغيرهم
٢٠٠ مليون بتتحضر ، ليوم الهول عساكرهم
٢٠٠ مليون نهار الحرب يكفاهم خناجرهم
٢٠٠ مليون منى عيها فى أنهار الدما تسبح

(يا عايق)

إيدن يا عايق ، حسبت الحزب دى عيـــاقة
و بعت شعبك لنــــاس للموت مشتـــاقة
تحسبها فى بورسعيـــــد والمنزلة خناقة
لقيتها مدبح وأجنــــادك غنم فيهـــا
أقف بقى عا المرايــــة صلح الياقة

(حا تترد لك)

فرنسا وانجلترا رايحــــين فى خرارة
وانتى اللى فاضلة يا إسرائيــــل يا جارة
يا اللى علينا فى ليــــل ونهار مندارة
غارات حاتترد لك غــــارة ورا غارة

(يا مجرمين)

ست البحار فى قنــــال شبرين غرقانة
إهانة يا انجلـــــترا ما بعدهـا اهانة
يا مجرمين ياللى جيتونا على خيـــانة
الدنيا فى الحرب شايفا كم وشــــايفانا

(الحمد لله)

فى أرضنـــا وبسواعدنا القنــــال اتمد
ميراثنا أصله لنــــا من عند سابع جد

وفيه سفن كل دولة ماشيـــة ماتنصد
قالوا بلاش مرشدين من عنــــدهم بنهار
الحمد لله بايـــديهم أهوه انسد

فى الاشترا كية :

(الجمانين)

ناس تملك الطين ، وناس غيرهم عيشتهم طين
مع إن ربك خلقنا كلنـــا من طين
لا الشرع يحكم بدى القسمة ، ولا القوانين
اللى لنفسك تحبه أطلبـــه للناس
مش حب نفسك لوحدك ، واحرم الملايين ؟

(بائعة الفجل)

بياعة الفجل أحسبهـــا من الأبطال
اللى لهم فى المداين يتنصب تمثال
فى الليل وفى شهر طوبـــة ، والهوا قتال
والناس فى نومه ، وبتنادى على الأكال
راضية برسمال ومكسب كله نص ريال
وتسأل الله من فضله يديم دى الحال
فين الكرامة اللى ضاعت منكم يا رجال
يااللى استحيتم ، وفريتم من الأشغـــال

لو كان سليل الأماجـــــد يشتغل عتال
أو الأفندي يـكون جزار أو بقـــال
ما كانش فى كل ناحية فى البلد بطال
يمد إمد السؤال للســـــادة والأندال

(الطهقـان)

فى فصل الصيف يفوت بيته لرأس البر أو لبنان
وفى فصل الشتا يرحل ، من اكتوبر على أسوان
وتتعجب على الإنسان ، بكتر المال يعيش طهقان
لا هو طايق يكون حران ، ولا طايق يكون بردان

تشوف القصر وجنينته ، تقول ياجنة الـكافر
عليه بواب ، وطقم كلاب ، بتهارس وتتعافر
تقول يا قصر فين صاحبك ، يقول لك من زمان سافر
فى كارلسباد إلى فيشى ، ومن فيشى إلى ايفان

أحب البرد فى طوبة ، واحب البرد فى بؤونه
وعندى للشتا أودة ، وليـــلة الحر بلـكونه
ولولا الدنيا تتغير ، لـكانت دنيـــا ملعونة
لتسقط حـكمة الإنسان ، وتحيا حـكمة الرحمن

لا هو بيحرت ، ولا يبدر   ولا بيحصد ، ولا يجمع
ولا بيسبك ، ولا بيطرق   ولا بيخرط ، ولا بيقطع
ولا بيشحن ، ولا بيخزن   ولا بيوزن ، ولا بيندفع
وهوه الغانم الأسلاب   وغيره يضرب المدفع

وسيط بين اليفنين يدخل   وهوه السيد المالك
إذا السوق ارتفع سالك   واذا السوق انضرب سالك
وغير مسئول عن التالف   وغير مسئول عن الهالك
و بالتليفون يجيب مليون   وميت مليون ، ولا يشبع

غراب ينعق على المحاصيل   و بوم فى ساحة البورصة
وأفعى تجعل المقروص   يخش القبر فى قرصة
وله يوم الصعود فرصة   وله يوم النزول فرصة
وهدم بيوت ، وخلق تموت   بحسرة وهوه متمتع

تشوف عمارات شققها مئات   وكل عمارة وعمارة
من الأعيان لها سكان   تزيد عن أيها حارة
عمارة مين ، ياعم ياسين ؟   « إمارة مسيو » دوارة »
مافيش فى مصر من شكله   ولا أشطر ، ولا أجدع

فى الإصلاح :

(المـــوظف)

يقعـــد على مكتبـه عارف مقـــام منصبه
ووجهــــــه دا يقلبه قلبة صحـاب العـــزب

يلعن فى خاش السعـــاة واللى ما ودوش عشـــاه
أما التلفــــــون هراه بالدق من غـــير سبب

وأم القـــوام سمهـرى لهـا الـــكلام الطرى
ويخش له العبقـــرى يستقبـله بالغضــــب

هجاص و بيـــاع كلام عمل رفيع المقـــام
يقبض مرتب حـــرام من جيب يتوع العنب

(الجماهير)

إن كنت ترضى المزارع ، يغضـــب السمسار
واذا رضيت الـكيماوى يزعل النجـــار
واذا مسكت الحرامى تزعل الفجـــار
واذا تركت الحـــــرامى تزعـــل الأبرار
وانت اللى تسهر وتشبع أمتك تشخـــير
وأكثر النـــاس ، وقايـل لك إله النـاس
« لا يشكرون » حتى لو خـدك عملته مداس

« لايعلموش » اللى يخدمهم من المـــلاس

خليـــك مع الله ، تلاقى الصالحين ويالك

الصالحــــين لو يقلوا ، فى المهمة ، كثير

(نصائح)

إسلك طريقـــة الرشاد ، واترك طريق الغش

ما تشتريش بندقيـــة ، وتختنق ، وتنش

ولا تمشى حافى ، ولا تجعـــل طعامك مش

حفظ الـــكرامة، وحفظ الصحة ، شىء واجب

أحسن ما تقعـــد تصر القرش فوق القرش

إحسن معاملة أجيرك ، ياللى كنت أجـــير

ولا تجعلوشى أسيرك ، ياللى كنت أســير

الرحمـــة بالخلق عند الله جزاها كبـــير

والشـــح ، والانتقام ، والظـــلم ، له آخر

ندامة فى الدنيا ، والآخـرة حسابها عسير

(أبواب جهنم)

قالوا لنا النار لها أبواب ثمانية حديث صادق وثابت عن نبينا

فأول باب — لسانك لما يشتم فى عرض الناس بالغيبة المشينة

وتانى باب — عينك لما تنظر ‏ بشهوة للرشيقــــة وللسمينة
وثالث باب—إيدك لما تسرق ‏ وتنشل م الجيوب وم الخزينـة
ورابع باب ـ رجلك لما تسعى ‏ إلى الـكباريه ، أو صالة سارينا
وخامس باب ـ ودنك لما تسمع ‏ كلام الفحش ، والنـكتة المهينة
وسادس باب ـ بطنك لما تشبع ‏ بأكل السحت ، والخمرة اللعينة
وسابع باب ـ عقلك لو يدبر ‏ مؤامرة تجعل الميه طحينـة
وثامن باب ـ لا يذكر بإسمه ‏ بأمر اللى سبل ســـتره علينا
ثمان أبواب مفاتيحها ثمانية ‏ وليل ونهار نفتحها بأيدينـا

(حقوق التأليف والفنان)

الروس ، وتعرف سيـــــادتك يعنى إيه الروس
قطعـــــــوا رءوس القياصرة بالبلط والفوس
وحطوا للفن أهـــــــل الفن فوق الروس
والفن نور ، والمؤلف فى ظلامها فانـــــــوس
الشعب يعـــــــرف وراه من يقبعه ويدوس
والشـــعب يسهر معاه فى المنزل المـأنوس
يا خسارة يا بن العرب ، عايش ذليل مكبوس
ويقولوا حشاش ،أو صعــلوك ، أو ملحــوس

شوفــوا مدير الإذاعــة العـــالم المفضال
اللى الفنـــون والآداب عقـــدت عليه آمال

أول بشـــارة ابتـــداها للمـؤلف قال
إوعك تيجى لنا هنـــا يا ناظم الأزجال
عايز تؤلف تقابـل فاطمة عبـــد العال
إكتب لها ملحمة ، وخـــد منها نص ريال
وفاطمـــة مديونة للجزار وللبقـــال
ودايرة تشحـــت كلام من أيهـــا زجال
وتستلف أجـــرة العواد والطبـــال
ياذلـــكم لو تخوضوا فى الفنون يا رجال

(مطالعات)

قريت ، ومليت كفـــاية خوف السقـــوط ، والبطالة
وكل ما ازداد قرايـــة بالدنيـــا ازداد جهـــالة

يا طالب العـــلم تنداس لو يبقى علمك بضاعـــة
تنفع وتستنفع النـــاس لو كنت صاحب صناعـــة

يـــا عالم ، العـــلم بالله يزيد فى نـــور البصيرة
واللى استنـــارت نواياه يلقى الدهب فى الحصـــيرة

إن كنت تطلب رضى الله يجعـل لك الناس عبيـــدك
وان كنت تطلب رضى الناس أقلهم يبـــقى سيـــدك



أحدث صورة للمرحوم

« محمود بيرم التونسى »

سجل بانتاج بيرم فى حياته الأدبية

لبيرم من الانتاج الأدبى — كما قلنا — ما يقرب من عشرة آلاف قطعة من الشعر ، أو الزجل ، أو القصة ، أو الأغنية. ومن المتعذر إمكان جمع كل هذا الإنتاج ،لتفرقه فى شتى الصحف ، ولأن كثيراً من أصوله قد ضاع بالاهمال ، و بعوامل أخرى أشرنا إليها فى هذا الكتاب .

ولم ينشر لبيرم فى حياته من إنتاجه إلا ديوانان وكتاب عامى اللغة . ومنعه الفقر ، وتعنت الناشرين ، عن متابعة النشر . ونوه عن أحجامه فى ذلك بكلمة قال فيها (من منذ سنين طويلة) :

« إن جملة ما كتبته فى الصحف الكبرى (وحدها) لا يقل عن ألف قطعة ، لا يمنعنى من نشرها فى مجموعة إلا عــــدم وجود الناشر الذى يقنع بنصيبه ، و يترك للمؤلف نصيبه . فالنـــاشر يصادر الكتاب ليحوله إلى أملاكه، نظير ثلاثين جنيهاً تقريباً ، يدفعها جزافاً ، ولا شىء بعدها ! »

ونقدم إحصاءاً عابراً لبعض إنتاج بيرم ، مما تمكنا من حصره ، لنعطى به فكرة عارضة .

مؤلفات مطبوعة :

ديوان بيرم التونسى (الجزء الأول)

ديوان بيرم التونسى (الجزء الثانى)

السيد ومراته فى باريس

مؤلفات لم تنشر :

السيد ومراثه فى مصر

المقامات

نشاطه فى الصحف

مجلة المسلة	صاحبها ورئيس تحريرها
مجلة الخازوق	» » »
مجلة الاكسبريس	كاتب فيها
صحيفة الشباب (بمصر)	محررها مدة عامين
» » »	كاتب فيها
جريدة الزمان (بتونس)	كاتب فيها
» الشباب »	صاحبها ورئيس تحريرها
مجلة الكشكول	كاتب فيها
» الفنون	» »
» المطرقة	» »
» الإمام	» »
» أبولو	» »
» النيل	» »
» الاثنين	» »

مجلة روز اليوسف	كاتب فيها
» الصباح	» »
جريدة المصرى	» »
» الأخبار	» »
» الجمهورية	» »
مجلة ياهوه	مشترك فى تحريرها واصدارها

روايات

سلامة	عقيلة
دنانير	أحكام العرب
شهر زاد	سلطانة الصحراء
عنتر وعبلة	شافون
رابحة	حوار رواية الشيخ متلوف
طباخة بريمو	أوبريت ليلة من ألف ليلة
سفينة الفجر	» يوم القيامة
مايسة	عدد من القصص القصيرة للاذاعة

اذاعيات

سلسلة تاريخية من عهد المماليك	حلقة الظاهر بيبرس
ملحمة محمد على	كرسى البرلمان

حلقة عزيزة ويونس

بنت بحرى (٣٠ حلقة)

بنت البادية

بنت السلطان (لمسرح العرائس)

عشرة ملوكى

مهرجان ابليس (للتلفزيون)

فى السياسة الداخلية (منظومات)

الثورة المصرية ١٩١٩

قدوم الرئيس

استقلال عدلى باشا

الأحزاب

أوامر عدلى باشا

اتحاد الأحزاب

اللورد ملنر

المختلط

زعماء

القرن العشرين

الحماس

فى السكة الجديدة

عطشان ياصبايا

يوم الحداد

يامصرى

العودة

الامتيازات

من پارك ليون

قصة السيد البدوى وابراهيم

الدسوقى وسعد زغلول السياسى

فى السياسة الخارجية (منظومات)

سياسة مدبرة

يامجلس الأنس جينا

	أنا اتلهيت
مصر حتة من أوربا	خلافة بنى عثمان
الشرق	هجوم اليونان على الترك
ميتم الأمم	الجيش وقع فى نصف ساعة أسير
احتلال سوريا	اسرائيل
عبد الـكريم	يا عايق (لايدن)
مؤتمر روما النسوى	الحمد لله
يا أهل السودان ياعرب	يا مجرمين
حاتترد لك	

على الأرغول (منظومات)

حياتى	دخلت راجل
غنيت	
من ليمانك	السلوك
الفلاح	المفاوضات

على الربابة (منظومات)

رياضة	حرب الترك والروم
المنبوذين	زواج فنزيلوس
اللورد ملنر	هزيمة اليونان
الشهادة	معاهدة الترك والروم
فرنسا	أبواب جهنم

لو كاندة الحاج سالم
أختين شقايق
جـــواز
ركاب سوارس
تاجر خضار
الولادة
البصــــــارة
بنات بحرى

صعيدى فى باريز
ريا وسكينة
العجايز
زفة المطاهر
فريحة يقبض و يحصل
تنزل على لحم الخنزير
مراقص الزنج

نقد (منظومات)

ناظر الوقف
الاختلاسات
الاكتتاب
دونمارو
مونبيليه
شوفى لنا بنت الحـلال
القــاهرة فى الصيف
مدارسنا ومدارســهم
بعثـــات
محطة الإذاعة
الصعايدة
دوسيهات الدواوين
الحسن جنة لو يجمع الأدب وياه
الست الطاهرة
صدفة
خير وشر

ايه نابنا بعد الحروب
الخـــــدام
على محمد شحاته
بدون ياشعراوى
الإقطاع
حا انجن
الرب
ستاتنــــــا
القطن
فى الطريق
الدواوين
أعوذ بالله
الموظف
السمسار
الطهقان
حواديت

فلسفات (منظومات)

الفن	الحب
الورد	العيون
النسوان	يا مصر
المطرب	غاندى
بين القبور	شغل الحكومة
عزرائيل	العامل المصرى
يا اهل المغنى	اللت والعجن
من كلمة هايفة	السيارات
خمسان	الفواكه
الزحام	سبح الخالق
الجماهير	أبناء آدم

المقامات (منثورات . ومنظومات) وهى أكثر من مائة

المقامة القرشصاغية	المقامة الفلوسية
« الجنيهاتية	« الرغيفية
« الصندوتشية	« العيشية
« الاقتصادية	« الشوالية
« البيجامية	« الحجابية
« الاسفنجية	« الليلية

المقامة المنبرية

« السفورية

« الشتائية

« الشعرية

« الـكانونية

« البريدية

« الهراوية

« الشيطانية

« الرأسية

« الترزية

« اللومانية

« الحربية

« التحريرية

« الطابعية

« الأمريكانية

المقامة الفلسفية

« السرية

« البربرية

« الريفية

« الزبيبية

« الأفوكاتية

« الأفندية

« النحاسية

« الترموائية

« الفلوكية

« المنصورية

« الوطنية

« البرلمانية

« الفرنجية

فوازير رمضان

٩٠ فزورة أذيعت فى ثلاث سنوات أيام شهر رمضان .

الأغانى

مقطوعات غنائية لبعض الراقصات

فى الصالات

أغانى لسيد درويش

« لأسمهان

« لعبد الوهاب

أغانى لأم كلثوم

أغانى كانت تلقى فى الصالات

« لفريد الأطرش

« لصالح عبد الحى

تحية لفنان الشعب

محمود بيرم التونسى

ما كان فنك .. هذا الفن .. بالزجل
لكنها حكمة من سائر المثل ؟

شعر .. ولكنه للشعب فى لغة
مما يحدث هذا الشعب من أمل

آماله صغتها بحراً وقافية
وصفت آلامه فى أنة الثمل

حاربت طغيان من كانوا جبابرة
أيام شعبك ما فى الشعب من رجل

وقد نفوك ، فلم تضعف لنازلة
وعشت فى النفى مثل الشمس فى نزل

لا البعد يمنع عنا من أشعتها
ولا الأشعة ، يا ابن الشمس ، فى كلل

لك البطولة .. لولا أنها أدب
قلنا الزعامة كانت منك فى بطل

وعدت للنيل ، مثل النيل ، دافقة
أمواهه بحياة الشعب من أزل

شمس الأصـــيل قصيد لا يجـــود به

من عاش للشعر طـــول الدهر فى شغل

غنى الزمان بها لحناً وقافيـــة

شعراً من النسق الأعلى ، على زجـــل

وكل ما قلت من أغنيـــة أدب

غنى الزمان به من دعـــوة الأزل

باق على الخـــلد ، يسمو بالعـــلا صعداً

ويستحث خطى التاريخ فى عجـــل

يا نفحة من سمـــاء الخـــلد فى نغم

للخلد ألحـــانها من صيحة الأول

يا فيلســـوفاً مضى عنـــا لغايته

ومن معانيه ما قد جل فى المثـــل

لله أنت حيـــاة كنت تبعثهـــا

وأنت فى الخـــلد منها أنت لم تزل

ما زلت حياً بمـــا قدمت من عمل

وقد مضيت .. فيا لله من عمـــل

تحية لك بعـــد المـــوت نابعة

من الحياة التى خـــلدت فى المثـــل

الربيع الغزالى

للمؤلف

الفنون الجميلة قديماً وحديثاً		طبع	١٩٢٢
بين الأطلال		»	١٩٢٣
المرأة المصرية قديماً وحديثاً		»	١٩٣٢
الزخرفة المصرية القديمة	(بالاشتراك مع الأستاذ يوسف خفاجي)	»	١٩٣٢
الحب بين القلب والعقل		»	١٩٣٤
الشباب	(بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ حسن ابراهيم)	»	١٩٤٧
الحرية	» » »	»	١٩٤٧
الوطن العربى	من سلسلة بلادى		١٩٥٨
القاهرة ١	»		»
القاهرة ٢	»		»
دمشق	»		»
القدس	»		»
صنعاء	»		»
النيــل	»		»
الفيضان	»		»
سيناء	»		»
دير سانت كاترين	»		»

قاهرة القاهرة	من سلسلة بلادى		طبع	١٩٦٠
فى القطار وفى السيارة	من سلسلة عالم المعرفة		«	١٩٥٩
فى الطريق		«		«
أرض المجد	دراسات مصرية قديمة		«	١٩٥٨
	(بالاشتراك مع الأستاذ زكى سعد)		«	
مصر	«	«	«	«
أوراق البردى	«	«	«	«
الجعران	«	«	«	«

تحت الطبع

توت عنخ آمون الملك الشاب

هل أنت جميلة ؟

الشعب الضليل اسرائيل

سيدنا الحسين

سجل بانتاج بيرم فى حياته الأدبية

لبيرم من الانتاج الأدبى — كما قلنا — ما يقرب من عشرة آلاف قطعة من الشعر ، أو الزجل ، أو القصة ، أو الأغنية. ومن المتعذر إمكان جمع كل هذا الإنتاج ،لتفرقه فى شتى الصحف ، ولأن كثيراً من أصوله قد ضاع بالاهمال ، و بعوامل أخرى أشرنا إليها فى هذا الكتاب .

ولم ينشر لبيرم فى حياته من إنتاجه إلا ديوانان وكتاب عامى اللغة . ومنعه الفقر ، وتعنت الناشرين ، عن متابعة النشر . ونوه عن أحجامه فى ذلك بكلمة قال فيها (من منذ سنين طويلة) :

« إن جملة ما كتبته فى الصحف الكبرى (وحدها)
لا يقل عن ألف قطعة ، لا يمنعنى من نشرها فى مجموعة
إلا عدم وجود الناشر الذى يقنع بنصيبه ، ويترك
للمؤلف نصيبه . فالناشر يصادر الكتاب ليحوله إلى
أملاكه، نظير ثلاثين جنيهاً تقريباً ، يدفعها جزافاً ،
ولا شىء بعدها ! »

ونقدم إحصاءاً عابراً لبعض إنتاج بيرم ، مما تمكنا من حصره ، لنعطى به فكرة عارضة .

مؤلفات مطبوعة :

ديوان بيرم التونسى (الجزء الأول)

ديوان بيرم التونسى (الجزء الثانى)

السيد ومراته فى باريس

مؤلفات لم تنشر :

السيد ومراته فى مصر

المقامات

نشاطه فى الصحف

مجلة المسلة	صاحبها ورئيس تحريرها
مجلة الخازوق	« « «
مجلة الاكسبريس	كاتب فيها
صحيفة الشباب (بمصر)	محررها مدة عامين
« « «	كاتب فيها
جريدة الزمان (بتونس)	كاتب فيها
« الشباب «	صاحبها ورئيس تحريرها
مجلة الكشكول	كاتب فيها
« الفنون	« «
« المطرقة	« «
« الإمام	« «
« أبولو	« «
« النيل	« «
« الاثنين	« «

مجلة روز اليوسف	كاتب فيها
« الصباح	« «
جريدة المصرى	« «
« الأخبار	« «
« الجمهورية	« «
مجلة ياهوه	مشترك فى تحريرها واصدارها

روايات

سلامة	عقيلة
دنانير	أحكام العرب
شهر زاد	سلطانة الصحراء
عنتر وعبلة	شافون
رابحة	حوار رواية الشيخ متلوف
طباخة بريمو	أوبريت ليلة من ألف ليلة
سفينة الفجر	« يوم القيامة
مايسة	عدد من القصص القصيرة للاذاعة

اذاعيات

سلسلة تاريخية من عهد المماليك	حلقة الظاهر بيبرس
ملحمة محمد على	كرسى البرلمان

حلقة عزيزة ويونس
بنت بحرى (٣٠ حلقة)
بنت البادية
بنت السلطان (لمسرح العرائس)
عشرة ملوكى
مهرجان ابليس (للتلفزيون)

في السياسة الداخلية (منظومات)

الثورة المصرية ١٩١٩
قدوم الرئيس
استقلال عدلى باشا
الأحزاب
أوامر عدلى باشا
اتحاد الأحزاب
اللورد ملنر
المختلط
زعماء
القرن العشرين
الحاس
فى السكة الجديدة
عطشان ياصبايا
يوم الحداد
يامصرى
العودة
الامتيازات
من پارك ليون
قصة السيد البدوى وابراهيم الدسوقى وسعد زغلول السياسى

في السياسة الخارجية (منظومات)

سياسة مدبرة
يامجلس الأنس جينا

	أنا اتلهيت
مصر حتة من أوربا	خلافة بنى عثمان
الشرق	هجوم اليونان على الترك
ميتم الأمم	الجيش وقع فى نصف ساعة أسير
احتلال سوريا	اسرائيل
عبد الكريم	يا عايق (لايدن)
مؤتمر روما النسوى	الحمد لله
يا أهل السودان ياعرب	يا مجرمين
حاتترد لك	

على الأرغول (منظومات)

حياتى	دخلت راجل
غنيت	
من ليمانك	السلوك
الفلاح	المفاوضات

على الربابة (منظومات)

رياضة	حرب الترك والروم
المنبوذين	زواج فنزيلوس
اللورد ملنر	هزيمة اليونان
الشهادة	معاهدة الترك والروم
فرنسا	أبواب جهنم

فى المرأة (منظومات)

علموا الجنس اللطيف تدبير منزلى
هوليوود المرة الحافية
أطفال باريس

رثاء (منظومات)

شـــوقى توت عنخ آمون
حجاج ودوس (الطياران) سيد درويش
ذكرى سيد درويش

صور من المجتمع (منظومات)

زوجة السجان أم خليـــل
فيكتـــور حامد عاشـــور
الجمـــايدة الحـــاج جابر
الفقـــر الأسطى على منصور
حانة مانولى أم فايـــق
خليل المزوبلجى جـــوز فهيمة
المأذون دكان مرسى
نســـايبى بيت رصوان
ابن نظـــلة تاجر دقيق
المؤلف فى التربة حطت ثمانية

لوكاندة الحاج سالم
أختين شقايق
جــــواز
ركاب سوارس
تاجر خضار
الولادة
البصـــــــارة
بنات بحرى

صعيدى فى باريز
ريا وسكينة
العجايز
زفة المطاهر
فريحة يقبض ويحصل
تنزل على لحم الخنزير
مراقص الزنج

نقد (منظومات)

ناظر الوقف
الاختلاسات
الاكتتاب
دونتارو
مونبيليه
شوفى لنا بنت الحلال
القـــاهرة فى الصيف
مدارسنا ومدارســـهم
بعثـــات
محطة الإذاعة
الصعايدة
دوسيهات الدواوين
الحسن جنة لو يجمع الأدب وياه
الست الطاهرة
صدفة
خير وشر

ايه نابنا بعد الحروب
الخـــــدام
على محمد شحاته
بدون ياشعراوى
الإقطاع
حا انجن
الرب
ستاتنـــــــا
القطن
فى الطريق
الدواوين
أعوذ بالله
الموظف
السمسار
الطهقان
حواديت

فلسفات (منظومات)

الفن	الحــــب
الورد	العيون
النسوان	يا مصر
المطرب	غاندى
بين القبور	شغل الحــكومة
عزرائيل	العامل المصرى
يا اهل المغنى	اللت والعجن
من كلمة هايفة	السيارات
خمسان	الفواكه
الزحام	سبح الخالق
الجماهير	أبناء آدم

المقامات (منشورات . ومنظومات) وهى أكثر من مائة

المقامة القرشصاغية	المقامة الفلوسية
« الجنيهاتية	« الرغيفية
« الصندوتشية	« العيشية
« الاقتصادية	« الشوالية
« البيجامية	« الحجابية
« الاسفنجية	« الليلية

المقامة المنبرية	المقامة الفلسفية
« السفورية	« السرية
« الشتائية	« البربرية
« الشعرية	« الريفية
« الكانونية	« الزبيبية
« البريدية	« الأفوكاتية
« الهراوية	« الأفندية
« الشيطانية	« النحاسية
« الرأسية	« الترموائية
« الترزية	« الفلوكية
« اللومانية	« المنصورية
« الحربية	« الوطنية
« التجريبية	« البرلمانية
« الطابعية	« الفرنجية
« الأمريكانية	

فوازير رمضان

٩٠ فزورة أذيعت فى ثلاث سنوات أيام شهر رمضان .

الأغانى

مقطوعات غنائية لبعض الراقصات

فى الصالات	أغانى لأم كلثوم
أغانى لسيد درويش	أغانى كانت تلقى فى الصالات
« لأسمهان	« لفريد الأطرش
« لعبد الوهاب	« لصالح عبد الحى

تحية لفنان الشعب

محمود بيرم التونسى

ما كان فنك .. هذا الفن .. بالزجل
لكنها حكمة من سائر المثل ؟
شعر .. ولكنه للشعب فى لغة
مما يحدث هذا الشعب من أمل
آماله صفتها بحراً وقافية
وصفت آلامه فى أنة الثمل
حاربت طغيان من كانوا جبابرة
أيام شعبك ما فى الشعب من رجل
وقد نفوك ، فلم تضعف لنازلة
وعشت فى النفى مثل الشمس فى نزل
لا البعد يمنع عنا من أشعتها
ولا الأشعة ، يا ابن الشمس ، فى كلل
لك البطولة .. لولا أنها أدب
قلنا الزعامة كانت منك فى بطل
وعدت للنيل ، مثل النيل ، دافقة
أمواهه بحياة الشعب من أزل

شمس الأصيل قصيد لا يجود به

من عاش للشعر طول الدهر فى شغل

غنى الزمان بها لحناً وقافية

شعراً من النسق الأعلى ، على زجل

وكل ما قلت من أغنية أدب

غنى الزمان به من دعوة الأزل

باق على الخلد ، يسمو بالعلا صعداً

ويستحث خطى التاريخ فى عجل

يا نفحة من سماء الخلد فى نغم

للخلد ألحانها من صيحة الأول

يا فيلسوفاً مضى عنا لغايته

ومن معانيه ما قد جل فى المثل

لله أنت حياة كنت تبعثها

وأنت فى الخلد منها أنت لم تزل

ما زلت حياً بما قدمت من عمل

وقد مضيت . . فيا لله من عمل

تحية لك بعد الموت نابعة

من الحياة التى خلدت فى المثل

الربيع الغزالى

للمؤلف

الفنون الجميلة قديماً وحديثاً		طبع	١٩٢٢
بين الأطلال		«	١٩٢٣
المرأة المصرية قديماً وحديثاً		«	١٩٣٣
الزخرفة المصرية القديمة	(بالاشتراك مع الأستاذ يوسف خفاجي)	«	١٩٣٢
الحب بين القلب والعقل		«	١٩٣٤
الشباب	(بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ حسن ابراهيم)	«	١٩٤٧
الحرية	« « «	«	١٩٤٧
الوطن العربى	من سلسلة بلادى		١٩٥٨
القاهرة ١	«		«
القاهرة ٢	«		«
دمشق	«		«
القدس	«		«
صنعاء	«		«
النيـل	«		«
الفيضان	«		«
سيناء	«		«
دير سانت كاترين	«		«

قامة القاهرة	من سلسلة بلادى		طبع	١٩٦٠
فى القطار وفى السيارة	من سلسلة عالم المعرفة		«	١٩٥٩
فى الطريق		«		«
أرض المجد	دراسات مصرية قديمة		«	١٩٥٨
	(بالاشتراك مع الأستاذ زكى سعد)		«	
مصر	«	«	«	«
أوراق البردى	«	«	«	«
الجعران	«	«	«	«

تحت الطبع

توت عنخ آمون الملك الشاب

هل أنت جميلة ؟

الشعب الضليل اسرائيل

سيدنا الحسين